



# مِرْاثُ دُرِّ الْجَاهِلِيَّةِ

## دراسة وتحليل ونقد

تأليف

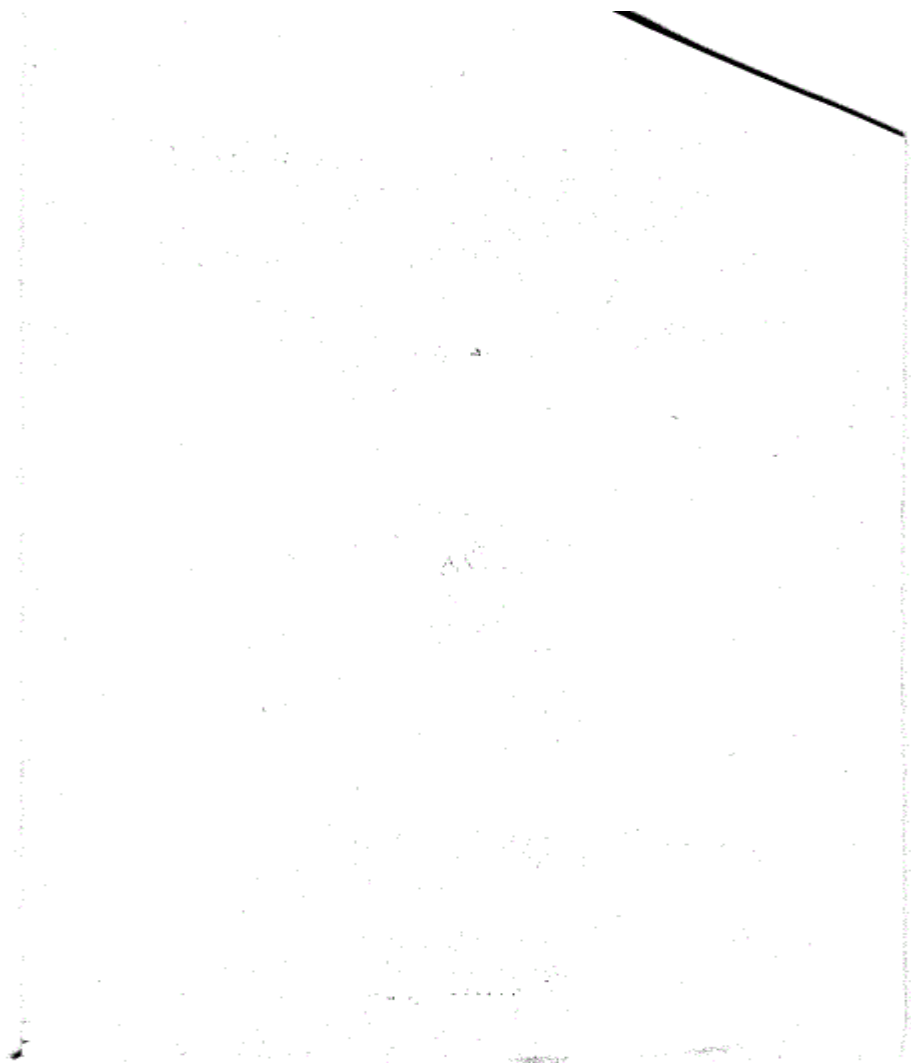
دكتور  
زكريا عجمي المحمدي النوني

مدرس الادب والنقد  
بكلية اللغة العربية  
جامعة الأزهر - بالقاهرة

الطبعة الاولى

١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

مطبعة الحسين الإسلامية  
٢٥ بحارة المدرسة خلف الجامع الأزهر  
تليفون : ٩١٩٧٢٤





## مُقَدِّمَةٌ

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى  
وبعد .

فهذه دراسات لنصوص من الأدب الجاهلي ، ذلك السجل القيم  
الحافل الذي يصور حياة العرب في جاهليتهم .

وهو لضخامته وثرائه يصعب على المزمع عملية الاختيار ، فماذا  
يأخذ وماذا يدع ؟

انها درر أدبية رائعة ، وكلها مغشية بالأخذ ، ومن هنا :  
لم يكن الاختيار ميسورا ..

غير أنني تخيرت نصوصاً من مدارس مختلفة تمثل - كلوا  
مجتمعة - روح العصر وسماته ..

★ اخترت قصيدة لشاعر من الصعاليك الذين شكلوا مدرسة لها خصائصها  
في الأدب الجاهلي .. والقصيدة لشاعر متميز فيهم وهو :  
( تابتشرا ) .

★ والثانية : لشاعر فارس ، عاش حتى أدرك الإسلام ، ولكنه  
لم يسلم بل ناوا الإسلام واشتد في عدايته للرسول - ﷺ - انه  
( دريد بن الصمة ) وقصيدته في رثاء أخيه ( عبد الله ) في  
الجاهلية .

★ والثالثة : معلقة الشاعر الشاب القتييل الذي قتل ولم يتجاوز  
العشرين من عمره .. انه طرفة بن العبد البكري .

★ والرابعة : لشعر الشواعر على مر العصور ( الخنساء ) ،  
والقصيدة من أروع مراثيها في رثاء صخر .

★ ولما كان المشهور لدى المشتغلين بالأدب أن النقائض فن أموى  
النشأة فقد اخترنا نقائض من العصر الجاهلي لشاعرين من بنى  
سليم هما :

العباس بن مرداس وخفاف بن ثدبة .

★ ثم كان اختيارنا لقصائد من الجاهلية في وصف الماء ومقدماته  
وذلك لما للماء من أهمية لدى العربى ، وأبرزت الحالة النفسية  
للشعراء في كل منها .

★ ثم كان ( النثر ) ونصوصه قليلة ليست من الصعوبة في الاختيار  
كالشعر .

وقد القيت الضوء حول شخصية الشاعر صاحب النص ، وتحدثت  
عن شعره ، وآراء النقاد فيه ، ثم عرضت النص ، مبينا مفرداته ،  
وذكرت مناسبة القصيدة ، وشرحتها شرحا تحليليا ، ثم كانت الدراسات  
الفنية لللفاظ والأساليب ، والصور ، والموسيقى .. الخ .

وأرجو أن أكون قد وفقت في الاختيار والدراسة .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب

دكتور/ زكريا عبد المجيد النوتى

القاهرة في : ١ يناير ١٩٩٣ م

( القسم الأول : الشعر )

شاعر صعلوك (١)

« تايبط شرا » أليف الوحش

الصعلاليك : جمع صعلوك .. وهو في اللغة : الفقير الذي لا يملك  
ما يعينه على أعباء الحياة ، وقيل : أن أصل المادة يدور حول  
الضمور والانجراد .

وتطلق كلمة الصعلاليك - عند أهل الأدب - على فئة من الفقراء  
احترفوا السلوك العدواني بقصد المغنم ، واتخذوا لأنفسهم طريقة  
خاصة للعيش .

وهؤلاء الصعلاليك إما أن قبائلهم طردتهم وخلعتهم ، وإما أن  
آباءهم لم يلحقوهم بهم لأنهم من أبناء الجيوش السود ، وهؤلاء  
يطلق عليهم ( أغربة العرب ) وإما أنهم احترفوا الصعلكة باختيارهم .  
واشتهروا بالسرعة الفائقة في العدو ، وأبرزهم فيه ( عروة  
ابن الورد ) ، و ( تايبط شرا ) ، و ( الشنفرى ) .

— وكانوا يهتمون بالحديث عن الفقر وأصدائه في نفوسهم .

يقول ( عروة بن الورد ) لزوجته :

(١) راجع : الشعراء الصعلاليك د/ يوسف خليف ، شعر الصعلاليك منهجه  
وخصائصه د/ عبد الحليم حفتي ، الشعر التجاهلي : د/ شوقي  
ضيف ، في الأدب الجاهلي : د/ علي الجندي ، تاريخ الأدب  
العربي : بروكلمان ، تاريخ التراث العربي : فؤاد سزكين ،  
شعر تايبط شرا : تحقيق سليمان داود القرنة غولي : جبار  
تعبان الجاسم ، الصعلكة والفتوة في الاسلام : أحمد أمين ، الأغاني  
للأصفهاني : ج ٢١ ، وغيرها .

فريش الطوف في البلاد لعلى

اخلبك ، أو أغنيك عن سوء محض

فان فواز سهم للمنية لم أكن

جزوعا وهل عن ذاك من متأخر

وان فواز سهمى كفكم عن مقاعد

لكم خلف أديار البيوت ومنظر

فهو مصر على الاغارة حتى لا تضطر زوجه الى ذل السؤال ،

وهو بين امرين ، اما ان يقتل فهو ارحم لها ، واما ان يغتم فيعزها  
وابناءها .

— وتحدثوا عن تحملهم الجوع وصرهم الشديد عليه .. يقول الشيفري:

أديم مطال الجوع حتى أميته

وأضرب عنه الذكر صفحا فاذهل

— ورغم أنه اشتغلوا بقطع الطريق الا أنهم تحلوا بصفات كريمة

من عفة نفس ، واءاء ، وأنفة .. الخ .

فهم يفضلون الموت بعزة على الحياة بذلة ، يقول ( عروة ) :

وما طالب الحاجات من كل وجهة

من الناس الا من أجسد وشمرا

فسر في بلاه الله والتمس الغنى

تصلى ذا يسار أو تموت فتعذرا

ويقول ( الشنقري ) ؟

وأستف ترب الأرض كي لا يرى له

على من الطول امرؤ متطول

- ٧ -

ولولا اجتناب الذام لم يلف مشرب  
يعاش به الا لدى وماكل  
ولكن نفسا حرة لا تقيم بي  
على الضيم الا ريثما اتحول  
وهو القائل :

وان مدت الايدي الى الزاد لم اكن  
باعجلهم اذ اجشع القوم اعجل  
الى غير ذلك من الاخلاق الطيبة التي زخر بها شعر هؤلاء  
الصعاليك .  
— وقد وصفوا ادوات الحرب في شعرهم وهي : السيف والرمح ،  
والقيس ، والدرع ...  
واطرف اسلحتهم : سلاح العدو ، وهو من اساسيات الصلعة .  
ومن اشهرهم واشعرهم :

#### تابط شرا

وهو : ثابت بن جابر بن سفيان بن عميشل بن عدى بن كعب . .  
ينتهي نسبه الى قبيلة ( فهم ) التي كانت تنزل منطقة الحجاز الجبلية  
والتي كانت معروفة بكثرة لصوصها . .  
ويقال : انه خال ( الشنفرى ) الصعلوك المشهور . .  
و ( تابط شرا ) من اشهر الصعاليك في العصر الجاهلي . كان  
فاتكا ، قويا ، يغلب الرجال ...  
وقد سئل ذات مرة : بم تغلب الرجال يا ثابت وانت دميم ضئيل ؟  
قال : باسمي ، انما اقول ساعة ما القى رجل : انا تابط شرا

فینخلع قلبه حتى أنال منه ما أردت (٢) .

لقبسه :

صرف بلقبه هذا واشتهر به ، مع أنه ليس في صميم نسبه ،  
واختلف في سبب تلقيبه بـ ( تابط شرا ) :

★ قيل : انه لقب به لببت قاله من الشعر ، يصف فيه خروجه في  
أحدى غزواته متابطا شرا (٣) :

تابط شرا ثم راح أو اغتدى

يوائم غنما أو يشيف على ذحل

★ وقيل : أن أمه عندما سئلت عنه قالت : لقد تابط شرا وخرج ،  
وكان قد وضع تحت أبطه سكيناً أو سيفاً ..

★ وقيل : أن أصحاب الثروات والأموال هم الذين لقبوه بـ ( تابط  
شرا ) لخوفهم منه ، ولشجاعته وإقدامه ، وكثرة تقلده سيفه ،  
وتأهبه لكل مكروه (٤) ..

وكان ( تابط شرا ) أحدى ذى رجلين وذى ساقين ، وأبصر ذى  
عينين ، وفي ذلك يقول (٥) :

لا شيء أسرع منى غير ذى عذر

أو ذى جناح بجنب الريد خفـاق

(٣،٢) الأغاني : ج ٢١ ص ١٢٥ وما بعدها ، والديوان : ص ١٣٥ ،  
غنما : أي غنيمة ، يشيف : يغتدى ، ذحل : الشار أو طلب  
مكافأة بجناية جنيت عليك ..

(٤) مقدمة الديوان : ص ١٥ .

(٥) الجمهرة : ٢٧٦/١ ، والفضليات : ٢٣ .

وكان اذا جاع لم تقم له قائمة ، ينظر الى الطباء ، فينتقى  
اسمها ، ثم يجرى خلفه فيذيبه بسيفه ، ثم يشويه فياكله (٦) .

وله مع الغول قصص في شعره ، ويبدو أنه قد نسجت حوله  
الاساطير حتى صار كانه بطل اسطوري خارق .

ومات ( تابط شرا ) مقتولا ، قتل في ديار هذيل في غزوة من  
غزواته ، وكان البيت الذي اغار عليه لـ ( ساعدة بن سفيان ) أحد  
بنى حارثة بن قريم فرمى ابن لـ ( ساعدة ) يسمى ( مغيان )  
ـ كان يريا لابيه ـ تابط شرا بسهم فاصاب لبته فقتله (٧) .  
وهناك روايات أخرى حول مقتله .

#### شاعرية تابط شرا وشعره :

اهتم القدماء بشعر ( تابط شرا ) ولم يغفلوه ، بل وضعوه في  
مقامه اللائق به .

وأول من تعرض لشعره (المفضل الضبي) في (المفضليات) .. فقد  
افتتح المفضليات بقصيدة ( تابط شرا ) القافية التي يقول فيها :

يا عيد مالك من شسوق وابراق

ومرطيف على الاهـوال طراق

وكون المفضل يفتتح مجموعته الشعرية بقصيدة لتابط شرا يدل  
على مكانة شعره عنده .

وأورد ( الخالديان ) في الاشباه والنظائر شعرا لـ ( تابط شرا )  
فقالا : ومن جيد المراثي ونادرها ـ لفظا ومعنى ـ قول ( ثابت بن جابر  
ابن سفيان الفهمي ) يرثى ( الشنفرى ) بقوله :

(٦) الاغانى : ج ٢١ .

(٧) شرح اشعار الهذليين ٨٤٥/٢ ، معجم ما استعجم ٤٢٤/١ .

فإن تلك نفس الشنفرى حم يومها  
وراح له ما كان منه يحاذر  
فما كان بدعا أن يصاب فمثله  
أصيب وحم الملتجون الفوادر

وفى عصرنا هذا اهتم الشاعر الألماني ( جوته ) بقصيدة  
لتابط شرا وترجمها (٨) .

شعره :

تعددت أغراض شعر ( تابط شرا ) فكان منها : الفخر بنفسه  
وبجماعة الصعاليك التى ينتمى إليها .. فمن فخره بنفسه قوله فى  
رجل تسمى باسمه :

ألا هل أتى الحسناء أن حبلها  
تابط شرا واكتنيت أبا وهب  
فهيه تسمى اسمى وسميت باسمه  
فأين له صبرى على معظم الخطب  
وأين له بأس كياسى وسورتي  
وأين له فى كل فادحة قلبى  
والحكمة كقوله :  
وأجمل موت المرء - أن كان ميتا  
ولابد يوما - موته وهو صابر  
وخفض جأثى أن كل ابن حرة  
الى حيث صرت لا محالة صائر

(٨) راجع مقدمة الديوان : ص ٥٩ وما قبلها .

وقد وصف الحرب وأدواتها ، وعلامه فيها ..

ويكاد شعره يخلو من الخزل في مقدمات قصائده ، وهي سمة  
عامة في شعر الصعاليك .

وأما المدح فقليل في شعره ، وهو من نصيب رفقائه في الصعلكة ،  
« ذلك أن المدح عند الشعراء مرتبط بالتكسب والاستجداء ، وتباطئ شرا  
والصعاليك أبعد ما يكونون عن السؤال والتطلع الى ما في يد الغير ،  
فلقد اعتاد الشاعر أن يكسب قوته بقوته » (٩) .



---

(٩) الصعلكة والفتوة في الاسلام : أحمد أمين ص ٤٥ .

النص

« اليف الوحش » (١)

- ١ - وقالوا لها لا تنكحيه فأنه  
لاول نصل أن يلاقى مجمعا (٢)
- ٢ - فلم ترمي رأى فتيل وحاذرت  
تايمها من لابس الليل أروعا (٣)
- ٣ - قليل غرار النوم أكبر همه  
دم الشار أو يلقى كميا مقنعا (٤)

---

(١) استعرت هذا العنوان من كتاب ( الروائع من الأدب العربي ) ،  
والقصيدة في الأغاني ( دار ) ١٤٥/٢١ ، وشعر ( تابط شرا )  
ص ٩٧ - ١٠٠ ، والروائع من الأدب العربي ص ٤٤٩ وما بعدها .  
(٢) لاول نصل : أي يموت لاول ضربة سيف . والمصدر المؤول بدل  
من نصل : أي يموت لاول لقائه جمعا من المغيرين . مجمعا :  
جمعا من الأعداء .

(٣) الفتيل : الخيط في شق النواة ، والفتيل والنقير والقطير يضرب  
بها المثل في حقارة الشيء وعدم نفعه . والرأى الفتيل : الضعيف  
والتايم : الترميل . لابس الليل : كثير الغارات ليلا ، فهو من  
أبناء الليل الذين يفعلون أفاعيلهم بالليل ، وقيل هو كناية عن  
الحذر . أروع : ذكي الفؤاد أو يعجب بشجاعته .

(٤) غرار النوم : النوم الخفيف . الكمي : البطل الشجاع في كامل  
سلاحه . المقنع : الملتزم الذي يلبس القناع .

- ٤ - قليل ادخار الزاد الا تعلسه  
فقد نشز الشر سوف والتصق المعى (٥)  
٥ - يبيت بمغنى الوحش حتى الفنه  
ويصبح لا يحمى لها الدهر مرتعا (٦)  
٦ - راين فتى لا صيد وحش يهمه  
فلو صافحت انسا لمصافحه معا  
٧ - ولكن ارباب المخاض يشفهم  
اذا افتقدوه او راوه مشيعا (٧)  
٨ - وانى - ولا علم - لاعلم اننى  
سالى منان الموت يرشق اضلعا (٨)  
٩ - غرة او جهرة من مكائر  
اطبال نزال الموت حتى تسعسا (٩)

- (٥) التعلسه : الاكتفاء بما يتعلل به من الزاد : الشر سوف : الطرف  
اللين من الضلع مما يلى البطن . المعى : واحد الامعاء . نشز  
الشر سوف : برز .  
(٦) مغنى الوحش : مقامه .  
٧ - ارباب المخاض : اصحاب الابل الحوامل . يشفهم : يؤرقهم ويكد  
عيشهم ويهزلهم ، ويسبب لهم العناء فى المحافظة عايتها . مشيعا :  
قد تكون من الشيوع والمعنى : حاضر ، وقد يكون المعنى ان له  
..... إذا اقتفروه .....  
اى تتبعوا اثره فحينئذ يكون بمفرده ومع ذلك فهم يخافونه .  
(٨) منان الموت : اى الموت نفسه ، وقد شبهه بالسلاح . يرشق  
اضلعا : يرمى اضلعه .  
(٩) غرة : غفلة . مكائر : كثير الغارات ، يعنى نفسه ، تسع :  
فنى وذهب .

- ١٠ - وكنت أظن الموت في الحى أو أرى  
الذ وأكرى أو أموت مقنعصا (١٠)  
١١ - ولست أبیت الدهر الا على فتى  
أملیه أو أذعر السرب أجمعا (١١)  
١٢ - ومن يقرب الأبطال لابه أنه  
سيلقى بهم من مصرع الموت مصرها  
١٣ - يماصعه كل يشجع قومه  
وما خسر به هام العدا ليشجعا (١٢)

المناسبة :

قال ( تايبط شرا ) هذه القصيدة بعد أن خطب امرأة ، فأرادت  
أن تتزوجه ، ووعدته بذلك ، فلما جاءها وجدها قد رغبت عنه ،  
فقال لها : ما غيرك ؟

فقالت : والله إن الحسب لكريم ، ولكن قومي قالوا : ما تصنعين  
برجل يقتل لأول نسل ، وتيقين بلا زوج ، فانصرف عنها وهو يقول  
هذه القصيدة .

ويتحدث فيها عن ثلاث طوائف من هؤلاء المالة كان يوجه إليهم  
غزواته : أصحاب المواشى ، وأصحاب المزارع الخصبية ، وأصحاب  
النشوق الحوامل .

- (١٠) فى الديوان : فكيف . روى ( الد ) ومعناه : أخاصم . أكرى :  
أزيد . المقنع : من يلبس الخوذة على رأسه .  
(١١) أسليه : استولى على كل ما معه من مال ومتاع .  
(١٢) يماصعه : يجالده ويقاتله . ليشجعا : أى ليقال انه شجاع .

#### شرح الأبيات :

لقد عرف الناس عن تابيط شرا أنه مغامر ، يستهين بالموت ، فهو معرض له بين الحين والآخر ، حتى أنهم نصحوا الفتاة أن ترفض الزواج منه ، حتى لا تتأيم سريعا بمجرد أن يصيبه أول سهم من جماعة يلاقيهم .

إن الفتاة لم تعر عرض الزواج التفاتا لأنها خشيت هذا التأيم . . ويتحدث الشاعر عن نفسه ، فهو الحذر اليقظ الذي حين ينام لا يستغرق في نومه بل أنه يكون إلى اليقظة أقرب ، وكيف يستغرق في النوم وأكبر همه الشار الذي يتطلب يقظة وحذرا ولا سيما أنه يلقي شجعانا صناديد بوسائل لأبى الدروع مقنعين . . وإذا لم يطلبهم فإنهم يطلبونه .

وأنه لا يدخر زادا ، ولا يريد منه إلا ما يسد به رمقه ، ويتعلل به ، وقد ظهر أثر الجوع في جسده وأضلاعه حتى برزت رموس الأضلاع والتصقت بطنه بظهره لخلوها من الطعام ، فهو يؤثر غيره من الفقراء الجياع على نفسه .

وبعد أن تحدث عن طعامه وطريقته في الأكل ، أخذ في الحديث عن موطنه الذي يعيش فيه فذكر أنه يبني في المكان الذي يبني فيه الوحش لدرجة أن الوحش ألفت له لطول عيشه بينها ، مسالما لها ، فأنست به ، وأطمأنت إليه ، وهو لا يمنعها من الرعى فهي لا تخافه لأن همته مصروفة إلى غيرها . وهذا مما يدل على قوة ثباته .

وإذا كانت الوحش تأنس به ، فإن أرباب الأبل الحوامل يخشونه على أبلهم ، فهم يفزعون حين يفتقدونه فلا يجدونه ، أو حين يرونها حاضرا ، أنه مصدر فزع دائم لهم في حله وترحله ، في غيابها

وحضوره ، اذ يكلفهم الكثير فى المحافظة على ابلهم خوفا  
من اغارته عليها .

وهذه احدى الطوائف التى يغير عليها (اصحاب النوق الحوامل)  
ويقول :

اننى على يقين من ان الموت امر لا مفر منه ، واننى مهما  
عمرت فلا بد ان القى سنانى ترمى اضلعى وتودى بى . وقد يكون ذلك  
على حين غفلة أو جهارا . وحينئذ ينال الموت من فارس اكثر من  
الاغارة والغزو وعشق نزال الابطال حتى ولى اكثره .

وقد كنت اعدنى ميتا ما لبثت فى الحى أو فى موطن من المواطن  
حتى اخرج للغزو فالتذ به ، وايزيد متعة ، أو اموت وعلى رأسى  
البيضة ( الخوزة ) .

وقيل : المعنى : ان الشاعر يرى ان الموت الحقيقى فى البقاء  
فى الحى ذليلا ، لا فى الخروج للغارة والعدو المتصل حتى الموت  
فى ساحة الكفاح بطلا مسلحا فى سبيل مبادئه وأهدافه ، انه لا يريد  
ان ينتظر أجله وهو قانع بحياة الذل والهوان على هامش القبيلة  
وانما يريد ان يخرج اليه ليلقاه فى ساحة الكفاح المسلح من أجل  
الحرية والكرامة (١٣) .

وانه لا يتريص لأناس بعينهم ، ولكنه يتعرض لكل من يسوقه  
حظله العائر النكد الى منطقة تريصه ، وهو لا يقر له قرار ، ولا يرتاح  
له بال الا اذا اصاب فردا يسلبه كل ما معه .  
وانه ليتوقع ان سوف يلقى مصرعه يوما ، فمن الطبيعى ان الذى

---

(١٣) راجع : الروائع من الادب العربى - الجزء الاول - العصر  
الجاهلى : ص ٤٥١ وما بعدها .

يطارد من اعداء كثير لابد ان ينالوه يوما . ولكانى به يلتمس العذر  
لتلك الفتاة فى رفضها الزواج من رجل هذه نهايته - وقد تكون  
قريبة .

وفى النهاية يؤكد فتوته وقوته ويستأثفه حين يذكر ان اعداءه  
يشجعهم اقوامهم ويقفون من خلفهم ، أما تابط شرا فانه لا يضرب  
هام اعدائه بغية قول القوم عنه انه شجاع ، فذلك أهون شيء عنده .  
وقد يكون المعنى : ان اقوام خصومه يشجعونهم ويساندونهم ، أما هو  
فيقف وحده فى وجه هؤلاء ولا يحتاج الى سند او معين .



#### التعليق :

حين نقرأ هذه القصيدة نشعر ان اضطرابا قد أصاب ترتيب  
الآبيات فيها ، وهذا راجع الى الرواة ، فالقصيدة قد وردت فى الاغانى  
وفى الخماسة ، وفى الديوان والترتيب مختلف فى كل منها عن الاخرى .  
وترتيبها فى الاغانى - فيما أرى - اقرب الى حقيقتها التى  
نطلق بها الشاعر ، وادنى الى الوحدة العضوية ، والى الواقع ايضا .  
ولنتظن مثلا - فى ختام القصيدة فنجدها ختمت فى الاغانى بهذا  
البيت :

ومن يضرب الأبطال لابد أنته

سيلقى بهم من مصرع الموت مصرعا

فهو بمثابة قفل محكم للقصيدة ، ويتفق مع الواقع ، فنهاية  
الحياة الموت وعلى الأبطال - امثال تابط شرا - أن يتوقعوا القتل  
على يد أحد اعدائهم ، وكأنه - كما ذكرت - يعود الى بدء القصيدة ،  
ويلتمس عذرا لتلك الفتاة التى ان تزوجته متتايم اليوم او غدا .  
( م ٢ - الأدب الجاهلى )

من الألوان البيانية :

قوله :

.....  
لاول نصل ان يلقى مجمعا

كناية عن قتله من اول جماعة يلقونه .

وقوله :

.....  
فلم ترى من راي فتيل .

كناية عن عدم سداد رأيها

وقوله :

.....  
لابس الليل

كناية عن كثرة غاراته بالليل ، وقيل : كناية عن الحذر .

خصائص شعر تايبط شرا :

حين نتحدث عن شعر تايبط شرا فان الحديث يكون عن جزء من شعر الصعاليك ، ذلك الشعر الذي اتسم بسمات معينة تميز بها عن سائر الشعر الجاهلي ..

وهذه الخصائص وان اشترك فيها الصعاليك الا ان درجات شيوع خاصية من الخصائص تتفاوت فيما بينهم قلة وكثرة ، وهذا امر بدهي فالبينة وان كانت واحدة الا ان الشخصيات متميزة متفاوتة .

ومن خصائص شعر الصعاليك :

١ - غلبة المقطوعات على شعرهم ، وهذا يتلاءم مع طبيعة حياتهم ، وظروف معيشتهم ، فهم مشغولون بالاعارة والحرب ، وليس عندهم وقت لتطويل قصائدهم .

وقد يكون هذا الشعر ناقصا ، بسبب عدم اهتمام قبائل الصعاليك بحفظ ورواية هذه الأشعار .

وأطول ما ( لتأبط شرا ) قصيدتان ، أحدهما في رثاء  
( الشنفرى ) وهى سبعة وعشرون بيتا ، والثانية - وهى قافية -  
سنة وعشرون بيتا .

٢ - الوحدة الموضوعية : فمن اليسير وضع عنوان للقصيدة يدل عليها  
من بدايتها الى نهايتها ، فبالقصيدة ذات موضوع واحد ، وليس  
فيها مقدمة طلبية ، بخلاف الشعر الجاهلى فبالقصيدة فيه متعددة  
الموضوعات .

٣ - شيوع اللفاظ الغريبة .

فالناظر فى شعر الصعاليك يشعر - أحيانا - أنه أمام مجموعة من  
الطلاسم اللفظية ، يضطر إزاءها للرجوع الى المعاجم اللغوية  
المطولة (١٤) ..

وهناك ألفاظ لم يعثر عليها اللغويون الا فى شعر الصعاليك  
ولعل أكثر الصعاليك أغرابا ( تأبط شرا ) .

يقول ابن منظور (١٥) : ان ( الخيعاية ) - بمعنى الردى - لم  
يسم الا فى قول ( تأبط شرا ) .

ولا خزع خيعاية ذى غوائل

هيام كجفسر الأبطح المتعيل (١٦)

---

(١٤) الشعراء الصعاليك : يوسف خليف ص ٣٣١ .

(١٥) اللسان : ( خعب ) .

(١٦) اللسان : خعب ، والخزع : المريع التثنى والانكسار . خيعاية :  
الردىء أو القصف المتكسر ، وقيل المأبون . الأبطح : مسيل  
واسع فيه دقاق الحصى . المتهيل : شديد الانحدار .

ويذكر ابن سيدة أنه يقال رجل ترعية لمن صناعته وصناعة آبائه  
الرعاية ، أما ترعى بغير هاء ، فإنه نادر ، وقد ورد في قول تايبط  
شرا (١٧) .

ولست بترعى طسويل عشاؤه .

يؤنفها مستأنف الذيت ميهيل  
ويؤنونه ملء بهذه اللفاظ الغريبة . . . ولذلك زخرت كتب اللغة  
والمعاجم بشعره .

٤ - الواقعية . . . وهي من سمات الشعر الجاهلي عموما والصعاليك  
خصوصا .

ومن مظاهر هذه الواقعية :

( أ ) أن شعرهم بمثابة مذكرات شخصية ، دون كل منهم فيه  
خواطره ، دون تزييف ، ولا مبالغة ، فشعرهم صورة لحياتهم

بفقرها وجوعهم ، وهزالهم ، وهرانهم على الناس .

( ب ) ظهور الخبرة العملية في شعرهم (١٨) . نحن يتحدثون عن

الحيوان - مثلا - فحديثهم حديث الخبير ، ومن هنا اعتمد

رعا أصحاب كتب الحيوان - كالجاحظ - على شعرهم في هذا  
الصدق .

( فتايبط شرا ) حين يصف الحية يذكر أن خروجها يكون ( بعيد

قنروب الخنثى ) وهو تحديد دقيق لوقت خروج القاعى من جحورها

تؤيده الخبرة العملية ، وهذا ليس بغريب عليه ، فهو مضطر إلى

(١٧) اللسان : رعى ، يؤنفها : يتتبع بها أنف المرعى . ميهيل :

تأرك إلى مهمليها .

(١٨) راجع الشعراء الصعاليك : يوسف خليف ٢٨٧ ، ٢٨٨ .

ملاحظة هذه الظواهر ، وقد قيل له (١٩) : « هذه الرجال غايبت فكيف لا تنهشك الحيات في براك ؟ فقال : انى لا أسرق البردين يعنى أول الليل لأنها تمسور خارجة من جدرانها ، وأخير الليل تمسور مقبلة اليها » .

( ج ) الدقة في التعبير ( ٢٠ ) : بحيث تكون العبارة واضحة محددة تحديدا لا غموض فيه ولا التواء . فحين يعتذر ( تابط شرا ) عن فراره من أعدائه مخلفا صاحبه لهم نراه يضع المسألة وضعا ( حسابيا ) فماذا يفعل وقد نظر فاذا هؤلاء الأعداء أكثر من ثلاثة أمثالهما ؟ ولو أنهم كانوا مثلهما أو ثلاثة أمثالهما ما فر مخلفا صاحبه لهما :

تقول : تركت صاحبيا لك ضائعا ( ٢١ )

وجئت الينا فارقا متباطنا

إذا ما تركت صاحبى لثلاثة

أو اثنين مثلينا فلا أبت أمنا

٥ - عدم التزام التصريح . وهى ظاهرة توشك أن تكون مطردة فى كل شعرهم .

( ١٩ ) الأغاني : ١٣٠ / ٢١ ( دار ) .

( ٢٠ ) الشعراء الصعاليك : ص ٢٨٤ .

( ٢١ ) الأغاني : ١٣٥ / ٢١ . فارقا متباطنا : فارقت وجئت متخفيا .

وفى البيت الثانى : يدعو على نفسه أن كان ترك صاحبه لعدد قليل وانما هو جمع لا قبل لهما به .

ويعمل الدكتور يوسف خليف لذلك قائلا (٢٢) :

« وتعليلها هندی يرجع الى تلك الثورة التي كانت تجيش بها نفوس الصعاليك على اوضاع مجتمعهم ، والى تلك الحرية التي كانوا يعيشون فيها والتي كانت ترفض الخضوع لتقاليد مجتمعهم .. فكان شعرهم نائرا على الاوضاع الفنية في الشعر الجاهلي القبلي » .

\* \* \*

## دريد بن الصمة يرثى أخاه

الشاعر :

هو : دريد بن الصمة ، من جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن  
ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان .  
كنيته : أبو قرة .

وهو أحد الشجعان المشهورين ، وذوى الرأى فى الجاهلية ، وقد  
كان أطول الفرسان الشعراء غزوا ، وأبعدهم أثرا ، وأكثرهم ظفرا ،  
وأيمتهم نقيبة عند العرب (١) .  
قال أبو عبيدة (٢) :

كان دريد بن الصمة سيد بنى جشم وفارسهم وقائدهم ، وكان  
مظفرا ، ميمون النقيبة ، غزا نحو مائة غزاة ما أخفق فى واحدة  
منها .

كان دريد صديقا لمعاوية بن عمرو الشريد أخى الخنساء ، فمر  
بالخنساء يوما وهى تهنتا بعيرا لها وقد تبدلت حتى فرغت منه ، ثم  
نضت عنها ثيابها فاغتسلت ودريد بن الصمة يراها وهى لا تشعر به  
فأعجبته ، فأنصرف الى رحله وأنشأ يقول :

حيوا تماضر وأربعوا صحبى

وقفوا فان وقفكم حسبى

أخناس قد هام الفؤاد بكم

وأصابه تبلل من الحنب

(١) الأغاني : ٣/١٠ .

(٢) نفسه .

ما ان رايت ولا سمعت به  
كاليوم طالى اينق جرب  
متبذلا تيدو محاسنه  
يفسع الهناء مواضع النقب (٤)  
متحسرا نضج الهناء اذا  
نضج العبير بريطة العمب (٥)  
فسليهم عنى خنساء اذا  
عفى الجميع الخطب ما خطبى ؟

فلما أصبح غدا على أبيها فخطبها اليه ، فقال له أبيها (٦) :  
مرحبا بك أبو قرة ! انك الكريم لا يطعن فى حسبه ، والسيد لا يرد  
عن حاجته ، والفجبل لا يقرع انفه ..

ولكن لهذه المرأة فى نفسها ما ليس لغيرها ، وأنا ذاكرك لها  
وهى فاعلة . ثم دخل عليها وقال لها : يا خنساء ، أتاك فارس  
هوازن وسيد بنى جشم دريد بن الضمة يخطبك وهو من تعلمين ،  
ودريد يسمع قولها .

فقلت :

يا أبت أترانى ثاركة بنى عمى مثل عوالى الرماح وتاكحة شيخ  
بنى جشم هامة اليوم أو غد !!  
وكان دريد قد سمع ردها هذا .. ووصله هجاؤها أياه قائلة :

(٣) نفسه : ٢٣/١٠ .

(٤) الهناء : القطران . النقب والنقب : القطع المتفرقة من الجرب

(٥) فى رواية ( العطب ) وهو : القطن .

(٦) فى رواية الأغاني ، ط دار الكتب أنه خطبها الى أخيها وهو  
الصحيح اذ لا يتأتى أن تقول لأبيها ( هبلت ) .

- ٣٤ -

أتخطبني ، هبلى على دريد  
وقد أطردت سيد آل بدر  
معاذ الله ينكحنى حبير كى  
يقال أبوه من چشم ين بكر  
ولو أميت فى چشم هدى  
لقد أميت فى دنس وفقير  
فغضب دريد من قولها وقال يهجوها :  
وقالك الله يا ابنة آل عمرو  
من الفتيات أمثالى ونفسى  
فلا تلدى ولا ينكحك مثلى  
إذا ما لييلة طرقت وتحس  
لقد علم المراضع فى جمادى  
إذا استعجلن عن حبير بنهس (٧)

الى أن يقول :

وتزعم أننى شيخ كبير  
وهل خيرتها أنى ابن أمس  
ف قيل للخنساء : ألا تجيبينه !! فقالت : لا أجمع عليه أن  
أرده وأهجو (٨) .  
وقد أدرك الإسلام لكنه لم يسلم بل كان من ألد أعداء النبي

(٧) الحز : القطع . النهس : تعرق ما على العظم وانتزاعه بمقدم  
الأسنان .

(٨) القصة بكاملها فى الأملح ١٠ / ٣٠ وما بعدهم .

- يفتي - وقتل سنة ٨ هـ يوم حنين وهو في صفوف المشركين ، وكان حينئذ شيخا كبيرا ضريرا ، فسأل : ياى واد أنتم ؟  
قالوا : باوطاس . قال : نعم مجال الخيل ، لا حزن ضرس ، ولا سهل دهن ، ثم قال لمالك بن عوف :  
ما لى أسمع بكاء الصغير ، ورغاء البعير ، ونهاق الحمير ، ويعار الشاء فقال مالك :  
يا أبا قرة ، انى سقت مع الناس أموالهم وذرايرهم ، وأردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وماله يقاتل عنه ، فانقض به دريد ، ثم قال :

رويعى ضان والله ! وهل يرد المنهزم شيء ؟

وقال : هذا يوم لم أشهده ولم أغب عنه ، وقال :

يا ليتنى فيها جذع      أخب فيها واضع  
أقود وطفاء الزمع      كأنها شاة صدع (٩)

★ ★ ★

منزله الشعيرة :

نشأ دريد فى أسرة شاعرة ، فهو من بيت شعر .. فابوه (الصمة)  
كان شاعرا ، وقد أورد له الأصفهاني شعرا فى الأغاني .

(٩) الأغاني ٣٠/١٠ وما بعدها ، والعقد الفريد ١١٩/١ ، ١٢٠ ، وهى

فى كتب السيرة أيضا . والجذع : صغير السن . والخب

والوضع : ضربان من السير للابل .

الوظفاء : طويلة الشعر . الزمع : الشعر الذى فوق مريط

قيد الدابة . صدع : وسط بين العظيم والحقير .

وكان أخوه ( مالك بن الصمة ) شاعرا ..  
 ثم كان له ابن يقال له ( سلمة ) - شاعرا أيضا -  
 وبنت يقال لها ( عمرة ) شاعرة كذلك ( ١٠ ) .  
 وأما عن منزلة ( دريد ) لدى النقاد :  
 فقد جعله الأصمعي من الفحول ، وفضل شعرا له على شعر  
 السابغة الذبياني ( ١١ ) .  
 وذكر ابن قتيبة له شعرا تحت عنوان : ( ومن جيد شعره .. )  
 وذكر أبياتا من النص الذي معنا ( ١٢ ) .  
 وجعله ابن سلام أول الشعراء الفرسان قال :  
 وقد كان أطول الفرسان الشعراء قسزوا ، وأبعدهم أثرا ، وأكثرهم  
 ظفرا ، وأيمتهم نقيبة عند العرب ، وأشعرهم « دريد بن الصمة » ( ١٣ )  
 وقال أبو عمرو بن العلاء :  
 أحسن شعر قيل في الضبر على النواثب قول ( دريد بن الصمة )  
 حيث يقول :

نقول : ألا تبكي أخاك ! وقد أرى  
 مكان البكا لكن بنيت على الصبر  
 لمقتل عبد الله والهالك الذي  
 على الشرف الأعلى قتيل أبي بكر

- 
- ( ١٠ ) الأغاني ٤/١٠ ، ٢٧ .  
 ( ١١ ) فحولة الشعراء : ٣٠ ، الموشح : ٤١ ، تاريخ التراث العربي :  
 ٢٧٣/٢ .  
 ( ١٢ ) الشعر والشعراء : ٧٥٠ .  
 ( ١٣ ) الأغاني : ٥/١٠ .

الى أن يقول :

يفار علينا واتسرون فيشتفى

بنا أن اصبنا أو نغير على وتر

قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا

فبلا ينقضى الا ونحن على شطير (١٤)

وذكر أبو هلال العسكري في ديران المعاني : أن أبلغ ما قيل

في مساعدة الرجل أخاه قول ( دريد بن الصمة ) .

فلما عصوني كنت متهم وقد أرى

غوايتهم وأننى غير مهتد



(١٤) الأبيات في الأغاني والحماسة والبيان والتبيين ٣/٣٣٠، ٣٣١،

ورواية البيت الثانى له :

فقلت : أعبد الله أبكى أم الذى

على الجذث النائى قتيل أبى بكر

الواتر : الذى يدرك وتره أى ثاره .

النص

- ١ - أَرثَ جَدِيدَ الْجَبِيلِ مِنْ أُمِّ مَكْلَبِ بْنِ  
بَنَسَاقِبَةٍ وَأَخْلَفَتْ كُلَّ مَوْعِدٍ
- ٢ - وَبَايَتْ وَلَمْ أَحْمَدَ إِلَيْكَ جِسْرَهَا  
وَلَمْ تَبْرَحْ مَسَارِدَةَ الْيَوْمِ أَوْ غَدٍ
- ٣ - اعْزَازِلْ : أَنْ الرِّزَّةَ فِي مَثَلِ خَالِدٍ  
وَلَا رِزَّةَ قِيمَا أَهْلَكَ الْمَرْءَ عَنْ يَدٍ

(١) أَرثَ : أصبح رثا بالينا . يعاقبة : : أى فى النهاية كقولهم : عقب  
كذا .

(٢) بايأت : فارقت . الردة : الرجوع .

(٣) العاذل : اللاتم وهى زوجة التى لامته الشدة وجده وتحزنه على  
أخيه . الرزة : المصيبة . خالد : أما أخوه خالد بن الصمة الذى  
قتله بنو الحرث بن كعب ، وأما عمه خالد بن الحرث الذى قتله  
بنو حمس وهم بطن من شعوة .

وقد ذكر الأصفهاني أخوة دريد وعد منهم : خالد بن عبد الله .  
قال محقق الأغاني : والتصريح بهذا الاسم فى هذا الشعر الذى قاله  
دريد فى رثاء أخيه عبد الله ناضية يدل على أن عبد الله وخالد  
وعارضا ثلاثة أسماء لشخص واحد ، وقد ضرح شارح الخزانة  
بذلك حيث قال :

عارض هو أخو دريد وكانت له ثلاثة أسماء : عارض ،  
وعبد الله ، وخالد . ولعل كنى فى : أبو أوفى ، وأبو ذؤافة ،  
وأبو فرعان وأبو فرعان .

- ٤ - وَقُلْتُ لِعَرَضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضٍ  
وَرَهْطِ بَنِي السُّودَاءِ وَالْقَوْمِ شُهْدَى
- ٥ - عَلَانِيَةً ظَنُّوا بِالْفِي مَدَجَجٍ  
سَرَائِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمُسَرَّدِ
- ٦ - أَمَرْتَهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوَى  
فَلَمْ يَسْتَبِينُوا بِالرَّشْدِ الْأَضْحَى الْغَدِ
- ٧ - فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى  
غَوَايَتَهُمْ وَأَنْنَى غَيْرَ مَهْتَدِ

(٤) عراض : قوم بنى جشم كان دريد قد نهاهم عن النزول حيث نزلوا  
فعضوه . ورهط بنى السوداء منهم وهم أصحاب أخيه عبد الله .  
القوم شهدى : شهودى .  
ورواية البيت فى الاغانى والعقد الفريد :  
وقلت لعارض وأصحاب عارض :

(٥) علانية : على مسمع من القوم . ظنوا : أيقنوا ، أو معناه : ماظنكم  
بالفين من الأعداء راصدين لكم بريقبونكم . المدجج : التام السلاح ،  
من الدجة وهى شدة الظلمة ، لأن الظلمة تستر كل شئ والمدجج  
يستر نفسه بالسلاح . سراتهم : أشراقهم وسادتهم . الفارسى  
المسرّد : عنى به الدروع المتتابعة الحلق فى نسجها .  
(٦) منعرج اللوى : موضع كانت به الوقعة التى قتل فيها أخوه  
عبد الله بن الصمة .

ورواية البيت فى العقد :

..... بمنقططع اللوى

.....

### ٢٠٠٠

- ٨ - وهل أنا إلا من غزية أن غسوت  
غويت ، وان ترشد غزية أرشد  
٩ - وان تعقب الأيام والدهر تعلموا  
بنى قارب أنا غضاب بمعبد  
١٠ - تنادوا فقالوا : أردت الخيل فارما  
فقلت : أعبد الله ذلكم الردى ؟  
١١ - وان يك عبد الله خلى مكانه  
فما كان وقافا ولا طائش اليد  
١٢ - ولا برما اذا السرياح تناوحت  
برطب العضاء والضريع المعضد

(٨) غزية : قبيلة من هوازن. تنسب الى غزية بن جشم أحد أجداد  
دريد بن الصمة . غويت : اتبعت غوايتهم .  
(٩) تعقب الأيام : تمر وتأتي أعقابها . معبد : يقصد به أخاه .  
ورواية البيت في العقد :

.....

بنى غالب أنا غضاب لمعبد

- (١٠) الردى : الهالك ، من الردى وهو الهلاك .  
(١١) خلى مكانه : مات . الوقاف : الجبان الهيب المحجم عن القتال .  
طائش اليد : أي كان مصيبا في رميه وطعنه ولم تكن يده تطيش  
عند الرمي .  
(١٢) البرم - يفتح الراء - الذي لا يدخل مع القوم في الميسر .  
ويكسر الراء : الضجر . تناوحت الرياح : هبت صبا مرة ،  
وشمالا مرة ، وجنوبا مرة .. ومعناه : اشتد هبوبها . رطب  
العضاء : كل شجر يعظم وله شوك ممتد ، الواحدة : عضاة .  
الضريع : نبت بالحجاز له شوك كبار . المعضد : يقال : عضد  
الشجرة : اذا نثر ورقها لابله ، أو قطع فروعها بالمعضد ويكون  
كذلك - ضريعا - في الصيف اذ يبس لقللة الماء .

- ١٣ - كميث الازار ، خارج نصف ساقه  
صبور على العزاء ، طلاع أنجد  
١٤ - رئيس حروب لا يزال ربيثة  
مشيحا على محقوق الصليب ملبد  
١٥ - صبور على رزء المصائب حافظ  
من اليوم أديار الأحاديث في غد

(١٣) الكميث : الماضي العزم السريع في اتخاذ قراراته . . كميث  
الازار : فيه اضافة السرعة الى الازار على سبيل المجاز .  
العزاء : الشدة . طلاع أنجد : الجمع نجد وهو ما  
ارتفع من الأرض ، ويقصد هنا أنه ماض في أموره يذلل  
صعبها ويقتحمها بعزم وأصرار .  
(١٤) الربيثة : الطليعة ، وهو الذي ينظر للقوم لئلا يدهمهم عدو ،  
ولا يكون الا على جبل أو مكان عال . المشيح : الجاد .  
المحقوق : المعوج . الملبد : الفرس شد عليه لبد السرج .  
(١٥) هذا البيت ذكره ( ابن عبد ربه ) في العقد الفريد ١٥٤/٣  
تحت عنوان ( كتمان البلاء اذا نزل ) وروايته فيه هكذا :  
قليل التشكى للمصائب ذاكر  
من اليوم أعقاب الأحاديث في غد  
وروايته في الحماسة والأغاني :  
قليل التشكى للمصائب حافظ

. . . . .

وفي البيان والتبيين :

قليل التشكى للمصائب ذاكر

. . . . .

- ١٦ - صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه  
فلما علاه قال للباطل : ابعده
- ١٧ - وهون وجدي اننى لم اقل له  
كذبت ولم ابخل بما ملكت يدى
- ١٨ - وكنت كائن واثيق بمصدر  
يمشى باكنشاف الحبيب فمحتد
- ١٩ - غداة دعانى والرماح ينشئه  
كوقع الصياصى فى النسيج الممدد
- ٢٠ - وكنت كذات البو ريعت فاقبلت  
الى جذم من مسك مقب مجلد

ذكر الاصفهاني - بسنده - ان يونس كان يقول : افضل بيت  
قالته العرب فى الصبر على النوائب قول دريد بن الصمة .  
وذكر البيت - الاغانى ١٠/١٠ .  
وقد رواه مرة اخرى هكذا :  
صبور على وقع المصائب . . . . .

- (١٦) صبا : من الصبوة وهى الفتوة واللهو .  
(١٨) المصدر : السابق من الخيل . الاكناف : النواحي . الحبيب ومحتد :  
موضعان .  
(١٩) ينشئه : يتناولنه . الصياصى : جمع صيصة وهى الشوكة التى  
يسوى بها الحائك السداة واللحمة .  
(٢٠) البو : ولد الناقة يذبح ويحشى جلده تبنيا لتعطف عليه امه  
وترأمه فتدر اللبن ولا ينقطع . ريعت : فزعت . جذم : القطعة .  
المسك : الجلد . السقب : ولد الناقة . المجلد : المملوخ .  
( م ٣ - الادب الجاهلى )

٢١ - فطاعت عنه الخيل حتى تبددت  
وحتى غلاتي حالك اللون أسود

٢٢ - طعان امرئ أسى أخاه بنفسه  
واعلم أن المرء غير مخلص

\* \* \*

مناسبة القصيدة :

قال أبو عبيدة (١) :

غزى عبد الله بن الصمة - من بني غزية بن جشم بن معاوية  
بن بكر بن هوازن - وكان لعبد الله ثلاثة أسماء وثلاث كنى ، فاسمه :  
عبد الله ، وخالد ، ومعيد . وكنيته : أبو فرعان ، وأبو دفاقة ، وأبو  
وفاء - وهو أخو دريد بن الصمة لابنته وأمه - فاعار على غطفان ،  
فأصاب منهم ابلا عظيمة فاطردها ، فقال له أخوه دريد :

نشدتك الله ألا تنزل فإن غطفان ليست بغافلة عن أمورها ، فاقسم  
لا يريم حتى يأخذ مرياعه ( ربع الغنيمة ) - كعادة الرؤساء في  
الجاهلية - وينقع نقيعه فيأكل ويطعم ويقسم البقية بين أصحابه .

(٢١) حالك اللون : غبار المعركة . ورواية البيت في الأغاني :

أشقر اللون من زيد

(٢٢) رواية البيت في الأغاني :

قتال امرئ وأمنى أخاه بنفسه  
وأيقن

(١) راجع العقد الفريد ٣/٣٢٢ ( يوم النوى ) ، الأغاني ١١/١٠ .

فبينما هم في ذلك وقد سطعت الدواخن اذا بغير قد ارتفع  
أشد من دخانهم ، وجاءوا من كل صوب وحذب ، وتلاحقوا بالمنعرج  
من رميلة اللوى ، فاقتتلوا ، فقتل رجل من بنى قارب - وهو من  
بنى عيس - عبد الله بن الصمة ، فتنادوا :

قتل أبو ذفافة ، فعطف دريد فذب عنه فلم يغن شيئا ، وجرح  
دريد فسقط ، فكفوا عنه وهم يرون أنه قتل ، واستنقذوا المال ونجا  
من هرب .

#### الدراسة

##### مطلع القصيدة :

بدأ دريد قصيدته بحديث عن ( أم معبد ) . قالوا : انها كانت  
زوجا له ، ولما رآته شديد الجزع على أخيه عاتبته على ذلك وصغرت  
شأن أخيه وسبته ، فطلقها ، وقال هذا الشعر . .  
فقال له أم معبد : بشس والله ما أثبتت على يا أبا قرة ، لقد  
أطعمتك مادومي ، وبثثتك مكتومي . . الخ .

وقيل : انها سبت أخاه فطلقها والحقها بأهلها ، وقال في ذلك  
شعرا (٢) .

والذى يبدو لأول وهلة أن مطلع القصيدة غزل ( حديث عن  
أم معبد ) ، وهو غير محمود عند النقاد في مطلع قصيدة الرثاء .  
وقد تفردت قصيدة ( دريد ) هذه بمطلعها الغزلى . .  
يقول ابن رشيق - ناقلنا عن ابن الكلبي - وكان علامة :

---

(٢) راجع : الأغاني ١٠/١١ .

( لا أعلم مرتبة أولها نصيب إلا قصيدة دريد بن الصمة :  
أرث جديد الخبل من أم معبد  
بعاقبة وأخلفت كل موعده  
ويعلق ابن رشيق على ذلك فيقول :  
وأنما أقول : إنه الواجب في الجاهلية والإسلام وإلى وقتنا هذا ،  
ومن بعده ، لأن الأخذ في الرثاء يجب أن يكون مشغولا عن التشبيب .  
يما هو فيه من الحسرة والاهتمام بالمصيبة ، وإنما تغزل ( دريد ) بعد  
قتل أخيه بسنة ، وحين أخذ ثاره ، وأدرك طلبته ) .

ويعلق أحد نقادنا المحدثين على كلام ابن رشيق قائلا ( ٣ ) :  
علق ابن رشيق على بدء قصيدة ( دريد ) بالغزل ، وعلل ذلك بأن  
الشاعر قد أدرك ثار أخيه الذي مضى على قتله سنة ، ومعنى ذلك أن  
المصيبة قد خفت حداثتها ، وربما كان الشاعر مبتهجا بأخذ الثار لأخيه ،  
مما سمح له بهذا الغزل ، وأن كان ابن رشيق لا يستحسن البدء بالغزل  
في الرثاء ، فإنه لا يمانع من أن يكون الغزل في الرثاء في بعض الحالات .  
وقالوا :

( لنا أن نعد من براعة الاستهلال هذا الغزل الذي يقع في مفتتح  
القصائد إذا كان الجو المخيم عليه هو الجو نفسه المخيم على القصيدة  
الأصلية .  
والواقع أن الشاعر الذي يسيطر عليه غرض خاص ، يخيم عليه  
جو يناسب هذا الغرض ، وحينئذ يكون الغزل الذي في مفتتح القصيدة  
مسيطرًا عليه هذا الجو ، فيكون الغزل فرجا إن كانت القصيدة فرحة ،

( ٣ ) أسس النقد الأدبي ، د/ أحمد بدوي ص ٣٠٧ .

وحزينا إن كانت حزينة ، ومفتخرا إن كانت فخرا ، ومعاتبة إن كانت  
عتابا ، ومخاصما إذا كانت القصيدة خصاما ( ٤ ) .

ونحن لا نوافق ابن رشيق فيما نقله وأقره وعلق عليه .

إن النظرة السريعة الخاطفة تنبئ عن غزل في بدء القصيدة لتجرد

ذكر اسم امرأة هي ( أم معبد ) .

ولكن نظرة فاحصة متاملة تكشف عن تلازم وتناسب بين هذا المطلع

وسائر أبيات القصيدة .

لننظر في البيتين معا وما فيهما من الفاظ ، وما تجميل الالفاظ

من معان قريبة وإشارات بعيدة ، وبين هذه وتلك وشائج وصلات .

لقد بدأ الشاعر بيته الأول بقوله : ( أرث ) أي صار رثا خلقا

باليا .. وهذا الرث البالي تأسى له النفس وتحزن .

وبدأ الشاعر قصيدته بهذه الكلمة ينبئ عن نفس مكلومة حزينة ..

ثم ما الذي أرث ؟ إنه جديد الحبل .. أي العهد الجديد ..

ولكن :

كيف يصير الجديد رثا ؟ لابد أنه بفعل فاعل ، امتدت إليه يد

الفساد عابثة به فأبلته وجعلته رثا ..

ولماذا الحبل ؟

لأنه سبب القوة بين شيئين ، وسمى العهد حبلًا لأنه رباط بين

المتعاهدين .. ولكن الحبل صار قديما بحيث لا يعتمد عليه .

والعهد من أم معبد جديده كقديمه ، لأنها اعتادت خلف الوعد ،

فلا فرق بين قديم وجديد ، لقد أخلفت ( كل موعد ) ..

ومن من الناس يحب هذا الخلف ؟؟

نفسه .. ( ٤ )

وإننى لأرى فى البيت إشارة إلى مقتل أخيه ( عبد الله ) الذى  
اختطفته المنية اختطافا ، و ( عبد الله ) فى نظر أخيه ( جديد ) أى  
لم يهرم ، وإنما هو قائد حروب ( جديد ) صار ( رثا ) فأصبح فى  
عداد الأموات ..

أرأيت كيف صار الجديد رثا ؟؟ .. سواء أكان ذلك فى حبل  
( أم معبد ) أم فى قتل أخيه ( عبد الله ) !  
وفيه خلف من ( أم معبد ) وهناك مخالفة من قبيلة الشاعر له  
حينما نصحهم فلم يسمعوا له ولم يعيروا اهتماما .

وفى البيت الثانى :

حدث ( بين ) أى فراق . وحدثتنا الرواية أن الشاعر قد طلق  
امراته لأنها لامته على حزنه وصغرت شأن أخيه ..

والفراق هنا : من زوجة بطلاقها ، ومن أخيه بقتله ، وكلاهما كان  
مخالفا ، فكان الخلف والمخالفة أحداثا فراقا ..

ونجد فى البيت ياسا وانقطاع رجاء ، وفقد أمل .. فكيف تسمى  
مثل هذا غزلا ؟

إن المطلع ليدل على موضوع القصيدة وينبئ عن عاطفة الشاعر ..  
ويدريد فى ذلك خارج عن المألوف بين الشعراء ، وقد سجل بذلك سبقا  
ومهارة وبراعة . وتدل المقدمة على حزن الشاعر الشديد وليس كما  
ذهب ابن رشيق .

إضافة :

ويعد أن سجلت ما سبق تذكرت كتابا حول مطلع القصيدة العربية  
وتوقعت أن يكون متناولا هذا المطلع .. ورجعت إليه فوجدت كلاما

طيباً ، يقول المؤلف (٥) :  
 وَمَا يَتَرَدَّدُ فِي نَقْدِ الْقَدَمَاءِ أَنَّهُمْ يَعْيَبُونَ مَطَالِعَ مَعِينَةَ ... أحياناً  
 لعدم ملاءمة المطلع للمناسبة كما في مطلع قصيدة ( دريد بن الصمة )  
 في رثاء أخيه عبد الله ، حيث جعل مطلعها غزلاً ، والمألوف ألا يكون  
 مطلع الرثاء غزلاً ...  
 ودون حاجة إلى بسطة في التوضيح نجد أن نقدهم هذا غير  
 صحيح ، لأنهم يعدون مثل هذا المطلع غزلاً مجرد أنه حديث مع المرأة  
 أو عنها مع صرف النظر عن نوعية هذا الحديث .

وهذا المطلع لا يربطه بالغزل سبب قريب أو بعيد ، فليس في  
 معناه مما يكون بين المحبين من رضا ، أو من عتاب ، أو من خصام  
 شيء ، وإنما هو تعبير عن نفسية الشاعر في هذا الموقف ، فنفسية الشاعر  
 يخيم عليها حينئذ - ولا شك - إحساس بأن فقد الأخ سيحدث تغييراً  
 سيؤثر في حياته ، وما أشبه هذا التغير بحال حبل كان جديداً قوياً متيناً  
 يعتمد عليه الشاعر في كل شأن يحتاج إلى حبل ، وما أكثر حاجة البدوي  
 إلى الحبل في شؤون حياته ومعيشته ، فضلاً عما يرمز به الحبل إلى  
 الصلة والنسب ، ولكن الشاعر يفاجأ بأن هذا الحبل أصبح رثاً قديماً  
 وأهياً لا يستطيع أن يعتمد عليه ، وإذا هو يشعر بأن رثائه هذا الحبل  
 ووهنه أفقده شيئاً لا غنى عنه ، وعطلت في حياته ومعيشته أموراً  
 لا تصلح ولا تستقيم بدون هذا الحبل ، وقد كانت جدة هذا الحبل وقوته  
 ومثاقته هي : أخوه الفقيد ، وعبر عن ذلك بقوله :

(٥) مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية ، د/ عبد الحليم حفني

#### ارث جديد الحبيل من أم معبد

بمقابضة .....

ومن جانب آخر لا بد أن الشاعر كان يخيم على نفسه حينئذ شعور عاطفي سيء ، يتمثل في حرمانه من أوثق صلة اجتماعية ، وهي صلة الأخ بأخيه ، فقد انعدمت هذه الصلة إلى الأبد ، لأن أخاه قد مات ، وقد عبر عن ذلك بالم كان على صلة بأم معبد ، وكانت بينهما مواعيد ، وإذا هو يفاجأ بأنها قطعت كل صلة به ، وأخلفت كل موعد معه ، فيقول :

.....

..... وأخلفت كل موعد

على الإطلاق ، كما انقطعت كل صلة بأخيه فجأة بموته (٦) .  
فهذا المطلع إذا تعبير رمزي واضح الدلالة على نفسية الشاعر بكل ما فيها من مشاعر ، وقد حشد الشاعر في هذا البيت الأول كل ما يجول في نفسه من أحاسيس سواء من ناحية حياته الاجتماعية وما يحدثه فقد أخيه فيها من وهن أو تغيير ، أو من ناحية حياته العاطفية ، وما يصيبه فيها فقد أخيه من اضطراب كامل (٧) .

\*\*\*

وتمضى مع أبيات القصيدة فنجد الشاعر يخاطب مطلقته (أعاذل) فيصحح لها فهمها ، ويرد عليها لومها ، فالكارثة الحقيقية في فقد أمثال (خالد) - أخيه ، أو عمه - أما ما يهلك من مال ومتاع وغير ذلك فلا مصيبة فيه .

(٦) نفسه ص ١٥١ .

(٧) مطلع القصيدة العربية ودلالته النفسية ص ١٥١ ( بضمير - تيسير ) .

وينتقل ( دريد ) إلى الحديث عن سبب مقتل أخيه فيذكر - في حسرة وألم - ما كان منه لقومه حين نصحهم ألا يغيروا على غطفان وحلفائها من عيس وفزارة وأشجع ..

ويحرص الشاعر على أن يذكر المنصوحين بأسمائهم ( عراض ) و ( أصحاب عارض ) و ( رط بنى السوداء ) ، وكان الجميع حاضرين ، لم يتخلف أحد ، وكانت النصيحة ( علانية ) فلا عذر لهم ..

لقد حذرهم من كثرة عدوهم ، وشدة بأسهم ، وقوة شكيמתهم ، واستعدادهم وتهيئتهم للقتال ، لقد أعدوا ألفى فارس مدجج بالسلح ، ويقود هؤلاء قادة الدروع السابغات محكمة النسيج .

وكما حرص على ذكر أسماء المنصوحين حرص على ذكر الموضع الذي شهد النصيحة إنه ( منعرج اللوى ) .. وفي ذلك إبانة عما يعانيه الشاعر من الحسرة والأسى لعدم سماعهم نصحه .

ولقد عرفوا قيمة النصيحة ، ولكن بعد فوات الأوان ، فقد قتل من قتل من جشم وكان من جملة القتلى أخوه ( عيد الله ) .

وهذا البيت يتمثل به في المواقف التي تشبه هذا الموقف .

ولا يزال الشاعر متحصرا مثالا لما كان من قومه له ، ويتضح ذلك في قوله ( قلما عصوني ) إنهم لم يأبهروا له ، ولم يعيروه اهتماما ، وعصوه ومع ذلك كان ( منهم ) لم يتخل عنهم ، بل كان واحدا منهم ، لم يقابل عصيانهم بتخاذل أو تثاقل .. كيف وهو واحد منهم ؟؟ بل إنه يطيع أمرهم ويشاركهم ويوافقهم على رأيهم حتى لا يكون بينهم خلاف مع علمه بأن رأيه هو الأصوب .

وهذا البيت السابع جعله أبو هلال العسكرى في ديوان المعاني أبلغ ما قيل في مساعدة الرجل أخاه وأجوده .

ويؤكد الشاعر أنه مع قومه وتابع لهم في غوايتهم ورشدهم -  
ويلاحظ أنه ذكر ( من ) في هذا البيت والذي قبله - إذ قال ( منهم )  
وهنا قال ( من غزية ) أي جزء منها ، عضو من أعضائها ، فرع من  
شجرتها ، وهذا يكشف عن تعصبه الشديد لقومه ، فهو معهم في كل  
حال ..

ثم يتوجه الشاعر إلى قاتلي أخيه بالخطاب قائلا لهم سوف تعلمون  
يا بني قارب - أو بني غالب - أنا غضاب لقتل ( معبد ) أي عبد الله  
وذلك حيثما نثار له يوما ما .

ويتذكر مقتل أخيه حينما دارت رحى الحرب ، واشتعلت أوارها ،  
واشتد لهيبها ، حينئذ صرخ المنادي ينادي : لقد قتل فارس مغوار  
فيتساءل دريد - من الفارس القتل ؟ أعبد الله ذلكم القتل ؟؟

قال التبريزي : وإنما دعاه إلى هذا القول أمران : أحدهما سوء  
ظن الشقيق ، والثاني أنه علم إقدامه في الحروب .

نعم إنه هو .. إنه ذلكم الفارس الشجاع ، والبطل المقدام ، الذي  
لم يكن هيبا ولا جبانا يحجم عن القتال ، ولم يكن طائش اليد ، وإنما  
كان مصيبا في رميه وطعنه وكان خبيرا مجريا ، عالما بفنون الحرب .

وكان ( عبد الله ) ذا عزيمة قوية ، وبوابة الصعاب ويقتحم الشدائد  
في صلابة ، وشجاعة . إنه الكريم ذو الأيادي الطوال الذي لم يغضب  
أو يضق ذرعا عند حلول الكوارث وإنما كان يواسي المنكوبين وهذا  
ما يفيد قوله :

ولا برما إذا الرياح تناوحت

بعضب العضباء والضريع المعضد

بكسر الراء في ( برما ) .. وأما بالفتح فمعناه : أنه يهتم بأمير

قبيلته ، يفرح لفرحهم ويترج لترحهم ، ولا يتركهم فى مصيبتهم ويلعب مع اللاعبين ..

لقد كان رئيسا للقوم فى حروبهم ، وكان حريصا عليهم ينظر لهم اعداءهم لئلا يداهموهم ، وكان يمتطى فرسا توافرت فيه كل مقومات الجودة والسرعة .

فهو ( محقوقف الصلب ) أى طويل مع اعوجاج وهذا من علامات جودته ، بالإضافة إلى طول شعره .

ويعود إلى الحديث عن ( عبد الله ) فيذكر من صفاته : الصبر على المصائب ، أما قوله : ( حافظ من اليوم أدبار الأحاديث فى غد ) قال التبريزى : أى يحفظ من يومه ما يتعقب أفعاله من أحاديث الناس فى غده .

وكان عبد الله فى صغره يلهو ويلعب فلما اكتهل وظهر فى رأسه الشيب لحى الباطل عن نفسه .

وإن مما يخفف الألم عن نفس ( دريد ) أنه لم يحدث بينه وبين أخيه جفاء وإنما كان دريد يقف إلى جانبه دائما فى الملمات ، وكان يبذل ماله وكل ما ملكت يداه ، لم يبخل عليه بشئ .

بلاء دريد فى المعركة :

ثم ينتقل الشاعر إلى الحديث عن المعركة التى قتل فيها أخوه عبد الله :

ففى ذلك اليوم استدعى ( عبد الله ) أخاه ( دريد ) ، وكانت الرماح تتناولوه من كل جانب ولها خشخشة ووقع كوقع ضياصى الحاقة فى ثوب ينسج .

ويكشف لنا ( دريد ) عن شعوره واحاسيسه حينما رأى أخاه فى هذا الموقف العصيب فيقول :

### وكنّت كذات البوري عت فاقبلت

إلى جذم من مسك سقب مقدد  
كان كالناقة التي أخذ منها وليدها فذبح أو مات ، وجاءوا بجلده  
فحشوه قشا ، وهم يقربونه إلى الناقة لكي تدر اللبن .. لكنها تصدم  
بجلده لا حياة فيه ..  
حينئذ أخذ ( دريد ) يدفع عنه الأعداء ويطعنهم واحدا بعد الآخر  
حتى تفرقوا عنه خوفا ورعبا ، وكان الغبار آنذاك كثيفا أسود اللون  
حالكاً .  
وقد كان قتال ( دريد ) الأعداء فيه استقتال لنصرة أخيه وهو غير  
وجل أو هباب ، وكيف يهاب الموت وهو موقن أن المرء غير مخلد في  
هذه الدنيا ؟؟

\* \* \*

### الدراسة الفنية للقصيدة

#### بناء القصيدة :

القصيدة كلها قائمة على ( الرثاء ) فهو الغرض الاساسي ، وقد  
بيننا أن مطلع القصيدة ليس غزلاً كما توهم بعض النقاد ، وإنما إبان  
المطلع عن عاطفة الشاعر منذ أول لفظ فيها ..  
وذكر الشاعر مقدمات مقتل أخيه :  
حيث ذكر نصحه لقومه وتحذيره إياهم من قبيلة غطفان ، لكنهم  
لم يتنبهوا إلا بعد قوات الأوان ..  
ثم انتقل إلى الحديث عن موقفه حينما خالفوا أمره فأبنان عن  
( جنديته ) بمعنى السمع والطاعة ولو كان الأمر خطأ .

وكيف لا يطيع وهو من ( غزية ) ولابد أن يكون معها في غوايتها  
ورشدها .. وهذا الموقف وقفه معظم الجاهليين إلا من تلمذ على هذه  
التقاليد كالشعراء الصعاليك وطرفة بن العبد وغيرهم .

ثم يتوجه بالتهديد إلى قاتلي أخيه ويؤكد أنه لابد أن يثار له .  
ويتذكر مقتله ، ويأسى لفراقه ، ويصفه بالأوصاف المذكورة . ويصف  
المعركة التي قتل فيها وشعوره إذ يناديه ( عبد الله ) .

وفي بعض المصادر جاء ترتيب الأبيات مخالفاً هذا الترتيب ولكل  
وجهة نظر ..

\*\*\*

#### التصوير :

القصيدة ليست زاخرة بالألوان البيانية ، وما جاء فيها من هذه  
الألوان كان عن طبع وليس تكلفاً ، فدريد ليس من شعراء التنقيح والصقل  
والتهذيب ..

والصور البيانية في القصيدة تعتمد على التشبيه والاستعارة والكناية  
- فمن التشبيه قوله :

..... والرماح ينشئته

كوقح الصياصى فى النسيج الممدد

وقوله :

وكنت كذات البوريعة فاقبلت

إلى جذم من مسك سقب مجلد

- ومن الاستعارة قوله :

أرث جديد الحبل من أم معبد

.....

وقوله :

.....وقد أرى

.....غوايتهم

وقوله :

.....

.....قال للباطل : ابعده

وقوله :

.....وأن تعقب الأيام والدهر

.....

— ومن الكناية قوله :

.....

فلم يستبينوا النصح إلا ضحى الغد

وهو كناية عن إدراكهم صواب ( دريد ) بعد فوات الأوان .

وقوله :

.....فلما عصوتى كنت منهم

.....

فهو كناية عن حرصه على الوحدة وعدم انشقاق الصف القبلى .

وقوله :

.....والرماح ينشئنه

.....

كناية عن كثرة الرماة من الأعداء حوله وكثرة ضرباتهم المسددة

إليه ..

وقوله :

.....خارج نصف ساقه

.....

كناية عن الاستعداد للمهمات الصعبة ..

موازنة :

هذه الصورة التي ذكرناها والتي يبين ( دريد ) من خلالها مدى  
حزنه وشدة وجده حينما رأى ما بأخيه إذ يقول :

وكنت كذات البوريمت فاقبلت

إلى جذم من مسك سقب مجلد

تجد هذه الصورة شائعة لدى شعراء الجاهلية والمخضرمين .

فمن ذلك قول ( الخنساء ) ( ٨ ) :

وما عجول على بو تطيف به

لها حنينان : إعلان وإسرار

ترتبع ما رتعت حتى إذا اذكرت

فإنما هي إقبال وإدبار

لا تسمن الدهر في أرض وإن رتعت

فإنما هي تحنان وتسجار

يوما بأوجد منى يوم فارقتي

صخر ، ولدهر إخلاء وإمرار

وقول ( متمم بن نويرة ) يرثى أخاه ( مالكا ) الذي قتله ضرار

ابن الأزور الأسدي ( ٩ ) :

( ٨ ) ديوانها ط الثقافية ص ٤٤ . عجول : ناقة متلهفة لرؤية ولدها .

البو : جلد ولد الناقة حين ينزع فيؤتى بجلده ويحشونه قشا حتى  
تتلهى به أمه . الحنين : صوت الناقة .

( ٩ ) شرح المفضليات للتبريزي ٩٦٦/٢ - ٩٦٧ ، تحقيق على البجاوي

ط نهضة مصر . أفكار : جمع ظئر وهي نوق يعطفن على حوار

واحد فيرضع من اثنين ويتخلى أهل البيت بواحدة . روائم : جمع

رائم وهي المحبات اللاتي يعطفن على الرضيع . حوار : ولد

الناقة .

فما وجد أظفار ثلاث روائيم  
رايين مجرا من حوار ومصرعا  
يذكرون ذا البث الحزين ببثه  
إذا حنت الأولى سجعن لها معا  
إذا شارف منهن قامت فرجعت  
حنينا فابكى شجوها البرك أجمعا  
بأوجد منى يوم قام بمالك  
مناد بصير بالفراق فاسمعا (١٠)  
وقول عمرو بن معد يكرب (١١):

لعمرك ما ثلاث حائمت  
على ريع يرعن وما يريـع

- (١٠) الشجو : الحزن . البرك : الألف من الإبل أو هي إبل الحى .  
الشارف : المسنة . قال الأصمعي : إنما خص الشارف لأنها أرق  
من الفتية ، ليعد الشارف من الولد .  
(١١) الأصمعيات ق ١٧٦/٦١ تحقيق شاكرو وهارون ، ط دار المعارف  
سنة ١٩٦٤ .

ثلاث : يريد من النوق . حائمت : طائفات . الربيع : الفصيل  
الذى ينتج فى الربيع وهو أول النتاج . يرعن وما يريـع : يرجعن  
وما يرجع لهلاكه . الثاب : الناقة المسنة . المتكال : التى فقدت  
وليدها . السديس من الإبل : ما دخل فى الثامنة من عمره .  
نضجته : جاوزت به سنه فى حملها له . تستليع : من اللوعة  
وهى حرقه القلب . الأنس : الحى المقيمون . الجميع :  
المجتمعون .

وناب ما يعيش لها حوار  
شديد الطعن مثكال جزوع  
سدس نفجته بعد حمل  
تحرى فى الحنين وتسـتـتـلـع  
بأوجع لوعة منى ووجد  
غداة تحمل الأنس الجميع

وبالنظر فى هذه الأشعار نلاحظ :

- ١ - أن سبب حزن الشعراء هو فقد عزيز ( أخ ) . ما عدا ( عمرا ) فإن حزنه لفراق محبوبته ورخيلا .
- ٢ - عدد النوق التى ووزن بينها وبين حزن الشاعر : ثلاث عند كل من متم وعمرو ، واحدة لدى كل من الخنساء ودريد .
- ٣ - الصياغة متشابهة لدى الخنساء ومتم وعمرو ، فكل منهم نفى أن تكون النياق أشد حزنا منه ، فسلخوا جميعا مسلكا واحدا ( ما عجول - ما وجد أظآر - ما ثلاث ) ( بأوجد منى - بأوجد منى - بأوجع لوعة ) .
- ٤ - أما دريد فلم يستخدم أسلوب النفى والتفضيل ، لأن حزنه لم يكن أشد من تلك الناقة وإنما كان مثلها ( وكنت كذات البو ) .
- ٥ - وتأسيسا على ذلك :

فإن أكثر هؤلاء الشعراء إجابة الخنساء ، وذلك :

- ( ١ ) لأنها استطاعت أن تشعرنا بمبلغ حزنها وشدته حين ركزت على ناقة واحدة هى الأم ، بخلاف متم وعمرو ، فكلاهما نظر إلى نوق ثلاث ، الأم التلى ، وأخريان تواسيانها وتشاركانه حزنها ، وتحققان

منه ، ولا شك أن حزن الأم لا يساويه حزن آخر ، وحتى لو كانت  
الناقثان تكيان فقيدا لهما منذ زمن فلن يكونا مثل هذه الثكلى الجديدة .  
فالخنساء عبرت عن حزنها وحدها الذى لا يساويه حزن حتى ولو  
كانت تلك العجول الثكلى ...

( ب ) فى شعر الخنساء وصورتها زيادة لم يتطرق إليها عمرو  
ومتعم ، وذلك أنها نظرت إلى نفسية تلك الناقثة المتحيرة ، التى لم  
تصدق أن ابنها مات أو ذبح ، ولذلك فهي تعاود الذهاب إلى البو فتصدم  
- مرة تلو أخرى - عائدة بخيبة أملها . وهى فى كل ذلك متعجلة  
ممرعة ، ذهابا وإيابا ، وكأنها تبحث عن فقيدتها فى كل مكان .

( ج ) فى صورة الخنساء زيادة أخرى ، وهى أنها ذكرت أن  
الناقثة وإن ظلت ترتع الدهر قلن تسمن لأنهن حزينات .

( د ) الجودة الموسيقية فى أبيات الخنساء واضحة ، ممثلة فى  
الازدواجية والمطابقة على مدى الأبيات الأربعة ( لها حنينان : إعلان  
وإسرار ) ، ( فإنما هى إقبال وإدبار ) ، ( فإنما هى تحنان وتسجار ) ،  
( ولندهر إحلاء وإمرار ) .

( هـ ) بيان شدة حزن الناقثة وذلك إذ جعلتها ( لكثرة ما تقبل  
وتدبر ، ولغلبة ذاك عليها ، واتصاله منها ، وأنه لم يكن لها حال  
غيرهما ، كأنها قد تجسمت من الإقبال والإدبار ) ( ١٢ ) .

٦ - يذكر لدريد فضل السبق . وللخنساء فضل الإجابة وفضل سبق  
بالنسبة إلى متمم فهي تسبقه شعرها . أما عمرو فليست أعرف هل هو

( ١٢ ) دلائل الإعجاز / عبد القاهر الجرجاني ص ٣٠٠ - ٣٠١ تحقيق:  
محمود شاكر ، ط الخانجي .

سابق عليهما أم لاحق لهما ؟

\*\*\*

اللفاظ والأساليب :

استخدم الشاعر اللفاظ تناسب موضوع القصيدة ، وقد رأينا منذ أول كلمة فيها كيف كانت الإبانة الواضحة من العاطفة المسيطرة عليه .  
وأما عن الأساليب فمعظمها خبرية ، لأن الشاعر في مجال الحكاية والوصف ، وفي مثل هذا المجال يكون الأسلوب الخبري هو العمد .  
وقد جاءت بعض الأساليب الإنشائية كالاستفهام في قوله :

.....

أعبد الله ذلكم السردى ؟

وهو استفهام ينم عن الدهشة لموت أخيه ، وهو استفهام فيه انفعال وتوتر ..

ومنه قوله :

وهل أنا إلا من غزية إن غوت

غويت ، وإن ترشد غزية أرشد

وهو تقريرى ، ورو البيت على هذا الاستفهام أفضل من الرواية الأخرى وهى :

وما أنا إلا من غزية .....

.....

وقد جاءت بعض المحسنات البديعية نادرة فى القصيدة كقوله :

أعاذل ، إن الرزء فى مثل خالد

ولا زرع فيما أهلك المرء عن يد

ففيه طباق بالإيجاب والسلب .

والقصيدة في مجموعها الفاظها جزلة قوية ، والأساليب بعيدة عن

الالتواء والتعقيد .

وفي قوله :

صبا ماصيا ..... البيت

إيهام . وهذا النوع من البلاغة لا يعتمد إلى استعماله إلا لضرب من المبالغة ، فإذا جاء به في كلام فإنما يفعل ذلك لتفخيم أمر مبهم وإعظامه ، لأنه هو الذي يطرق السمع أولا ، فيذهب بالسامع كل مذهب ، فقول الشاعر : ( صبا ما صبا ) من الإيهام الذي لو قدرت ما قدرت في تفسيره لم تجد له من فضيلة البيان ما تجد له مع الإيهام (١٣) .

\*\*\*

العاطفة :

بعد هذه الجولة مع قصيدة ( دريد بن الصمة ) تبين لنا أن عاطفة الشاعر تفيض حزنا وأسى ، وقد بينا خطأ ما نقله ابن رشيق من أن ( دريدا ) قال قصيدته هذه بعد قتل أخيه بعام .

فالقصيدة وراءها عاطفة نفس مكترمة ، لا تزال تمتلئ بالأسى .

وكيف لا يأسى لفراق أخيه الفارس الزعيم ؟؟

وقد رأينا الشاعر وهو في معرض الحديث عن نصحه لقومه كيف كان متألما للعواقب التي نتجت عن عدم اهتمامهم به . فوجدناه يذكر المنصوحين بأسمائهم ، وذكر زمن النصيحة ، ومكانها ، وما ذلك كله إلا لشدة أسفه على ما آل إليه أمر القبيلة .

والشاعر لم يذهب في الثناء على أخيه مذهب سائر شعراء الجاهلية وإنما اكتفى بوصفه بالشجاعة والإقدام ، والكرم وسداد الرأي . ولم يكن في ذلك مبالغا ، بل هو صادق فيما قال .

\*\*\*

#### الموسيقى :

القصيدة من بحر الطويل ، وهذا البحر ، جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم عليه ، وليس بحر من بحور الشعر العربي يضارع البحر الطويل في نسبة شيوعه (١٤) .

وقد وصفوا بحر الطويل بأنه ( يتسع لكثير من المعاني ، فيصلح للفخر والحماسة والرياء ، والوصف والتاريخ ، والشكوى واللم ، والنظرات الكونية ) (١٥) .

وهذا البحر ( أخذ من خلوة الوافر دون انتباره ، ومن رقة الرمل فهو البحر المعتدل حقا ) (١٦) .

ويعد بحر الطويل - مع بحر البسيط - بحرَي الجزالة والفخامة ، فيقلب على المنظوم منهما الرصانة ، والمتانة وشدة الأمر ، وروعة المرد ، وصلابة الحوك ، ولذلك يحتاجان إلى ثقافة لغوية ضخمة ، وثروة من الأخيلة والمعاني واسعة ، لا تتفق لكل شاعر (١٧) .

(١٤) موسيقى الشعر ، د/ إبراهيم أنيس ص ١٩١ .

(١٥) الشعراء وأنشاد الشعر ، د/ علي الجندى ص ١٠٢ ، ط دار المعارف .

دون لينة المفرط ، ومن ترسل المتقارب المحض دون خفته وضيقه ، وسلم من جلبة الكامل ، وكزازة الرجز ، وأفاده الطول أبهة وجلالة ،

(١٦) المرشد إلى فهم أشعار العرب ، د/ عبد الله الطيب ج ١ ص ٣٦٢

(١٧) الشعراء وأنشاد الشعر ص ١٠٢ .

وهذه الموضوعات التي تتفق وبحر الطويل تضمنت القصيدة كثيرا منها ولذلك ناسبها هذا البحر .  
وقال بعض النقاد : إن في أحد أبيات القصيدة ( إقواء ) ( ١٨ ) وهو قوله :

فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت

وحتى علانى حالك اللون أسود

فالمدال مضمومة ، وهى فى بقية القصيدة مكسورة ، وهذا ما يسميه العروضيون ( إقواء ) ..

والبيت مروي فى الحماسة هكذا :

.....

وحتى علانى حالك اللون أسودى

قال التبريزي :

ويروى ( أسود ) على الإقواء ، و ( أسودى ) يريد : أسوديا كما قيل فى الأحمر : أحمرى ، وفى الدوار : دوارى ، ثم خففت ياء النسب بحذف أحدهما .. وعليه فلا إقواء ...

ولو صح أن هناك إقواء فى الشعر القديم فإننى أتفق مع رأى القائل - ( أنه يجب أن تعد خطأ نحويا لا خطأ شعريا ، فالشاعر صاحب الأذن الموسيقية والحريص على موسيقى القافية لا يعقل أن يزل فى مثل هذا الخطأ الواضح الذى يدركه حتى المبتدئون فى قول

( ١٨ ) الإقواء : هو اختلاف المجرى وهو حركة الروى المطلق بحركة تقاربها فى النقل كالضمة والكسرة .

الشعر ٠٠٠) (١٩) .

وقد بدأ الشاعر قصيدته - على عادة الشعراء - بما يسمى  
( التصريح ) وهو : ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص  
بنقصه وتزيد بزيادته ٠٠ فقد قال :

أرث جديد الحبيل من أم معبد

بعاقبة وأخلفت كل موعد

والتصريح في بداية القصيدة بمثابة ( مقدمة موسيقية خفيفة  
قصيرة ، تلهب إحساسنا وتهيئنا لاستماع القصيدة ، وتدلنا على القافية  
التي اختارها الشاعر ) ( ٢٠ ) .

\*\*\*

---

( ١٩ ) موسيقى الشعر ٣٦١ ، ٣٦٢ .

( ٢٠ ) نقد الشعر ، قدامة بن جعفر ٧٦ ، والشعراء وأنشاد الشعر ج ١ ، ص ١٠٠ .

شاعر متمرد  
( طرفة بن العبد )  
ومعلقته

اسمه ونسبه (١) :

هو : عمرو بن العبد بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة ..  
من بكر بن وائل .. و ( طرفة ) لقب له ، لقبوه به لقوله (٢) :

لا تعجلا بالبكاء اليوم مطرفا

ولا أميريكما بالدار إذ وقفا

وكنى بابى عمرو .. وأمه : وردة أخت جرير بن عبد المسيح المعروف  
بالمتمس .

★ مولده ونشأته :

اختلفوا فى العام الذى ولد فيه ، فقيل : ولد ٥٣٠ م وقيل ٥٣٨ م ،  
وقيل ٥٤٠ م ، وقيل ٥٤٥ م .

وجاء هذا الاختلاف تأسيسا على اختلافهم فى العام الذى قتل  
فيه . ولو عرف عام مقتله على وجه التحديد لكان من اليسير تحديد عام  
مولده .

(١) راجع ترجمته وأخباره فى : الشعر والشعراء لابن قتيبة ١/١٨٥ ،  
وما بعدها ، خزنة الأدب ١/٤١٢ - ٤١٧ ، طبقات الشعراء  
لابن سلام ، الأغاني ، فى ترجمة المتمس ، الموشح للمريزبانى ،  
جمهرة أشعار العرب ٤١ - ٤٥ ، شرح القصائد السبع الطوال ،  
ابن الأنبارى ، وغيرها .

(٢) لطائف المعارف للشعالبي ص ٣٧ .

وذلك انه قتل ابن عشرين عاما ، ولذا كان يقال له ( ابن العشرين ) .  
وقيل : قتل ابن ست وعشرين . . . قالت أخته الخرنق تبيكه :

عددنا له ستا وعشرين حجة

فلما توفاهما استوى سيدا ضحما

فجعلنا به لما رجونا إيايه

على خير حال ، ولا وليدا ولا قحما

وقد مات ( العبد ) أبو طرفة ، وكان طرفة آنذاك صغيرا ، وأبى  
أعمامه أن يسلموا أمواله إلى زوجته ( وردة ) ، أم طرفة فقال ( ٣ ) :

ما تنتظرون بمال وردة فيكم

صغر البنون ورهط وردة غيب

قد بيعت الأمر العظيم صغيرة

حتى تظل له الدماء تصيب

والظلم فرق بين حبي وائل

بكر تساقبها المنايا تغلب

والصدق يالفه الكريم المرتجى

والكذب يالفه الدنى الأخيب

ادوا الحقوق تفر لكم أعراضكم

إن الكريم إذا يحرب يغضب

وهذه الأبيات تنم عن موهبة شعرية فذة في سن مبكرة ، وتثبت

سببا من أسباب تمرده على تقاليد القبيلة . .

---

( ٣ ) الشعر والشعراء ١/ ١٨٧ ، يحرب : يحمل على الغضب ، وحريه :

إذا مله ماله ، والتحريب : التحريش . تفر : تصان .

ويبدو أن أخاه ( معبدا ) تكفل برعايته ، فأوكل إليه رعاية  
قطيع من الإبل ، غير أن طرفة نشأ لاهيا لاعبا ، سرقا على نفسه  
في السكر والعبث ، فكان يتلف كل ما يكسبه ، وأهمل الإبل حتى  
ضلت ، فتحامت العشيرة ، ونفر منه أولياؤه فقال في ذلك ( ٤ ) :

وما زال تشربابى الخمور ولذتى

وبيعى وانفاقى طريفى ومتلدى

الى أن تحامتنى العشيرة كلها

وافردت أفراد البعير المعبد

ويقال : أن أخاه لاهى حين ضيع الإبل قائلا : أرايت اذا ذهبت  
إبلنا اكننت ترددها بشعرك ؟

قال : فانى لا أخرج أبدا حتى تعلم أن شعري سيردها إن  
أخذت .

وذكروا أن ذلك كان السبب الذى حمل طرفة على قول معلقته ،  
غير أنك لا تجد لهذا السبب وجودا ظاهرا فى أبيات القصيدة .

شاعرية طرفة :

نشأ طرفة فى أسرة شاعرة فخاله : ( المتلمس ) الشاعر  
المعروف ، وأخته ( الخرئق ) ، وعمه : ( المرقش الأصغر ) وعم  
المرقش الأصغر ( المرقش الأكبر ) .

ولا غرو حين ينشأ طفل فى مثل هذا الجو الشعري - فضلا  
عن موهبته - أن تظهر ملامح شاعريته مبكرة فى صباه ..  
وقد بدت تلك الملامح فى أكثر من موقف :

( ٤ ) المعلقة : البيثان ٥١ ، ٥٢ .

★ روي أن أول شعر قاله طرفة حين ( كان مع عمه في سفر وهو صبي فنزلوا على ماء ، فذهب طرفة بفخاخ له فنصبه للقنابر ، وبقي عامة يومه فلم يصد شيئا ، ثم حمل فخه ورجع إلى عمه وتحملوا من ذلك المكان ، فرأى القنابر ، يلقطن ما نثر لهن من الحب فقال :

يا لك من قنبرة بمعمـ  
خلالك الجو فبيضي واصفري

ونقري ما شئت أن تنقري  
قد رحل الصياد عنك فأبشري  
ورفع الفخ فماذا تحذري

لا بد من صيدك يوما فأصبري (٥)

★ شعره الذي قاله مستنكرا فيه موقف أعمامه حين لروهم حقهم .  
★ وأشد تلك المواقف انباء عن شاعريته وموهبته الفذة ما تناقلته كتب الأدب والنقد عن أبي عبيدة قال :

مر ( المسيب بن علس ) ينشد شعرا في وصف جمل ، ثم حوله إلى نعت ثاقه ، فقال طرفة : ( قد استنوق الجمل ) .

فقال ( المسيب ) : يا غلام ، اذهب إلى أمك بمؤيدة ، أي داهية ،

(٥) الشعر والشعراء ١٨٨/١ ، لسان العرب : قير ، مجمع الأمثال ٤٢٣/١ ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم والنص منه ، وقد جاء في الشعر والشعراء ( قنبرة ) بدلا من ( قنبرة ) - قال في اللسان : القنبر : ضرب من الحمر . والقير والقبرة والقنبر والقنبرة والقنبراء : طائر يشبه الحمرة . وذكر أبيات طرفة وقال ( قبرة ) - اللسان .

فقال طرفة : لو عاينت فعل أمك خاليا نهالك : فقال المسيب : من أنت ؟

فقال : طرفة بن العبد . قال : ما أشبه الليلة بالبارحة ! يريد : ما أشبه بعضكم في الشر ببعض .

ويروى أن المنشد كان ( المتلمس ) ، أنشد في مجلس لبني قيس ابن ثعلبة ، وكان طرفة يلعب مع الصبيان ويتمتع ، فأنشد المتلمس (٦) :

وقد اتناسى الهم عند احتضاره  
بناج عليه الصيعرية مكدم  
كميت كنار اللحم أو حميرية  
مواشكة تنفى الحصى بمائم  
كان على أنسائها عذق خصبه  
تدلى من الكافور غير مكمم

فلما سمع طرفة البيت قال : ( استنوق الجميل ) فدعاه المتلمس وقال له : أخرج لسانك ، فأخرجه فاذا هو أسود ، فقال : ويل لهذا من هذا ..

---

(٦) راجع : مجمع الأمثال ٤٧٨/٢ ، ٤٧٩ ، الأغاني ١٣٣/٢١ ، جمهرة أشعار العرب ٤٠ ، ٤١ . الصيعرية : سمة من سمات النوق في قم أعناقها . المكدم : الغليظ الصلب . الكميت : ما بين الحمرة والسمر . مواشكة : سريعة . ملثم : يقال لثم البعير الحجارة بخفه : كمرها . عذق خصبه : نخلة .  
( استنوق الجميل ) بنصب الجميل - أى جعله كالناقة ، وبرفعه : صار الجميل كالناقة في ذلها ، والأول عن الأغاني ، والثاني عن ابن سيدة في اللسان .

وقد حدث ما تنبأ به الشاعر - كما نياكي :

★ مقتل طرفة :

كان الملك عمرو بن هند يعد أخاه قابوسا ليخلفه من بعده ،  
فقدم عليه المتلمس وطرفة ، فجعلهما فى صحابة قابوس وأمرهما  
بلزومه . وكان قابوس شابا يعجبه اللهو ، وكان يركب يوما فى  
الصيد ، فيركض ويتصيد ، وهما معه يركضان ، حتى يرجعا عشية  
وقد تعبوا ، فيكون قابوس من الغد فى الشراب ، فيقفان بباب  
سرادقه الى العشى .

وكان قابوس يوما على الشراب ، فوقفا ببابه النهار كله ، ولم  
يصلا اليه فضجر طرفة ، وأنشد قصيدة فى هجائه يقول فيها (٧) :

فليت لنا مكان المظك عمرو  
رغوثا حول قبتنا تخسور  
من الزمرات أسبل قتاد ماها  
وضرتها مركنة ندور  
يشاركنا لنا رحلان فيها  
وتعلوها الكباش فما تنور

---

(٧) كتاب الفاخر للمفضل بن سلمة . الرغوث : النعجة المرضع ،  
أو البقرة الحلوب ، والمراد هنا : النعجة بدليل قوله (الزمرات)  
أى قليلات الصوف . ومثل هذا النوع أغزر لنا . القادمان :  
الخفان وهما للناقة لكنه استعارها للنعجة . أسبل : طال  
وكمل . الضرة : الضرع . المركنة : التى لها أركان أى  
جوانب وأصل . الرخل : الأنتى من أولاد الضان . تنور :  
تنفر .

لعمرك أن قابوس بن هند  
ليخلط ملكه نوك كثير (٨)  
قسمت الدهر في زمن رخی  
كذلك الحكم يقصد أو يجور  
لنا يوم وللكر وان يوم  
تطير البائسات ولا تطير (٩)  
فأما يومهن فيوم سوء  
تطاردن بالحدب الصقور (١٠)  
وأما يومنا فنظفل ركبنا  
وقفوا ما نحل وما نسير

وقال ابن قتيبة (١١) :

كان طرفة ينادم عمرو بن هند ، فاشرفت ذات يوم أخته ،  
فراى ظلها فى الجام الذى فى يده فقال :

الا يا بابى البى الـ ذى يبرق شفاه  
ولولا الملك القناعـ د قد الثمنى فاه  
فحق ذلك عليه .

ثم خرج مع المتلمس وقدا على عمرو بن هند ، وكان طرفة  
غلاما معجبا تائها يتخلج فى مشيته بين يديه ، فنظر اليه نظرة

(٨) نوك : حمق .

(٩) الكروان : جمع كروان .

(١٠) الحدب : ما ارتفع من الأرض وغلظ .

(١١) الشعر والشعراء ١/ ١٨٨ ، ١٨٩ ، والشنف : الذى يلبس فى أعلا  
الأذن ، والذى فى أسفلها القرط وقيل هما سواء .

كادت تقتلعه من مجلسه ، وكان عمرو بن عتد لا يبتسم ولا يضحك  
وكانت العرب تهابه هيبة شديدة .

قال المتلمس :

قلت لطرفة حين قمنا : يا طرفة انى أخاف عليك من نظركه  
اليك مع ما قلت لأخيه . قال : كلا .

فكتب الى عامله على عمان والبحرين كتابين ، أحدهما مع  
طرفة والآخر معى .

وبينما هما فى الطريق أعطى المتلمس كتابه لغلام من أهل  
الحيرة ، وفيه :

ان يقوم عامل عمرو بقطع يدى ورجلى المتلمس ويدفنه حيا ،  
فألقى المتلمس الصحيفة فى النهر وقال (١٢) :

والقيتها بالثنى من جنب كافر

كذلك أقنو كل قط مضلل

رضيت لها بالماء لما رايتها

يجول بها التيار فى كل جدول

يقول المتلمس :

فقلت لطرفة : معك والله مثلها . قال : كلا ، ما كان ليكتب لى  
بذلك . . .

فلما وصل طرفة قام عامل عمرو بقطع يديه ورجليه ودفنه حيا .  
ففى ذلك يقول المتلمس :

---

(١٢) راجع : شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنبارى

ص ١١٥ وما بعدها ، وكذا مجمع الأمثال للميدانى ٢٢٤/٢ ،

وكافر : نهر بالحيرة . أقنو : أحفظ وأجزى . القط : الصحيفة

من مبلغ الشعراء عن أخويهم  
خبراً فتصدقهم بذاك الأنفس  
أودى الذى علق الصحيفة منهما  
ونجا حذار حبائه المتلمس  
اللق الصحيفة لا أبالك أنه  
يخشى عليك من الحباء النقرس

★ منزلته وآراء النقاد فيه :

قال ابن قتيبة (١٣) نقلاً عن أبي عبيدة : «هو أجودهم واحدة ٠٠»  
وعده ابن سلام (١٤) رأس الطبقة الرابعة من فحول الجاهلية  
وهم عنده أربعة : طرفة ، وعبيد ، وعلقمة ، وعدى بن زيد ٠٠ وقال  
فأما طرفة فاشعر الناس واحدة وهى قوله :

لخسولة أطلال ببرقة ثمهـ

وقفت بها أبكى وأبكى الى الغد

وسئل ليبيد عن أشعر الشعراء فقال (١٥) :

الملك الضليل - يعنى امرأ القيس - ثم الغلام القتييل - يعنى  
طرفة - ، ثم الشيخ أبو عقيل - يعنى نفسه ٠٠  
وكذلك عده البغدادى ثانى أشعر الشعراء بعد امرئ القيس (١٦)  
ونقل السيوطى : أن أبا عمرو بن العلاء قال (١٧) :

(١٣) الشعر والشعراء ١/ ١٩٠ .

(١٤) طبقات الشعراء ٤٩، ٥٠ طدار الكتب العلمية - بيروت .

(١٥) جمهرة أشعار العرب : ٢٠ .

(١٦) الخزائن ٢/ ١٨٢ .

(١٧) شرح شواهد المغنى : ٢٧٢ .

« لم نجد أحدا من الشعراء تعجل في حداثة السن إلا طرفة ،  
فأنه قال الشعر حدثا ، وشهر في سنوات ، وقيل وهو ابن بضع  
وعشرين سنة ، ولذا لم يذكر في شعره الشيب ، ولا يكى عليه .

وسئل حسان : من أشعر الناس ؟

فقال : قبيلة أم قصيدة ؟ قيل كلاهما . قال : أما أشعرهم قبيلة  
فهذيل ، وأما أشعرهم قصيدة فطرقة .

وسئل جرير : من أشعر الناس ؟ فقال : الذي يقول :

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا

.....

موهبة فذة وعبقريّة شعريّة نادرة :

وفى رأى أن طرفة من أشعر الشعراء - أن لم يكن أشعرهم -  
بل هو موهبة فذة ، وعبقريّة نادرة ، فشعره الذى وصل اليها إنتاجه  
وهو دون الخامسة والعشرين وقد بلغ من الجودة والاتقان ما بلغ ،  
فكيف لو عاش مثل غيره من الجاهليين !!

وحقا ما قال صاحب الجمهرة عنه : « هو أشعرهم إذ بلغ بحداثة  
سنه ما بلغ القوم في طوال أعمارهم فخب وركض معهم .. » ( ١٨ ) .

فمثل هذا الشاب هو أجدر الشعراء بلقب ( النايغة ) لا أولئك  
الذين عرف الناس شعرهم بعد أن جاوزوا عصر الشباب وبعد أن  
طال تمرسهم بهذا الفن ، وبعد أن نضجت ملكاتهم واتسعت دائرة  
تجاربهم في الفن والحياة ( ١٩ ) .

( ١٨ ) الجمهرة : ص ٤١ .

( ١٩ ) معلقات العرب : بدوى طبانة : ١١٢ .

( م. ٥ - الأدب الجاهلي )

#### معلقة طرفة

وهي أطول المعلقة ، فعدد أبياتها مائة وثمانية ، أو مائة وخمسة ، أو مائة واثنان ..

#### ★ سبب انشادها :

قيل : أن سبب انشادها لوم أخيه ( معبد ) آياه لأحماله الأهل حتى ضاعت . غير أنك تقلب النظر في المعلقة باحثاً عن هذا السبب فلا تظفر بشيء ، اللهم إلا عدة أبيات لا تكفى لاقتناعاً بهذا السبب .. وهي قوله :

فما لي أراني وابن عمي مالكا  
متى أدن منه ينأهني ويبعد  
يلوم وما أدري علام يارمنى !  
كما لامني في الحي قرط بن أعبد  
وأيأسني من كل خير طلبته  
كانا وضعناه إلى رمس ملحد  
على غير ذنب قلته ، غير أنني  
نشدت فلم أغفل حمولة معبد  
ويقال : أن ابن عمه مالكا حجز الأهل عنده لأنها رعت في كلته .

وليس بالضرورة أن يكون هناك سبب لكل معلقة ..

\*\*\*

الوقوف على الأطلال ووصف رحلة الظعن وحديث عن المرأة :

يقول طرفه :

لخولة أطلال ببرقة ثممد

تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد (١)

وقوفا بها صحن على مطيهم

يقولون لا تهلك أسي وتجلد (٢)

كان حدوج المالكة غمدوة

خلايا سفين بالنواصف بن دد (٣)

عدولية أو من سفين ابن يامن

يجور بها الملاح طورا ويهتدى (٤)

(١) خولة : امرأة من كلب . اطلال جمع طلل وهو ما شخص من

آثار الديار . برقة : رابية فيها رمل وطين . ثممد : موضع .

(٢) صحن : جمع صاحب . لا تهلك أسي : لا تقتل نفسك . تجلد :

اصبر .

(٣) حدوج : جمع حدج وهو مركب المرأة . المالكة : من بنى مالك

ضبيعة . خاليا : جمع خلية . قال الأصمعي : وهي السفن

العظام ، وقال أبو عبيدة : هي السفن العظام ومعها قوارب

صغيرة . النواصف : جمع ناصفة وهي مجارى الماء الى البحر ،

دد : أرض معروفة .

(٤) عدولية : أى سفينة منسوبة الى ( عدولى ) وهى جزيرة من

جزائر البحر ، وقيل : عدولية : قوم كانوا ينزلون بهجر

ليسوا من ربيعة ولا من مضر ولا من اليمن . ابن يامن : ملاح

شهير . يجور بها الملاح : أى يميل بها .

### يشق حساب الماء حيز ومها بها

كما قسم التهرب المقياسيل باليد (٥)

تعليق :

وقف طرفة - في هذه الآبيات - على الاطلال ، وهو في ذلك  
ليس يدعا من الشعراء الجاهليين . اذ تعارفوا على جعل ذلك بدءا  
لقصائدهم .

ومعظم النقاد يذهبون الى أن ذلك قالب جامد ودائرة ضيقة  
دار الشعراء في اطارها مقلدين لا غير .

نعم ، لقد وقف الجاهليون على الاطلال لا يكاد يشذ واحد منهم  
عن ذلك ولكن ينبغي أن نتساءل : من كان يسكن هذه الديار ؟

انها المرأة التي صاحبها الحياة والتماء والخير حيثما كانت ،  
فعدما كانت تسكن الديار كانت الحياة ، وما أن رحلت عنها حتى  
صارت اطلالا .. معنى ذلك أن الشاعر الجاهلي كان ينظر الى المرأة  
بعين التقدير والاحترام .. بل وربما ( التقديس ) كما يقول بعض  
النقاد « والا فلماذا صوت رحلة الظعن بازهى حللها وكامل زينتها  
مع أن ذلك يجري في ذكرى الطلل ، والطلل يقترن بالحزن لأنه  
فراق ، فهل يا ترى يسعد شاعر وهو يفارق صاحبه !! لابد أن

(٥) الحباب : طرائق الماء أو أمواجه . الحيزوم : الصدر . المفايل :

الذي يلعب لعبة الصبيان الاعراب يقال لها : الفيال والمفايلة ،

وهي عبارة عن كومة من الرمل تقسم قسمين ويخبأ في

أحدهما شيء ما ، ثم يسأل : في أي الجانبين هي ؟

فإن أصاب حصل على جائزة وإلا عرم .

يكون وراء تلك الابهة شيء آخر يتصل واعتقاده ، فإذا دققنا النظر نعرف أن هذه المرأة هي الشمس نفسها ، وأن رحلتها رحلة إلى العودة « (٦) » . ومن هنا تأتي رحلة الظعن التالية للوقوف على الاطلال فتثير جاثبا من الذكريات الحلو لدى الشاعر ، ويتحقق له نوع من الاستقرار النفس بعد الحزن والامى والقلق ، تلك التي خلفتها الاطلال . . . . . ذلك أن المرأة تتجلى في مكان آخر تبعث فيه الحياة .

لقد يكي الشاعر الاطلال لأنها أشبه باليت ، فكما يكوا أمواتهم يكوا اطلال الحبيبة .

والئن كانت « الحبيبة بعيدة عن الشاعر ، فديارها حلت محلها في اشارة عاطفة حبا ، فحين ثارت هذه العواطف أقبلت المعجم يقبل جدران ديارها ، فالديار وجدراؤها هي المثير الصناعي ، والذي سرغ ذلك أن الحبيبة كانت تسكن الديار فوجود هذه اقترن بوجود تلك ، ومزيت على ذلك الأيام حتى صارت الحبيبة ديارها وحدة متماسكة الاجزاء ، فإذا كان جزء قد رحل فإن الجزء الآخر قد حل محله « (٧) » . وقد حدد طرفة مكان الاطلال ( برقة نهد ) ، وتذكر الظعن بوصفه وشبه حذو رح المساكين : ( بخلايا سفين ) ، وأخذ يصف المشبه به ( السفن ) مما يدل على أنه قد رأى تلك السفن مرارا ، بل أنه ذكر اسم ملاح شهير ( ابن يامين ) وذكر أن السفن العظام تصنع في عذولى ، ووصف منظر شق صندر السفينة الماء وشبهه بقسم الفتى التروى .

(٦) الاساطير - دراسة حضارية مقارنة - د . أحمد كمال زكى : ص ٨٣ .

(٧) دراسات في علم النفس الادبي ٥٦ : د . حامد عبد القادر .

ولم يقف عند الأطلال كثيرا ، وإنما انتقل سريعا الى الظعن  
ثم وصف المرأة فى أبيات يقول فيها :

وفى الحى أحوى ينفخ المرد شادن

مظاهر سمطى لؤلؤ وزبرجد (٧)

خذول تراعى ريريا بخميصة

تتاول أطراف البرير وترتدى (٩)

وتبسم عن المى كان منورا

تخلل حر الرمل دعص له ندى (١٠)

سقتبه آيأة الشمس إلا لثاتسه

أسف، ولم تكدم عليه بالتمسد (١١)

ووجهه كان الشمس حلت رداءها

عليه نقى اللون لم يتخدد (١٢)

يصور طريقة فى هذه الأبيات عادة حسناء ، فهى ( أحوى )

---

(٨) المرد : ثمر الأراك . الشادن : ولد الظبية الذى كان يستغنى

عن أمه . مظاهر : لابس . سمطى : السمت الخيط من اللؤلؤ .

(٩) البرير : الذى يضعب ادراكه .

(١٠) المى : ثغر أسمر . منور : ظهر نوره . حر الرمل : أكرمه

وأحسنه لونا . دعص : كثيب من الرمل . له ندى : أى من

أسفله ماء .

(١١) آيأة الشمس : شعاعها وضوؤها . أسف : ذر عليه . التمد :

كحل . تكدم : تعض .

(١٢) يتخدد : يتشقق .

أى مكحولة العينين ، والأحسوي في الأصل : ظننى له خطتان من السواد  
وأراد سواد مدمع العينين ، وكنى بذلك عن المرأة .

ينفض المرد أى يضع يديه على ساق الشجرة ويمد عنقه  
ويتناول ما طال من أغصانها ، يريد اثبات الطول فى عنق المرأة .  
« والصور فى غزل طرفة دقيقة كل الدقة ، محكمة أشد  
الاحكام ، فهو اذا ما شبه المرأة بالهامة أو الطيبة خص دوما المفضل  
ذات الولد الصغير ، التى تخذل القطيع وتعطف على ولدها » (١٣) .

فهو هنا يصفها بانها ( خذول ) أى تخلفت عن صوابها وخذلتهم  
لتنفرغ لولدها ، وقد خص الخذول : لأنها تكون فزعة ولها على  
ابنها ، قهى فى ترقب وانتباه ، ولذلك تشرئب وتمد عنقها ، ترأقب  
القطيع كيلا يبتعد عنها ، وتمد عنقها مراقبة وليدها ، ولأنها تكون  
منفردة ، وهذا الانفراد يعطى الناظر فرصة كبيرة لتأمل حسناتها  
وجمالها ، ولو كانت وسط صوابها لم يستبين هذا الحسن .

وهى تحت الشجرة تنظر - فى حذر ويقظة - الى قطع الظباء  
بين الأشجار ، وحين تظفر بما تريد من تناول الثمر البعيد المتناول ،  
صعب الإدراك - وقد كسيت ثوبا من الخضرة بتدلى أغصان الشجرة  
عليها - تبتسم راضية بذلك .

وهذه الابتسامة تكشف عن ثغر يتميز بلثة سماء ، تزيهه  
أسنان بيضاء ، شديدة البريق ، وبياضها مثل نور الأقحوان النضر  
العاجى الذى تخلل رملا صافيا . وأسنانها حادة إذ لم تعض بها  
شيئا صلبا ، فهى باقية على حدتها ودقة أطرافها ، وأما وجهها فهو

(١٣) طرفة بن العبد ، حياته وشعره : ص ٩٨ .

غاية فى الجمال وكان الشمس ألقت حننها وبهجتها عليه حتى صار رداؤه الحسن والجمال ، فى لون لم يخالطه اصفرار ولا تشقق ، وهذه علامة فتاء السن ..

فى هذه الابيات القليلة يصف طرفة تلك المرأة ، وقد تعجب حين تعلم أن طرفة كان آنذاك فى عتقوان شبابه - أى يتوقع منه الحب والاعجاب بالمرأة مما يطول معه الحديث - لكن طرفة لم يفعل ، لقد كان مشغولا بأمره ، وما كان من تحاشى قومه اياه رافعا راية التمرد على القبيلة ، ممعنا فى ملذاته وسكره ..

« وغزل طرفة وثيق الصلة بحياته ، بل هو تعبير صادق عن الفترة الهنيئة القصيرة التى اختلسها شاعرنا من حياته . ومن ثم كانت صورته الغزلية غنية مترفة ، توحى بالرفاهية وغضارة العيش وغناه ، وتتألق فيها الاضواء والالوان » ( ١٤ ) .

والدكتور ( مصطفى ناصف ) يعامل الشعر على وجه آخر ، اذ ينسئ أنه حديث عن الاطلال والهواجج ..

وانما يتأمل ( محاولة نفس تريد أن تحيا أو تشرق أو تزدهر، تريد أن تنسى الالم والمعاناة والحيرة ) .

لقد استغنى ( طرفة ) أو كاد يستغنى عن تجارب كثيرة نتاج عليه فى وقت متأخر من القصيدة . وقد رمز الى هذا التعفف الذى لم يستطع أن يثبت عليه بالوشم . الوشم يطرح وراء ظهره دنيا واسعة . وبعبارة أخرى نرى طرفة يروض نفسه على الظلال والرسوم وما يشبه الاشباح اليسيرة التى لا تروع احدا .

---

( ١٤ ) طرفة بن العبد ، حياته وشعره : ص ٩٧ .

من خلال الوثم يتمعن ( طرفة ) في شيء من الوثم لا يعين  
به ، ولا يجفل منه ولا يهون من أمره ..  
الى أن يقول في قول الشاعر :

يشق حباب الماء حيزومها بها

كما قسم الترب المفايل باليد

ان السفن والملاح وضعت جميعا في اطار لا يخلو من المرح ،  
ووضعت فكرة الغد التي سيرجع اليها طرفة آخر الامر في اطار  
المقابلة .. ومعزى ذلك : أن ( طرفة ) هنا لا يعين بالمستقبل ،  
ويستطيع أن يقسم الترب لا يخلط بعضه ببعض ، ولا يروعه ما يختويه  
الترب في داخله .

وانما يتصور ( طرفة ) نفسه سابحا كالسفينة يشق طريقه  
في الحياة أو الفكر لا يجد في ذلك عنثا كثيرا ، ولا يصعب صخب  
الحائر الذي أضنته الحيرة .

ولكن ( طرفة ) لم يزعجهم أنه يعرف الطريق ، وانما يتوزع بين  
الجور والهدى .

ولكنه يستقبل الدنيا بنظرة متفائلة فنظر الى هذا الظبي  
السعيد عند ثمر الأراك ..

ثم تصور فتاة تتقلد سمطين من اللؤلؤ وزبرجد ، وهي فتاة  
لا تثقلها حركة ، ورات في اللؤلؤ والزبرجد صفاء النفس ونقاءها  
وخلوها من متاعب الدنيا وهمومها ..

وراح ( طرفة ) يمتن في صور أخرى تشبع حاجته الشديدة  
الى الصفر والسلام فكان تصوره لهذه البقرة التي روعها الفقد وهي  
ترعى مع صواحبها ، انها بقرة ذرية ذات أمانة ، تجد نفسها في

ولدها وصاحباتها وتحقق لحظات من الحياة خالية من الكلفة والحزن.  
هذه هي مثل النفس التي يطمح إليها طرفة (١٥) ...

★ وصف الناقصة :

وانى لامضى الهم عند احتضاره

بعسواء مر قال تروح وتغتدى (١٦)

أمون كالسواح الأران نساتها

على لاحب كانه ظهر برجد (١٧)

جمالية وجناء تردى كانها

سفنجة تبرى لأزعر أريد (١٨)

.....

.....

تريع الى صوت المهيب وتتقى

بذى خصل روعات أكلف ملبد (١٩)

(١٥) راجع : صوت الشاعر القديم : ص ٢١٥، ٢١٦ بتصرف وإيجاز

(١٦) احتضاره : حضوره . مر قال : ثرقل أى تسرع فى السير .

(١٧) أمون : ناقة موثقة الخلق يؤمن عثاها وزللها . نساتها : حملتها

على السير . لاحب : طريق بين واضح . برجد : كساء فيه  
خطوط وطرائق وهو من اكسية الاعراب .

(١٨) جمالية : تشبه الجميل . وجناء : صلبة قوية . تردى : تعدو

عدوا سريعا . البرى والانبراء : المناقسة والتعرض . أزعر :  
قليل الشعر . أريد : لونه لون الرماد .

(١٩) تريع : ترجع . المهيب : الجميل الذى يصيح بصوت معين ينادى

فيه الأتتى . تتقى بذل خصل : تتحاشى الجميل بهذا الذيل .

الروعات : الفزع . الأكلف : لونه حمرة الى السواد . ملبد :

خو وير متلبد من البول والغائط .

كان الجاهليون يستمدون من ابلهم وتوقعهم التصبر والتجذر والقوة  
والثبات عند مواجهة الازمات ، تلك الازمات المتكررة المتوالية التي  
انتجتها الطبيعة القاسية في شبه الجزيرة .

ولذلك تلاحظ أن الشعراء وهم آخضون في وصف توقعهم يحملونها  
- معهم - همومهم وينسونها من خلال رحلتهم مع الابل .

وقد كانت الناقة كذلك عند شاعرنا أساسيا هاما في حياته ، فهي  
راحلته في الاسفار ، وهي رفيقه في الوحدة ، وأنيسه في الغربة ،  
وهي وسيلته للضرب في الأرض ، على متنها قطع المفاوز والفلوات  
وشرق في الأرض وغرب ، وبها تقحم المهالك وسار في الهواجر  
اللافحات ، فلا غرو أن يقبل عليها ليصف كل أعضائها ( ٢٠ ) .

فطرفة يمضي الهم عند حضوره بناقة ( عوجاء ) سريعة نشيطة  
فيها اعوجاج يساعد على السرعة الشديدة ( الارقال ) .

وهي مكتملة الاجزاء ( أمسون ) ، وهي في تكامل أجزائها  
مثل ( الواح الاران ) وهو تابوت كانوا يجعلون فيه سادتهم وكبراءهم  
دون غيرهم .

وهي مثل الجمل ( جمالية ) .. وأكثر شراح المعلقة يقولون  
انه يشبهها بالجمل في الشدة والقوة . غير أن المتتبع للبيات الى  
نهاية المعلقة رابطا بين أجزائها سيجد أن الشاعر يرمي من وراء  
هذا التشبيه الى :

انها لا تنجب ، أو لن تنجب مستقبلا بعد أن تكلت ابنا وربما  
ابناء .

ومما يؤيد هذا الوجه قوله بعد ذلك :

( ٢٠ ) راجع : طرفة بن العبد ، حياته وشعره ( بتصرف ) ص ١٠١ ، ١٠٢ .

### تربيع الى صوت المهييب وتتقى

#### بذى خصل روعات اكلف ملبد

ان فحلها هنا يناديها وهو شديد الهياج يضرب بذنبه على ظهوره علامة على شدة طلبه للأنثى ، لكنها تنقيه بذنبها فتزفعه متمنعة منه ..

ان الناقة هنا لا تريد مولودا جديدا لأنها ستتكله عما قريب ، اذ سيكون ( بوا ) بعد أن يخطفه الموت .. لقد جريت ذلك وهي لا تريد تكرار التجربة ..

ان الموت كان مائلا امام طرفة وبلا قلبه وعقله وهو يحف هذه الناقة .

ها هو منذ أبيات يشبهها ( بالواج الاران ) او ليس هناك مثله به يتحقق فيه ما يريد طرفة سوى تاهوت المسوتى ؟؟ .. ان هذا الايثار من طرفة لهذا المشبه به يؤكد أن الموت كان يسيطر على أحاسيسه ومشاعره .

ان ( الواج الاران ) يهتج منها ( تاهوت الاشراف ) فقط .. ولكنهم مع ذلك يموتون مثلما يموت سقلة الناس ودهماؤهم .

وناقة طرفة رغم قوتها وشدها صلبة اجزاء جسدها الا أنها تخاف الموت ولذا فهي تخشى الاتجاب ..

ويوالى طرفة وصف ناقته بمعنا فى بيان قوتها ، فيبين أنها صلبة كالارض الغليظة تارة ، وكالمفينة أخرى ، وكالسندان والمبرد تارة ثالثة :

كان علوب النسخ في داياتها

موارد من خلقاء في ظهر قرد (٢١)

واتلح نهاض اذا صعدت به

كسكان بوصى بدجلة مصعد (٢٢)

وجمجة مثل العلاء كأنما

وعى الملتقى منها الى حرف مبرد (٢٣)

بل انها - او على الاخص - تجويفا العينين ( ككفى حجاجي

صخرة ) .

والكهف له دلالة ، انه مأوى وملجأ ، ففيه أمن . .

وشبهها بقنطرة الرومي : أي جسر على الماء يعبر عليه .

ولذلك دلالة أيضا فهذا الجسر قريب من الماء ، انه قوقه ،

(٢١) العلوب : الآثار واحدها : علب . النسخ : سير كهنة العنان

تشدد به الأحصال . دايات : ضلوع الصدر . الموارد : جمع

مورد وهو الماء الذي يورد . خلقاء : ملاء أي صخرة .

القرد : أرض صلبة مستوية . وظهر القرد : أعلاه أي :

أن العلوب في صدرها مثل آثار الموارد في الصخرة الملاء .

(٢٢) اتلح : طريل العنق . نهاض : ينهض في السير . صعدت به :

رفعته . بوصى : ضرب من السفن . والسكان : ذنب السفينة

تصعد . تجرى .

(٢٣) العلاء : السندان . كأنما وعى الملتقى : أي اجتمع وجبر فالتقى .

حرف مبرد : حده ، أي : كان جمجمتها سندان في الصلابة

والقوة ، وكان ملتقى كل قبيلتين من رأس هذه الناقة حرف

مبرد .

والماء هو الحياة .. ولعل ذلك يعكس تنازع الحياة والموت لطرفة ..  
فهو بين الأمل واليأس ، يحب الحياة لكنه يتوقع الموت في كل لحظة .

لقد وقف طرفة عند أجزاء الناقة فوصفها جزءا جزءا ، وصفها  
في حركاتها وسكناتها ، بل وصف قلبها أيضا ..  
وما كان طرفة ليفعل ذلك إلا إذا كان محبا لتلك الناقة ،  
لقد أدام النظر إليها ، وجعل منها تمثالا و ( كان كلفا بهذا التمثال  
أكثر مما كان كلفا بناقته ) نفسها ..

إن الجاهلین كانوا يعتمدون على الأبل اعتمادا كلياً في تناسي  
الهم ، فهي في الملمات ملاذهم وعونهم ، حتى إن الجاهلي يوصي ابنه  
بأن يترك له ناقة أمام القبر ليركبها عند المحشر :  
يقول عمر بن زيد لابنه ( ٢٤ ) :

ابنى زودنى اذا فارقتنى في القبر راحلة برجل فاتر  
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا  
مستوثقين معا لحشر الحاشر

ويقول ( حبيب بن الأشيم الفقعي ) موصيا ابنه أن يعد له  
بعيرا قويا يكون مركبه الى المحشر ( ٢٥ ) :

يا سعد اما اهلكن فاننى  
أوصيك ان أخصا الوصاة الأقرب

---

( ٢٤ ) المحبر : ٣٢٢ ، النوادر لأبي سعيد بن أوس الأنصاري : ٧٢ .

( ٢٥ ) نفسهما . وهذا الشعر يكاد قارئه يشك في نسبه الى العصر  
الجاهلي ، قروحه اسلامية وكذا ألفاظه .

- ١٠٩ -

لا تتركبن ابنك يحشر راجلا  
فى الحشر يصرع لليدين وينكب  
واحمل اباك على بعير صالح  
تقى الخطيئة ان ذلك أصوب  
ثم يشبه طرفة ناقتة - على عادة الجاهليين - بالبقرة الوحشية  
والثور الوحشى قائلا :

طحوران عوار القذى فتراهما  
كمكحولتى مذعورة أم فرقد (٢٦)

ان عينيها صيححتان ليس فيهما قذى ، فهما مثل عيني بقرة  
وحشية لها ولد تخشى عليه فهي تمد عنقها وتتلقت هنا وهناك  
حذرا .. وعينا البقرة الوحشية فى هذه الحالة أحسن ما تكون .  
وأذناها كأذن ثور وحشى ، فهما محددتان ، وقد رفعتا حالة  
الحذر والترقب .

مؤللتان تعرف العتق فيهما  
كسامعتى شاة بحومل مقرد (٢٧)

وتشبيه الناقة بالثور لم يجىء اعتباطا ، وانما ورد كثيرا فى أشعار  
الجاهليين ، ذلك لأن الزور رمز للخصب وكذلك الناقة ، ثم تنظر من  
التشبيهات الجاهلية بالثور الوحشى فتجيد ربطا بينه وبين المطر  
« ولا تكاد تخلو الصورة الكاملة للثور من إشارة للمطر أو الطلل

---

(٢٦) طحوران : أى ترميان القذى . الفرقد : ولد البقرة .  
(٢٧) مؤللتان : محددتان دقيقتان . سامعتى شاة : أذناها . والشاة  
هنا : الثور الوحشى . حومل : اسم مكان .

وهو ينحدر فوق ظهره ، وكأنما تمارس الطبيعة مع الثور ما يشبه بعض الطقوس الدينية ، فهي تغسله وتطهره ، وتطيبه قبل المعركة وقد عكف الجاهليون على هذه الصورة فكروها ولم يفقدوها مع ذلك الدم أو الحياة التي توقظ الفكر والاحساس والتي لا تجعلنا نفتقد جوانب التغيير فضلا عن العمق الذي يؤكد أن الشاعر الجاهلي كان انسانا قبل أن يكون صائعا للنمط والزخرفة » ( ٢٨ ) .

والناقة مثل الثور في ارتباطهما بالمطر ..

إن أن الناقة « تضطرب في سيرها وتقدم كل نفسها بحثا عن المطر .. ومن الممكن أن يتأمل القارئ رحلة الناقة - على الدوام - حتى يسقط المطر ، وما أشبه شئون الناقة بفكرة الطقوس والفرائض التي تعين على الصلة بذلك المطر » ( ٢٩ ) .

إذا علمت ذلك فلا تعجب حين تجد ناقة طرفة وقد حظيت بهذا النصيب الوافر من الوصف في المعلقة ..

« وأن وصف طرفة للناقة وصفا دقيقا بارعا ليبدل على مدى حقاوته بهذا الوصف ، وانفعاله به ، وعلى أن الناقة لم تستحوذ على اهتمامه هذا الاستحواذ ، ولم تستقطر من عصارة قريحته الشعرية ما استقطرت ، ألا لأنها كانت في معظم مثنى حياته رفيقه الأمين ، وصاحبه الوفى ، وأنيسه الأثير » ( ٣٠ ) .

وقد عبر عن ذلك بقوله :

على مثلها أمضى إذا قال صاحبي

ألا ليتنى أفديك منها وأفتدي

( ٢٨ ) د . عبد القادر القط : في الشعر الاسلامي والأموي ص ٤١٦ . دار النهضة العربية ، بيروت .

( ٢٩ ) د . مصطفى ناصف : قراءة ثانية لشعرنا القديم ص ١٣٨ .

( ٣٠ ) طرفة بن العبد ، حياته وشعره : ص ١١١ .

### تمرد طرفة

ملك طرفة طريق اللهور والعبث ، ولكنه وجد القبيلة عائقا في  
سبيل تحقيق متعته الشخصية ، ومن هنا أعلن العصيان ورفع راية  
التمرد .

يقول طرفة :

إذا القوم قالوا : من فتى ؟ قلت أننى

عنيت فلم أكسل ولم أتبلد

أحلت عليها بالقطيع فأجذمت

وقد خب آل الأمعز المتوقد (١)

فذاالت كما ذالت وليدة مجلس

ترى رهبا أذيال سحل ممدد (٢)

ولست بحلال التلاع مخافة

ولكن متى يسترفد القوم أرفد (٣)

(١) أحلت : أقبلت . القطيع : السوط . أجذمت : أسرعت . خب :  
جرى واضطرب . الآل : المزاب . الأمعز : المكان الغليظ  
الحمى . المتوقد : الذى يتوقد بالحر .

(٢) ذالت : ماست فى مشيتها وتبخترت . وليدة مجلس : صبية أو  
جارية ، مولودة فى بلاد العرب . سحل : ثوب أبيض من القطن  
وغيره . يشبه طول ذنب الناقة بطول ذيل ثوب الجارية .

(٣) حلال : من الحلول وهو النزول . التلاع : جمع تلعة وهى  
أرض مرتفعة غليظة يتردد فيها السيل ، ثم يندفع منها الى  
تلعة أسفل منها . والتلعة : مسيل الماء من أعلا الوادئ الى  
بطون الأرض . وقيل هو من الأضداد . وهذه التلاع تستر من  
نزل فيها فيخفى عن الأعين . استرفد : طلب الرغد وهو المعونة  
والعطاء .

(م ٦ = الادب الجاهلى )

وان تبغنى فى حلقة القوم تلقنى

(٤) وان تقتنصنى فى الحوانيت تمطد

متى تاتنى أصبحك كاسا روية

(٥) وان كنت عنها غانبا فاعن وازدد

وان يلتق الحى الجميع تلاقنى

(٦) الى ذروة البيت الكريم المصمد

ندامى بيض كالنجوم وقينة

(٧) تروح عينا بين برد ومجسد

(٤) تبغنى : تطلبنى • حلقة القوم : مجلسهم ومحفلهم • الحوانيت :

جمع حانوت وهى بيوت الخمارين ، اى اثنى رجل جد اذا  
جد الامر ، ورجل لهو اذا فرغت •

(٥) أصبحك : اى اسقيك فى الصباح • روية : ترويك • وان كنت غانبا  
فاعن وازدد : اى : ان كنت غانبا بما عندك فاعن به وازدد بما  
عندنا •

(٦) ذروة كل شئ : اعلاه • المصمد : الصليب الذى ليس فيه خور  
وهو الذى يصمد اليه الناس من شرفه ، فيلجأون اليه عند  
المللمات والمصائب • ومن أسماء الله تعالى ( الصمد ) الذى يصمد  
اليه فى الحوائج •

(٧) ندامى : اصحابى ورفاقى على الشراب • وقال أبو عبيدة :  
وايضا يقال فلان نديم فلان ، وان لم يكونا على شراب •  
ويقال : ان اصل اطلاق هذا الاسم : لندامة ( جذيمة )  
حين قتل نديميه ( مالكا ) و ( عقيل ) اللذين اتياه بعمرو  
وابن اخته ، فسألاه ان يكونا فى ممره فرجد عليهما فقتلهما  
وندم ، فسمى كل مشارب نديما •

#### رحيب قطاب الجيب منها رقيقة

بجس الندامى بضعة المتجرد (٨)

إذا نحن قلنا أسمعينا انبرت لنا

على رسلها مطروفة لم تشدد (٩)

وما زال تشرابى الخمر ولذتى

وبيعى وانفاقى طريفى بمتادى (١٠)

كالنجوم : كالأعلام . القينة : الجارية المغنية ، وقيل هى الجارية مغنية كانت أو غير مغنية . تروح علينا : أى تأتينا عشيّة المسجد : الثوب المصبوغ بالجداد وهو الزعفران . وقيل هو الثوب الذى يلى جسد المرأة فتعرف فيه .

(٨) رحيب : واسع . قطاب الجيب : مجتمع الجيب أى ما يتضام

من جانبي الجيب وهى استعارة . أو هو مخرج الرأس منه .

جس الندامى أى : يجسوا بأيديهم يلمسونها ، وذلك أن القينة

كان يفتق فتق فى كمها الى الرسغ فاذا أراد الرجل أن يلمس

منها شيئا أدخل يده فلمس . بضعة المتجرد : أى ما ظهر وتعرى

من جسد رقيق ناعم ..

(٩) أسمعينا : أى من الغناء . انبرت لنا : أخذت فيما يطلب منها

فغنت . مطروفة : ساكنة الطرف . لم تشدد : أى لم تتكلف أو

تجهد نفسها .. وقيل : مطروفة أى منكسرة العين كأنها طرقت

عن كل شيء تنظر اليه .

(١٠) تشرابى : أى شرابى .

والطريف من المسال : الحديث ، أو الذى يكتسبه الانسان بنفسه .

والتلبد : السوروث .

الى ان تحامتنى العشيرة كلها

وافردت افراد البعير المعبد (١١)

رايت بنى غبراء لا ينكروننى

ولا اهل هذالك الطراف الممدد (١٢)

الا ايهذا اللائمى احضر الوغى

وان احضر اللذات هل انت مخادى

فان كنت لا تستطيع دفعع منيتى

فدعنى ابادرها بما ملكت يدي

فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى

وجدك لم احفل متى قام عودى (١٣)

فمنهن سبق العاذلات بشربة

كميت متى ما تعمل بالمساء تزيد (١٤)

---

(١١) تحامتنى : تجنبتنى واعتزلتنى . البعير المعبد : الاجرب المذل الذى طلى بالقطران ، وهو معبد مذل لانه يستلذ الطلاء فيسكن لذلك .

(١٢) الغبراء : اسم للارض . وبنو غبراء : المحاويج الفقراء ، سموا بذلك للصوقهم بالتراب ، وقيل هم الصعاليك . وقيل : هم القوم يجتمعون للشراب من غير تعارف . الطراف بيت من ادم ، واهل هذا البيت هم الاغنياء المياسير . الممدد : الذى قد مد بالاطناب (١٣) الجد : الحظ . وجدك : قسم . لم احفل : لم ابال . العود : الزوار .

(١٤) العاذلات : اللائمات . كميت : حمراء تضرب حمرتها الى السواد ، وقيل هى الخمر من العنب الاسود .

وكرى اذا نادى المضاف محنبا

كسيد الغضا - نيهته المتورد (١٥)

وتقصير كوم الدجن والدجن معجب

ببهكنة تحت الخباء المعمد (١٦)

كان البرين والدماليح علقنت

على عشر او خروج لم يخضد (١٧)

(١٥) الكر : الرجوع . المضاف : الخائف . المحنّب : الذى فى يديه

انحناء . . السيد : الذئب . سيد الغضا : ذئب الغضا . وهو

أخبث الذئاب يتخفى فى شجر الغضا .

نيهته : هيجه . المتورد : الذى يطلب ورود الماء .

(١٦) الدجن : ظل الغيم فى اليوم المطير . البهكنة : جارية خفيفة

الروح طيبة الرائحة مليحة حلوة .

الخباء المعمد : بيت مرفوع بالعمد .

(١٧) البرين : الخلاخيل ، واحدها : برة وهى حلقة من صفر تكون

فى منخر البعير . الدماليح : جمع دملوح وهو المعضد من الحلى .

العشر : شجر أملس مستو ضعيف العود ، شبه عظامها وذراعيها

به . وقال ابن منظور : هو شجر له صمغ وهو عريض الورق

يثبت صعدا فى السماء وله سكر يخرج ن شعبة ومواضع زهره

( اللسان : عشر ) . خروج : هو كل نبات أو شجر زخو .

والخراويح من النساء : الحسان النواعم اللينات . لم يخضد :

أى لم يثن ويتكسر . وتخضير الشجر : تهذيبه وتشذيب أغصانه

وأوراقه . وهو يشبه هذه المرأة البهكنة بتلك الشجرة فى

الضخامة والامتلاء وكان خلاخيلها واسررتها ومعاضدها معلقة

على أحد هذين النوعين من الشجر غير المخضد حتى يكون

أكبر حجما وأغلظ والتشبيه هنا للساعدين والساقين .

ذريني أروى هامتي في حياتها

مخافة شرب في الحياة مصرد (١٨)

كريم يروى نفسه في حياته

ستعلم أن متنا غدا أيننا الصدى (١٩)

تعليق :

بيدًا طرفة في هذه الأبيات بإبراز مؤهلاته ... فهو ( الفتى )

الفتى الإيحد في القوم كلهم ..

وهذا البيت مما يتمثل به من شعره ، وقد أخذ المعنى شاعر

آخر فقال :

لو كان في الالف منا واحد فدعوا

من فارس ؟ خالهم أياء يعنونا

وإذا كان لطرفة فضل سبق فإن له فضل أجادة أيضا :

ذلك أن ( القوم ) قد يزدون على الالف إلى ما لا حد له ..

ثم أن ( فتى ) لا تعنى مجرد الشباب ، وإنما يعنى بها مجموعة

من الخصال الحميدة فهي تعنى : القوة - ولذلك سمو الليل والنهار

فتين لقوتهما - ، وهي السخاء ، والكرم ، والمرؤة ، والعدل ،

والانصاف ، والايثار ، والوفاء ، والشجاعة ، والفروسية ، وحماية

الضعيف ، وإغاثة الملهوف ، والعفو ، وقرة الاحتمال ... الخ .

(١٨) إشراب المصرد : المقلل .

(١٩) الصدى : كان أهل الجاهلية يزعمون أنه إذا مات الميت خرجت

من قبره هامة تزقو عليه وكان يسمون الصوت : الصدى فأبطل

الاسلام ذلك .

قال القتيبي :

ليس الفتى بمعنى الشاب والحدث ، وإنما هو بمعنى الكامل  
الجزل من الرجال ، يدل ذلك على قول الشاعر :

ان الفتى جمال كل ملامة

ليس الفتى بمنعم الصبيان (٢٠)

فكلمة ( فتى ) فى بيت طرفة أعم وأشمل من كلمة ( فارس ) .  
وقول طرفة ( لم أكسل ولم أتباد ) زيادة لا نظير لها عند  
الشاعر الآخر .

يقوم طرفة على الفور - دون كسل ولا بلاهة - إلى ناقتة .  
وكانى بطرفة وقد صعب على نفسه أن يترك الحديث عن الناقة ،  
ولذلك تحدث عنها مرة أخرى فى معرض فخره بنفسه ، وكيف  
لا وهو يستمد قوته منها !!

لقد قام إلى ناقتة ، وضربها بالسوط فاسرعت ، وذلك حين كان  
المراب يتحرك بسرعة فى مكان ممتلئ حصى .

وان الناقة لتتبختر فى مشيتها وهى فى ذلك تشبه تلك الفتاة  
اللايسة ثوبا ذا ذيل طويل تمشى به أمام سيدها حتى يرى ذيل ثوبها .  
أرأيت كيف كان حب طرفة للناقة !! لذلك قلنا أنها لم تكن  
مجرد حيوان .

وينفى طرفة عن نفسه البخل فيقول : أنه لا ينزل ( التلاع )  
أى الأماكن التى تخفى من ينزلها عن الاعين ، وهو لا يفعل ذلك لأنه  
كريم معوان يغيث من يستغيث به ، ويرفد من استرفده .

( ٢٠ ) راجع : الفتوة عند العرب ، عمر الدسوقي ص ١٩ وما قبلها  
بط لجة البيان العربى .

وانك لتجده في الحرب ( حلقة القوم ) ، أو في مجالسهم التي  
تعقد لحل العضلات والأمور الجسماء .. ولكنه يكون أيضا في  
الخمارات .

وإذا دقت النظر في البيت وجدت أن الشاعر يبين أن الأوقات  
المحببة لديه هي التي يقضيها في الخمارات - هذا ما أفادته الأفعال  
( تبغنى ) ( تقتنصني - تصطد ) .. فعبّر عن طلبه وهو في المهمات  
الجسماء بالفعل الأول ..

أما طلبه في الخمارة فعبر عنه بالفعلين ( تقتنصني - تصطد )  
والقنص يكون في البر ، فإذا تخيلت أن القنص واقع على حيوان  
فكم يتأبى ويتمنم ويحاول بكل سلاح أهليه ألا يقتنص .. وأما الصيد  
فبكون في البر والبحر . ففي القرآن الكريم « أحل لكم صيد البحر  
وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما ... »  
وقيل : لا يقال للشئ ( صيد ) حتى يكون ممتنعا حلالا  
لا ماله له .

إذا فأخرج الشاعر من الخمارة كأنما تخرج سمكا من الماء ..  
أي أن الخمارة بالنسبة إليه هي حياته الحقيقية ..  
ولذلك فهو لا يخرج مجيبا من يطلبه وإنما يقدم له كأسا صبرها  
تروى ظمأه ..

ويفتخر بكرم أصله ، وعزة أرومته ، إذ ينتمي إلى البيت الرفيع  
( المصمد ) الذي يقرى الضيف ، ويغيث المكروب ، ولذا يلجأ إليه  
الناس في حين أنه لا يحتاج إلى الناس .  
ويأخذ طرفة وصف تفصيلات حياته اللاهية مع أصحابه الذين  
يشاركونه الشراب ..

لقد نادمه فتیان ( بیض ) ، ای أحرار وليسوا عبيدا ، وهم ليسوا أحرارا من عامة الناس بل هم ( كالنجوم ) ای أشراف مشاهير أعلام ، وتروح عليهم قينة تسقيهم الخمر ، لايسة ثوبين أحدهما لاصق بالجسد خفيف ، والآخر مصبوغ بالزعفران .. وقد اتسعت فتحة العنق والصدر من ثيابها حتى يستطيع الندامى ادخال أيديهم من خلالها ليتحسوا جسدها .

وهی ازاء ذلك راضية بل رفيقة ، لا تتأبى عليهم ، ولا تتمتع منهم وما ظهر عاريا من جسدها فهو ناعم الملمس ..

ويطالب اليها الندامى أن تغنيهم وتطربهم فتجيبهم لذلك مترنمة فى رفق ورقة ، مسترخية ، لا تتكلف ولا تجهد نفسها أو تعلى صوتها بل يخرج صوتها رقيقا عذبا سلسا دونما جهد منها .

وطرفة سكير كبير ، أنفق فى سبيل الخمر كل طريف وتالد .. ويعان الشاب - فى جراحة متحدية - أن هذه هى حياته وسوف يمتلئ فيها ، ولا يحيد عنها على الرغم من أنها كلفتته خسارة كبيرة ، لقد تجنبته القبيلة وصار وحيدا كالبعير ( المعبد ) .

و ( المعبد ) أى الذى أصابه ( العبد ) وهو الجرب ، وقيل هو : الجرب الذى لا ينفعه دواء ، وقيل هو المهنوء بالقطران الذى أقرد بعيدا عن الأبل حتى لا يعديها ..

وهو ( معبد ) لأنه يتذلل لشهوته القطران وغيره فلا يمتنع (٢١) . وأرى أن هذا المعنى الأخير اللىق بمزاد الشاعر .. صحيح أنه أبعد عن القبيلة وصار يعانى سجنًا نفسيًا رهيبًا ، وما أقسى هذا

السجن ، انه شبيه بتعبير القرآن عن الثلاثة الذين خلفوا ( حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم .. ) ..  
سجن مثالي بابتعاد ذوى المخطيء وأهله وأقاربه عنه عقاباً له على جريمة ارتكبتها في حق نفسه أو في حق القوم .

وطرفة يعانى من هذا السجن فهو مثل البعير الذى يعانى الافراد لكن البعير المعبد بينما هو يطفى بالقطران يستلذ ذلك ويستحليه ويستزيد الطالى ، فهو سعيد بهذا الطلاء وطرفة سعيد بحياته تلك ..  
ولعل هذا المعنى هو ما اراده الشاعر .

فهو يتمرد على قبيلته ، معلناً انه رغم مرارة ما به - من هذه المقاطعة - الا انه وجد ما هو الذ وأحلى ، انها حياته التى أحبها وعزم على المضى فيها ..

وهذا الفهم يؤيده البيت التالى مباشرة ، اذ يبين طرفة من خلاله انه وجد بديلاً عن القوم ، هذا البديل ممثل فى هؤلاء الفقراء المحاويج الذين لم ينكروا أياديه وأفضاله عليهم .. وكذلك فى هؤلاء الأغنياء المياسير الذين اعتزوا به ، لأن حياته كحياتهم ..

رأيت بنى غبراء لا ينكرونى  
ولا أهل هذاك الطراف المسدود

● أمعان فى العناد والتحدى :

ويزداد طرفة تمسكاً بحياته هذه ، ويتحدى لائمه قائلاً :

الا أيهذا اللئيمى أحضر الوغى

وإن أشهد اللذات هل أنت مخلدى ؟

انه يخاطب لائمه ويوجه له سؤالاً يعرف اجابته : هل أنت بمستطيع

اخلادى ؟ بالطبع لا ، وما دمت غير مستطيع ذلك فدعنى أسارع الى اقتناص الفرص ما أمكنتنى - بشرب الخمر وباللغو - وبذلك أبادر الموت .

وانه لامر ميسور الآن ، أما بعد الموت فهو لا يضمن ذلك ، وهذا مما دعاه الى الادمان والافراط فى الشرب ، لانه يخشى الموت ، ليست خشية مما بعد الموت وانما - فقط - لانه به سينقطع الشرب . . . وكان طرفة بذلك يتحدى لغز الموت ، هذا الذى أدام التفكير فيه فوجده غامضا ، مخيفا ، رهيبا .

« هذا هو تفكير طرفة ، الشاعر الشاب الذى يريد أن يتكشف فكرة المصير الذى تطرق وجدان الشعوب فى بداية السلم الحضارى هذه هى الشخصية القوية التى تحس وجودها على نحو قوى » ( ٢٢ ) . ويذكر طرفة أن هناك أشياء ثلاثة هى التى جعلته يحرص على الحياة ، ولعله رتبها حسب أهميتها عنده فجاءت على هذا النحو :

أولها :

• • • سبق العاذلات بشرية

كميت متى ما تعمل بالماء تزيد

انه ليس شرب الخمر مجردا من اللغو والضحك ، وانما مجلس يضم العاذلات مع الفتيان ومن بينهم ( طرفة ) وهؤلاء العاذلات يتسابقن مع الشاعر فى الشرب فيسبقهم ، والخمر التى يشربها ليست خمرا عادية وانما هى ( كميت ) أشرب لونها حمرة لأنها معتقة ، ومتى صب عليها الماء أزيدت .

### ثانيتهما :

وكرى اذا نادى المضاف محنيا

كسيد الغضا نبهته المتورد

اغاثة المستغيث واعانة اللاجيء اليه فحينئذ يسرع الى فرس  
يشبه الذئب الخبيث المثار يريد الماء .

### ثالثتها :

وتقصير يوم الدجن ، والدجن معجب

ببهكنة تحت الخباء المعمد

الاستمتاع بالمرأة الجميلة المثلثة السمينة - فى اليوم المطير  
الذى تلبدت سماؤه بالغيوم - تحت بيت مرفوع بالعمد .. هذا فى  
حين يتعجب الناس من هذا اليوم لشدة أمطاره وكثرة غيمه .  
ثم يقول : كان خلاخيل المرأة واسورتها ومعاضدها معلقة على  
أحد نوعين من الشجر : عشر أو خروج ( غير مخضد ) أى لم يؤخذ من  
أغصانه شئء فهو غليظ .. وهو هنا يشبه ساعديها وساقيهما بأحد  
هذين الشجرين ..

ويرى طرفه أن النعيم الحقيقى انما هو فى اغتنام هذه اللذات  
والفوز بها ، أما العاذل اللائم فسوف يكون صاديا لا ينعم بشئء  
طالما أنه لم ينعم به فى الدنيا قبل الموت ، ذلك لأن طرفه يرى  
أنه ليست هناك متعة بعد الموت .

تلك هى الحياة التى أحبها طرفه وفى مبيهاها استغنى عن  
القبيلة كلها ، فكم بلغ حبه لهذه المتع !!

وطرفه - وهو يرى فى تلك المتع الحياة الحقيقية - يحقر  
ويهون من شأن هؤلاء اللائمين وقصر نظراتهم الى الحياة ..

ستعلم ان متنا غدا اينما الصدى

#### ● الجاهليون والموت :

أحس الجاهليون احساسا قويا بالموت وحتم وقوعه ، ورأوا تلاعب القدر بهم وتقلب صرفه عليهم فى هذه الحياة المحدودة الفانية .. وكان هذا الاحساس زائد الحدة وقد يبلغ درجة العنف وذلك لقسوة الطبيعة عليهم قسوة نادرة النظير ، بالاضافة الى تنافر القبائل على الماء وغيره .. ولا نبالغ اذا قلنا ان أحدهم ما كان يأمن الموت فى يوم من أيام حياته بل هو خطر مائل أبدا ، فان ضمن الطعام لموسم من مواسم السنة فهو لا يضمه للموسم التالى ، وان ارتاح فى خلال موسم الخصب من عداوة الطبيعة فهو لا يرتاح من عداوة القبائل الأخرى ..

وجد الشاعر الجاهلى عزاء فيما يستطيع أن يغنم من ملذات الحياة ولما لم يؤمن الجاهلى الا بتلك الحياة وجدوا حلا واحدا يخلق بكرامة الانسان ورجولته هو : أن يتحدى بقوته المفردة صروف الدهر وأن يبذل كل جهده فى استنزاف كل قطرة من الحياة قبل أن تنتهى انتهاءها الأبدى (٢٣) ..

واذا كان الجاهليون كثيرا ما ينقلون من وصف اللذة والبهجة الى وصف الموت والفناء ، ويمزجون بين البهجة والتشاؤم ، والفرحة والحزن .. فان سيدهم جميعا فى تصوير هذه النظرة السوداء : الفتى الذى مات مقتولا فى سن العشرين ، ولكنه لحسن حظ أدبنا

(٢٣) راجع الشعر الجاهلى ، محمد النويهى : ص ٤٢٦ وما قبلها .

العربى ترك لنا معلقته الباهرة قبل ميته المبكرة ، وضمنها أبياته  
التي لا ندري : أنعجب بعاطفتها الملهبة وأدائها الفنى المتقن أم نرتاع  
من هذه الحساسية المفرطة الرهيبة التي لا تثشد علينا عادة الا حين  
يدركنا الهرم ، لقد قرأت الابيات فى تصوير لذته فماذا قال عن  
الموت بعدها مباشرة ؟؟

● طرفة ونظرته الى الموت :

يقول طرفة :

أرى قبر نحام بخيل بماله

كقبر غوى فى البطالة مفسد (٢٤)

ترى جثوتين من تراب عليهما

صفائح صم من صفيح منضد (٢٥)

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى

عقيلة مال الفاحش المتشدد (٢٦)

أرى العيش كنزا ناقصا كل ليلة

وما تنقص الايام والدهر ينفد

لعمرك ان الموت ما اخطأ الفتى

لكا لطول المرخى وثنياه فى اليد (٢٧)

(٢٤) النحام : البخيل الحريص على المال ، يخرج صوتا فيه أنين  
تشددا على ماله . الغوى : الضال والمقصود به هنا المبذر .

(٢٥) الجثوة : التراب المجموع فى كومة . الصفائح : صخور عراض  
صم صلاب . المنضد : الذى نضد على القبر .

(٢٦) يعتام : يختار . عقيلة كل شيء : خيرته وانفسه عند أهله .  
الفاحش : البخيل . المتشدد : الممسك البخيل .

(٢٧) الطول : الحبل المرخى وهو بيد الانسان يجذبه أينما شاء .  
ثنياه : أى طرفاء المثنيان منه .

أن الموت يلح على طرفة وهو ينشئ المعلقة ، ولذا تجد الحديث عنه يتخلل المعلقة كلها وقد سبق أن أشرت الى ذلك عند قوله :

أمون كالسواح الاران نماتها

على لا حب كأنه ظهـر برجـه

وكذلك في تأبي الناقة وتمنعها عن الذكر .

تريع الى صوت المهيـب وتتقى

بذى خصل روعات أكلف ملبد

وقد أشرت الى أن امتناعها كان سبب خوفها من الموت . .

وفي تحديه للائمـه وطرحه عليه السؤال المعروفة اجابته : هل

تمتطيع اخلادى ؟ وقوله : لن تستطيع دفع منيتى . .

لقد كان طرفة في مرحلة من العمر غالباً ما ينمى معها صاحبها التفكير في الموت ، لكن طرفة وهو يعيش تلك المرحلة يقف أمام الموت ويطيل التفكير فيه .

وقد توصل الى ما يلى :

— أن الموت لا يفرق بين غنى وفقير ، وتقى وغوى ، فهاتان كومتان من التراب ، رصت عليهما صخور صلاب ، لا فرق بين هذه وتلك ، اذ لا ترى أثراً لغنى أو لفقر ، فالكل سواء .

— والموت يختار أكرم ما عند البخيل الممسك ليختطفه . . . وكان طرفة يريد أن يقول للائميه :

لماذا الامساك اذا ؟ ولماذا الاكتناز ؟ أو ليس اغتنام الملمات والانفاق عليها — وهذه سبيلى افضل !!!!!

— العمر بمثابة كنز يتناقص يوماً بعد يوم حتى يؤدى الى الانتهاء

والكل في ذلك سواء ، فلا أحد مخلص ، إذا فلماذا لا يشجع  
الانسان رغبته !!

تلك صرخات انسان حائر أدمن التفكير في الموت ، ومزقته الحيرة  
في بحث أمرار الوجود والعدم ، والبدء والنهاية .. وحاول أن يروي  
ظلماء من متاهات الوجود ، ولغز العدم ، فلم يظفر ولو بقطرات  
قليلة من ضوء اليقين ، فكان تخبطه من ممارسات الحياة اليومية  
الشائرة على قيم المجتمع ، وانهماكه في مغامرات اللذة المتمردة على  
التقاليد المألوفة .. (٢٨) .

لقد استبدت الحيرة والقلق بالشاعر - كما هو واضح في المعلقة -  
ولعل ذلك بسبب تحاشي القبيلة آياه ، وإفرادها له أفراد البعير  
المعبد ، وكابر طرفة وعاند وظل سادرا في غيه وضلاله ، لكن أثر  
العقاب واضح على طرفة من خلال شعره ممها حاول إخفاءه ...  
ولاسيما في مثل المجتمع البدوي الجاهلي الذي يصعب فيه على  
الانسان أن يعيش وحده إذ سيقع فريسة للخوف ، هذا الخوف  
الذي نصب شباكه حول طرفة .

نعم لقد كان طرفة خائفا ولذا فكر في الموت وخاف منه ، فعبّر  
عنه تعبيراً صادقا بلغ غاية في الجمال :

لعمرك ان الموت ما أخطأ الفتى

لما لطول المرخي وثنياه في اليد

أرأيت كيف كانت صورة الموت في ذهن الشاعر !!

ان الموت مممك بالانسان مثل لجام الفرس الذي يممك به

(٢٨) راجع : قراءة ثانية لشاعرنا القديم ، د. مصطفى ناصف ١٧١ .

الفارس فمهما امتد عمر الانسان فان الموت حصلك به ، فكيف يفر منه أحد وهو قد لجم بهذا اللجام !! وما هو الا أن يوقفه ولا يرخيه وهو اذ يفعل ذلك لا يستشير من سيموت ..

ان التصوير هنا يبرز كم الخوف المسيطر على طريقة ..

ولملك - وأنت تقرأ الأبيات - تلاحظ أن الشاعر يكرر كلمة ( أرى ) مما يدل على كثرة تفكره وإدراكه النظير في لغز الموت حتى وصل الى ما وصل اليه ، وكأنه لم يكن يهمه شيء سوى تلك ( الظاهرة ) التي رصدها .

#### ● الفضاة القصيدة وموقف الدكتور طه حسين منها :

بعد هذه الجولة الممتعة مع معلقة الشاب القتييل تلاحظ أن الألفاظ في معرض الحديث عن الخمر والندامى .. ألفاظ لينية ، بخلاف الفضاة في الناقة ..

ومن هنا :

شكل الدكتور طه حسين في هذا الجزء من المعلقة قائلا :

« وأنت اذا قرأت شعر طرفة رأيت فيه ما ترى في أكثر هذا الشعر الذي يضاف الى الجاهليين ، ولا سيما المصريين منهم ، من متانة اللفظ وغرابته أحيانا ، حتى لتقرأ الأبيات المتصلة فلا تفهم منها شيئا دون أن تستعين بالمعاجم » .. الى أن يقول : « وانظر هذه الأبيات التي يصف بها الناقة » .. ثم يذكرها .. ويقول : « ان أكثر هذه الأوصاف أقرب الى أن يكون من صنعة العلماء باللغة منه الى شيء آخر » (٢٩) .

(٢٩) في الأدب الجاهلي ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، الطبعة الحادية عشرة ، دار المعارف .

( م ٧ - الأدب الجاهلي )

ثم يذكر أبيات طرفة في مجلس الشرب والقينة . الخ ويقول :  
« ستري في هذه الأبيات ليننا ولكن في غير ضعف ، وشدة ولكن  
في غير عنف وستري كلاما لا هو بالغريب الذي لا يفهم ، ولا هو بالسوقي  
المبتذل » ( ٣٠ ) .

ويعلق على الأبيات :

وما زال تشرباي الخمر .

الى قوله :

وتقصير يوم الدجن والدجن معجب

ببهكة تحت الطراف المعمد

بقوله :

« في هذا الشعر شخصية بارزة قروية ، لا يستطيع من يلحها  
أن يزعم أنها متكلفة أو منحولة أو مستعارة . وهذه الشخصية ظاهرة  
البداوة واضحة اللحاد ، بيئة الحزن واليأس والميل الى الاباحة  
في قصد واعتدال » .

( هذه الشخصية تمثل رجلا فكر والتمس الخير والهدى فلم يصل  
الى شيء ، وهو صادق في يأسه ، صادق في حزنه ، صادق في  
ميله الى هذه اللذات التي يؤثرها . )

ومن هنا : لم يشك في نسب هذا الجزء الى الجاهليين .  
وشك فقط في شعر الناقة .

غير أن الدليل الذي أقام عليه شكه ليس مقنعا ، بل هو  
مرفوض . ذلك :

أنه يصف ناقة قروية ، صلبة متماسكة الأجزاء ، ويناسب ذلك  
كله الألفاظ القوية الجزلة ، والتراكيب الرصينة .

( ٣٠ ) نفسه .

بخلاف المسئلة العذبة .. وما ينهض من الالفاظ بغرض لا ينهض  
بغيره .

( فالالفاظ تنقسم فى الاستعمال الى جزلة ورقيقة ، ولكل منها  
موضع يحسن استعماله فيه ، فالجزل منها يستعمل فى وصف مواقف  
الخروب ، وفى قوارع التهديد والتخويف واشباه ذلك . واما الرقيق  
منها فانه يستعمل فى وصف الاشواق وذكر أيام البعاد ، وفى امتجلاب  
المودات وملابذات الاستعطاف واشباه ذلك ... ) .

هذا قول ابن الاثير (٣١) ..

ويقول القاضى الجرجاني (٣٢) :

( ... بل ارى لك أن تقسم الالفاظ على رتب المعانى ، فلا يكون  
غزلك كافتخارك ، ولا مديحك كوعيدك ، ولا هجاؤك كاستيظائك ،  
ولا هزلك بمنزلة جدك ، ولا تعريضك مثل تصريحك بل ترتب كلا  
مرتبتيه ، وتوفيه حقه ، فتلطف اذا تغزلت ، وتقخم اذا افتخرت ،  
وتتصرف للمديح تصرف مواقععه ، فان المدح بالشجاعة والباس يتميز  
عن المدح باللباقة والظرف ، ووصف الحرب والسلاح ليس كوصف  
المجلس والمدام ، فلكل واحد من الامرين نهج هو املك به ، وطريق  
لا يشاركه الاخر فيه ... ) .

واما استدلال الدكتور ( طه ) على الشك فى هذا الشعر بانه  
يحتاج الى الرجوع الى المعاجم فهذا دليل ( لا يقوم بهذا الشك الذى  
ذهب اليه ، فان اللغة تمسائر العصر وروحه ، ولغة الجاهلية

(٣١) المثل السائر لابن الاثير ٢٤٥/١ وما بعدها - تحقيق د. الحوفى  
ود. طبانة - ط ثانية .

(٣٢) الوساطة : ص ٢٤ ، تحقيق البجاوى وابى الفضل ، ط الحلبي .

والصحراء تختلف عن لغة الاسلام ولغة الحواضر .. وليس ذلك مقصودا  
على شعر طرفة ، بل في الشعر الاسلامي والعباسي ما يحتاج الى  
الرجوع الى معاجم اللغة ...

وحتى الابيات التي ارتضاها واثنى عليها شك في قائلها ...  
هل هو طرفة أم شخص آخر !!

ولا يصل التحقيق العلمى به الى غاية من الشايات المنشودة  
من البحث المنطقى للسليم ( ٣٣ ) .

**المعاني :**

لقد بلغ طرفة في ريق شبابه مرتبة عالية في عالم الشعراء ،  
لم يبلغها شعراء آخرون افنوا أعمارهم في قرض الشعر ، مما يدل  
على حدة ذهنه ، ونباهة فكره ، وخصوبة موهبته ، ورهافة حسه ،  
وقوة شاعريته ..

انه من الأوائل الذين عبدوا الطريق لمن بعدهم ، ووضعوا لهم  
الأصول ، لقد وقف القدماء عند كثير من تلك المعاني التي سبق اليها  
طرفة ، وأقروا له بالسبق والابتكار .

ذكر الجاحظ : أن رجلا أنشد عمر بن الخطاب - رضى الله عنه -  
قول طرفة :

**فلولا ثلاث هن من عيشة الفتى**

**وجدك لم أحفل متى قام عودى**

فقال عمر معارضا قول طرفة : « لولا أن أسير في سبيل الله

( ٣٣ ) . بدوى طبانة : معلقات العرب ص ١٢٥ ، وما قبلها ( يتصرف  
وايجاز ) .

واضع جبهتي هـ ، واجالس قومًا ينتقون أطيب الحديث كما ينتقون  
أطيب الثمر ، لم أبال أن أكون قد مت \* .

وسمع عمر بن عبد العزيز هذه الأبيات ( فلولا ثلاث ... )  
فقال : أنا والله لولا ثلاث لم أحفل متى قام عسودى : لولا أن أعدل  
فى الرعية ، وأقم بالسوية ، وأنقر فى النرية \* (٣٤) .  
وناقض عبد الحميد بن أبى الحديد البغدادى أبيات طرفة ( فلولا  
ثلاث ... ) فقال (٣٥) :

لولا ثلاث لم أخف صرعتى  
ليمت كما قال فتى العبد  
ان أنصر التوحيد والعدل فى  
كل مكان بإذلا جهدى  
وان أناجى الله مستمعاً  
بخلوة أحلى من الشهد  
وان أتبه الدهر كبراً على  
كل لئيم أصغر الخد  
لذاك أموى لا فتاة ولا  
خمر ، ولا ذى ميعرة نهد

(٣٤) راجع : العقد الفريد ٢١٢/٧ ، طرفة بن العبد حياته وشعره :  
ص ١٨٨ .

(٣٥) معاهد التنصيص ٣٦٤/١ ، وطرفة بن العبد ، حياته وشعره :  
ص ١٨٩ .

#### الخيال :

من أهم عوامل عبقرية طرفة التصوير الدقيق البارع ، فالتة  
المصورة وريشته الراسمة - ان صح التعبير - فيهما امكانيات عالية  
مكنة من فن التصوير تمكنا عظيما .

ومعظم صورهم تقوم على التشبيه ومن أبرز ما له في ذلك وصفه  
للناقة :

أمون كالسواح الاران تساتها  
على لاحب كأنه ظهر برجد

وقوله :

لها فخذان اكمل النحس فيهما  
كأنهما بابا منيف ممدد (٣٦)  
وطى محال كالحنى خلوفه  
وأجرنة لزت بدأى منفسد (٣٧)  
كأن كناسي ضالة يكتفانها  
وأطر قسى تحت صليب مؤيد (٣٨)

---

(٣٦) النحس : اللحم . المنيف : قصر مشرف . الممدد : الأملس .  
(٣٧) طى محال : أى لها فقار ظهر مترافعة . الحنى : جمع حنية  
وهى القوس . الخلوف : ماخير الاضلاع . الاجرنة : جمع  
جران وهو باطن الحلقوم .  
لزت : الصقت . الدأى : فقار العنق . المنضد : الملصق بعضه  
ببعض .  
(٣٨) الكناس : ما يحتفره الثور الوحش في أصل الشجرة يكتنه من  
الصر والبرد . الضال : شجر . أطر قسى : قسى معطوفة .  
المؤيد : المشدد .

لها مرفقان أفتلان كأنهما

أمرا يملئ دالج متشدد (٣٩)

كقنطرة الرومي أقسم ربهما

لتكتنفن حتى تشاد بقرمد (٤٠)

ومن أروع تشبيهاته قوله :

لعمرك إن الموت ما أخطأ الفتى

لما الطول المرخي وثنياء في اليد

أي أن الموت إذا أغفل بعض الناس ، فطال عمرهم لا يخرجون عن قدرته وسلطانه ، فمثله كمثل من بيده طرفا حبل مربوط برأس فرس إذا شاء جذب به إليه فانقاد له ، كذلك الإنسان لا محالة ميت ، وإن طال عمره .

وأما استعاراته فهي أقل ومن جميل استعاراته قوله في المعلقة :

سقتنه أياة الشمس اللثبات

أسف ولم تكدم عليه بائس

ومن الألوان البديعة في المعلقة :

الطباق :

في قوله :

وما زال تشرابي الخمر ولذتي

وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدي

(٣٩) أفتلان : متجايفان عن زورها . أمرا : فتلا . السلم : الدلو الدالج : الذي يدلج الدلو إلى الحوض . متشدد : لأنه يتشدد إذا باعد عضديه عن زوره .

(٤٠) لتكتنفن : لتؤتين من أكنافها أي من نواحيها . القرمد : الحجر .

وقوله :

رايت بنى غبراء لا يتكرونى

ولا أهل هذالك الطراف الممدد

وقوله :

كريم يروى نفسه فى حياته

ستعلم أن متنا غدا أينما الصدى

وغير ذلك كثير فى المعلقة .

ومنها : الترصيع فى قوله :

بطيء عن الجلى ، سريع الى الخنا

ذللول بأجماع الرجال ملهد

وبعد ..

فهذه نظرات سريعة فى معلقة طرفة ذلكم الشاعر الفحل ،  
والحق أنها تحتاج الى وقفات طويلة ولعل ذلك يثاح لنا فيما بعد .

\*\*\*

## الخنساء ترثى صخرًا

### الشاعرة:

تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد ( عمرو ) بن رياح  
ابن يقظة بن عصية بن خفاف بن امرئ القيس بن بهثة بن سليم  
ابن منصور (١) .

و ( الخنساء ) لقب اشتهرت به وغلب عليها .  
وكنيتها : أم عمرو . وهى أخت صخر ومعاوية ابنى عمرو بن  
الحارث ...

و ( صخر ) غير شقيق ، أما ( معاوية ) فهو شقيقها .  
و ( الخنساء ) مخضمة ، عاشت فى الجاهلية ، ثم وفدت فى  
وقد بنى سليم الى رسول الله - ﷺ - فأسلمت مع قومها ، وعاشت  
بعد ذلك - على الأصح - الى خلافة ( عثمان بن عفان ) - رضى الله  
عنه (٢) .

ومع ذلك يتسبها بعض النقاد - فنيا - الى العصر الجاهلى ،  
ومن هؤلاء : ابن سلام (٣) ، وابن قتيبة (٤) .  
ولكننا لا نسلم لهم بذلك ، فللخنساء شعر اسلامى ظهرت فيه  
تعاليم الاسلام وقيمه وأخلاقه فكيف ننفى عنها المخضمة !!

- 
- (١) ترجمتها فى : أسد الغابة ٨٨/٧ وما بعدها ط الشعب ، الاصابة  
٧٤/٨ ط الشرقية ١٩٣٥م ، الاستيعاب ١٨٢٧ ، الشعر والشعراء  
٣٤٣ ، الاغانى ٧٦/١٥ ( دار ) ، جمهرة انساب العرب ٣٦٢ .  
(٢) انظر كتب الصحابة المذكورة .  
(٣) طبقات فحول الشعراء : ٢٠٣ ، تحقيق محمود شاكر ، ط المحدثى .  
(٤) الشعر والشعراء ٣٤٤

وكان أخوها ( معاوية ) سيد قومه صديقا له ( دريد بن الصمة )  
الشاعر الفارس ، ورأى ( دريد ) الخنساء فاعجب بها وخطبها إلى  
أخيها لكنها رفضته قائلة لأخيها ( ٥ ) :

اتكرهنى هبلت على ( دريد )

وقد أصفحت سيد آل بدر ؟ ( ٦ )

لئن لم أوت من نفسى نصيبا

لقد أودى الزمان إذا بصخر

أيوعدن حجية كل يوم

بما ألى ( معاوية بن عمرو ) ؟

وهم أكفاؤنا فى كل خير

وهم أكفاؤنا فى كل شر

معاذ الله يرضعنى حبركى

قصير الشبر من جشم بن بكر ( ٧ )

يرى شرفا ومكرمة أتاها

إذا أغذى الجليس جريم تمر

لئن أصبحت فى جشم هديا

إذا أصبحت فى ذل وفقر

قبيلة إذا سمعوا بدعبر

تخفى جمعهم فى كل حجر

وتزوجت ( الخنساء ) رجلا من بنى قومها هو ( رواحة بن

---

( ٥ ) ديوانها : تحقيق د . ابراهيم عوضين ص ٢٩١ ، وأمالى القالى

١٦/٢ . وغيرهما وقد اختلف ترتيب الآيات فى المصادر .

( ٦ ) أصفحت : رددت .

( ٧ ) حبركى : قصير الظهر طويل الرجلين .

عبد العزى ( فولدت له ( عبد الله ) وهو ( أبو شجرة ) .. وكان  
( روضة ) هذا رجلا مكبرا مقامرا متلافا للمال ، مما جعل ( الخنساء )  
تأتى أخاها ( صخر ) فتسأله مالا ، وذلك لما هم ( عبد العزى ) بالرحيل  
للحصول على مال .

وما لبث أن أتلّف ما أعطاه ( صخر ) للخنساء ، فعادت إلى  
( صخر ) مرة أخرى ، فقام إلى ماله ليشطّره شطرين فقالت له زوجته:  
أعطها أخس مالك ، فقال صخر ( ٨ ) :

والله لا أمتحها شرارها

وهي حصان قد كفتنى عارها

ولو هلكت مزقت خمارها

واتخذت من شعر مدارها

ثم شطر ماله وأعطاه خيّر الشطرين . ولما مات ( صخر ) مزقت  
( الخنساء ) خمارها ، واتخذت من شعر مدارها .. وافترق الزوجان ،  
ثم تزوجت ( الخنساء ) برجل آخر هو ( مرداس السلمى )  
( أبو العباس بن مرداس ) . وكان على النقيض من ( روضة ) ،  
إذ لقب بـ ( الفيض ) لكرمه وسخائه .. ولكنه مات بعد أن أنجبت  
منه ثلاثة بنين وبنات ، ورثته بقولها ( ٩ ) :

وقضل مرداسا على الناس حلمه

وأن كل هم همه فهو فاعله

وأن كل واد يكره الناس هبطه

هبطت وماء منهل أنت ناهله

الخ .

( ٨ ) الشعر والشعراء ٣٤٦ ، الإصابة ٣٥٢/٨ ، العقد الفرید ٢٢/١ ،

شرح ديوان الخنساء ص ١١ .

( ٩ ) شرح ديوان الخنساء ص ٧٧ .

منزلتها الشعرية .

- جعلها ( ابن سلام ) في الطبقة الثانية بين أصحاب المراثى  
مقدما عليها : متمم بن نويرة ، وقدمها على أعشى باهلة ، وكعب بن  
سعد الغنوي (١٠) .

- وقد فضلها ( الشعبي ) على نساء الجاهلية أجمع .  
- وسألوا ( جريرا ) عن أشعر الشعراء فقال : أنا ، لولا هذه  
الخبثية - يعنى الخنساء - فسألوه : بم فضلتك ؟ قال : بقولها :

إن الزمان وما تفنى عجائبه  
أبقى لنا ذنباً واستوصل الرأس

أبقى لنا كل مجهول وفجعنا  
بالحالمين فهم هام وأرماس

إن الجديدين في طول اختلافهما

لا يفسدان ، ولكن يفسد الناس (١١)

- وقال ( ابن عبد البر ) : وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم يكن  
امراة قط قبلها ولا بعدها أشعر منها (١٢) .

- وكان ( بشار ) يقول : لم تقل امرأة شعرا إلا ظهر الضعف  
فيه ، قيل له : وكذلك الخنساء ؟ قال : تلك فاقت الرجال .

- وأثناء النزال الشعرى في سوق عكاظ جعل لها ( النابغة  
الذبياني ) المكانة الثانية بعد الأعشى ميمون (١٣) .

(١٠) طبقات الشعراء ٢٠٣/١ .

(١١) شرح المقامات للشرييني ٢٣٣ ، أعلام النساء / عمر رضا كحالة  
٣٠٦/١ وما بعدها .

(١٢) الاستيعاب ١٨٢٧ .

(١٣) تاريخ التراث العربي / فؤاد سزكين ص ٣٥٢ نقلا عن الشعر  
والشعراء .

وقيل غير ذلك كثير . . .

#### الخنساء والرياء :

رياء المرأة يختلف عن رياء الرجل : فالنساء ( أشجى الناس  
قلوباً عند المصيبة وأشدّهم جزعاً على هالك ، لما ركب الله في طبيعتهم  
من الخور وضعف العزيمة ) (١٤) .

ويقول بروكلمان (١٥) :

لعل المربية الشعرية نشأت نشأتها الأولى من ندب النواثع المجرد  
من القوالب ، ولهذا غلب تعهده بعد ذلك على النساء . وقد بلغت  
( الخنساء ) في ذلك أقصى مراتب الشهرة .

ويقول الرافعي (١٦) :

ولا يهولنك كثرة أسماء النساء اللاتي قلن شعراً ، فعمود الشعر  
عندهن الرياء ، وليس لهن إلا المقاطيع والآيات القليلة ، ولم تبس  
منهن إلا الخنساء وليلى الأخيلية ، وما شعرت الخنساء حتى كثرت  
مصائبها ، فاجادت وأطالت .

ولم يأت في شعر النساء خاصة أفحل ولا أجزل من شعر الخنساء،  
كأن فقد رجالها جعلها رجالاً .

ويقول المستشرق غوستاف فون غرنباوم (١٧) :

إن هذا الفن إنما بلغ أوجه في مراثي الخنساء الشاعرة .

وديوان الخنساء - إلا قلّه - في الرياء ، وجل مراثيها لصخر وهو  
أخ غير شقيق ، في حين أن أخاها الشقيق ( معاوية ) لم يظفر  
إلا بالقليل .

ومن عيون مراثيها زائعتها الرائية في صخر :

(١٤) العمدة لابن رشيق ١٢٣/٢ ، ط الاتحاد الأخرى .

(١٥) تاريخ الأدب العربي ١١٤/١ .

(١٦) تاريخ آداب العرب ٦١/٣ ، ط الاستقامة .

(١٧) دراسات في الأدب العربي ، ترجمة : إحسان عباس .

## النص

قذى بعينك أم بالعين عوار ؟

- (١) أم ذرفت إذ خلت من أهلها السدار  
كان هينى لذكراه إذا خطرت  
فيض يسيل على الخدين مدرار (٢)  
تبكى لصخر هي العبرى وقد ولعت  
ودونه من جديد الترب استار (٣)  
تبكى خناس فما تنفك ما عمرت  
لها عليه رنين وهي مفتار (٤)

(١) رواية البيت في ديوانها بتحقيق د. عوضين هكذا :

ما هاج حزئك أم .....

أم ذرفت أم .....

قذى : يقال : قذيت العين تقذى إذا سقط فيها القذى . العوار :  
وجع في العين كالقذى من الرمء .. ذرفت : أى أمطرت مطرا  
متتابعاً لا يبلغ أن يكون سيلاً .

(٢) فى العقد : كان دمعى .....

(٣) العبرى : التى لا تجف عينها من الدموع ، وقيل لها عبرى لهما لان  
دموعها . ولعت : الوله : ما يصيب الرجل والمرأة من شدة الجزع  
عند المصيبة . والواله : التى قد شغها الحزن على ولدها ،  
والواله - أيضاً - المشتاق . جديد التراب : ما أثير من باطن  
الأرض . استار : اللين ستر ، والتراب ستر ، وما يتبعه ستر .  
(٤) الرنين : البكاء . المفتار : التى أصابها فترة ، أى ضعف وانكسار .

تبكى خناس على صخر وحق لها

- إذ رابها الدهر ، إن الدهر ضرار (٥)  
لا بد من ميتة في صرفها عبر  
والدهر في صرفه حول وأطوار (٦)  
قد كان فيكم ( أبو عمرو ) يسودكم  
نعم المعمم للداعين مهصار (٧)  
صلب النحيظة ، وهاب إذا منعوا  
وفي الحروب جرىء الصدر مهصار (٨)  
يا صخر وراد ماء قد تناذره  
أهل الموارد ما في ورده عار (٩)

(٥) في العقد : فالعين تبكى على صخر وحق لها  
(٦) في بعض الروايات :

..... في صرفها غير

.....

هبر : أي اعتبار .

حول : أي تحول وتصرف وتقلب واختلاف ، أي يتقلب اختلافاً  
وذلك لاختلاف الأيام .

أطوار : حالات : أي طوراً كذا وطوراً كذا .

(٧) أبو عمرو : إحدى كنى صخر . المعمم : المسود ، عمم الأمر : قلده  
فيصدر عن رأيه .

(٨) النحيظة : الطبيعة . مهصار : أي يدق الأعناق .

(٩) وراد ماء : كثير ورود الماء . ويقال : الماء هنا : الموت وقالت :  
وراد ماء كناية عن شجاعته وإقدامه وأنه لا يهاب الموت . تناذره :  
أنذر بعضهم بعضاً حوله وصعوبته . ما في ورده عار : أي ما في  
ترك ورده عار . أي ليس يعير أحد أن يعجز عنه من صعوبة ورده .

مشى السبنتى إلى هيجاء معضلة

له سلاحان ، أنياب وأنفاسار (١٠)

وما عجول على بو تطيف به

لها حنينان : إعلان وإسرار (١١)

(١٠) فى رواية .

..... معضلة

السبنتى : هو كل سبع من أسد وديب ونمر . والسبنتى : هو  
الطويل الجرىء من كل شيء . والمعطلة والمعضلة : الشديدة .

(١١) فى العقد :

يسكاء والهة ضلت ألفتها

لها حنينان : إسغار وإكبار

العجول : الناقة التى يموت ولدها وهو صغير . البو : أن ينخر  
ولد الناقة ويحشى جلده تماماً أو غيره من الشجر ، ويدنى من  
أمه فترامه .

وقال أبو عبيدة : العجول والخلوج والسلوب والواله : مثل المفاقد ،  
قال : والبو : جلد ولد الناقة الذى تبوئه فتحشوه تماماً فتندر عليه .  
قال : وأما الجلد - مفتوح اللام - فهو جلد السقب الميموط الذى  
لم يحش كقول دريد بن الصمة :

وكننت كذات البو ريعت فاقبلت

إلى جلد من ممسك سقب مقدد

وقوم يجعلون الجلد ، والبو ، والرام سواء .

- (١٢) ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت  
فإنما هي : إقبال وإدبار  
(١٣) لا تسمن الدهر في أرض وإن رتعت  
فإنما هي : تحنان وتسجار  
(١٤) يوما بأوجد مني يوم فارقني  
صخر ، وللدهر إحلاء وإمرار

(١٢) يروى :

.....

- فإنما هو .....  
أي كأنما فعلها إقبال وإدبار . وفي العقد :  
ترعى إذا نسيت حتى إذا اذكرت  
فإنما هي إقبال وإدبار  
وترتع : أي ترعى .

(١٣) روى :

..... وإن ريعت

- أي أصابها مطر الربيع ، يقال : ريعت الأرض فهي مريوعة ،  
وقد سميت من الوسمي فهي موسومة وهو أول مطر الربيع .  
تحنان وتسجار : يقال : حنت الناقة إذا طربت في إثر  
ولدها فإذا مدت الحنين وطربت قيل : سجرت .

(١٤) يروى :

- يوما بأوجد مني .....  
ويروى : يوما بأفجع مني ...  
أوجد : أي أحزن . يقال : ما أحلى فلان وما أمر : أي ما أتى  
بخلو ولا بمر .

( م ٨ - الأدب الجاهلي )

- (١٥) وإن صخر لوالينا وسيدنا  
وإن صخرا إذا نشتو لنحار  
(١٦) وإن صخرا لمقدام إذا ركبوا  
وإن صخرا إذا جاعوا لعقار  
(١٧) وإن صخرا لتاتم الهداة به  
كانه علم في رأسه نثار  
(١٨) جلد ، جميل الحيا ، كامل ، ورع  
وللحروب غداة الروع مسعار  
(١٩) حمال الوية ، هباط اودية  
شهاد أندية ، للجيش جرار

(١٥) يروى :

..... لكافينا وسيدنا

ويروى :

..... لمولانا وسيدنا

نشتو : أى حينما يشتد الزمان والبرد .

(١٧) يروى :

أغر ، أبلج ، تاتم الهداة به

.....

والأغر : المشهور . والأبلج : البعيد ما بين الحاجبين ، وهو  
من ليس بأقرن وهذا مما يمدح به الرجل . والعلم : الجيل .

(١٨) يروى في تاج العروس :

جلد ، جميل ، مخيل ، بارع ، ذرع

وفي الحروب إذا لاقيت مسعار

والذرع : الحسن العشرة والمخالطة .

(١٩) رواية البيت في الصناعتين هكذا :

جواب قاصية ، جزاز ناصية

عقاد الوية ، للخيل جرار

(٢٠) فقلت لما رايت الدهر ليس له

معاتب ، وحده يسدى ونيار

(٢٠) قولها : ( وحده يسدى ونيار ) فى اللسان : انشد شعر  
( للكبيت ) :

فمبا تاتوا يكن حسنا جميلا

وما تسدوا لكرمة تنيروا

يقول : إذا فعلتم أمرا أبرمتموه ... وقال الشاعر :

إذا أنا أسديت السداة فالحما

ونيرا فإننى سرف اكفيكما الدما ... (ه١)

وبذلك يتضح أن العرب يقرنون بين الإسداء والانارة والمعنى :  
أن حكمه نافذ مبرم لا راد له .

وفى مادة ( نير ) انشد للزرقان :

ومتهل طام عليه الخلفى

ينير أو يسدى به الخدرنى

وقال بعض الأغفال :

تقسم استيالها بنير

وتضرب الناقوس وسبط المدير

قال : النير : القصب والخيوط إذا اجتمعت ، والنير : العلم ..  
والمعنى على ذلك : أن الدهر يعلو بحده ، ويخط ما يخط ،  
فيفعل بالناس فعل الحائك الذى يسدى الثوب - : أى ينسجه -  
ويترك بفعله هذا أثرا بارزا وعلامة واضحة ظاهرة كالنير  
وهو : العلم فى الثوب ، أو كستام البعير : ففى اللسان : ناقة  
ذات نيرين : إذا حملت شحما على شحم كان قبل ذلك وأصل  
هذا من قولهم : ثوب ذو نيرين : إذا نسج على خيطين ،  
وقيل هو بالفارسية ( دوياف ) ... أى ( الكنار ) فى طرف  
الثوب .. والنير : الواضح من كل شيء .

- (٢١) لقد نعى ( ابن نهيك ) لى أخائقة  
كانت ترجم عنه قبل أخبار  
(٢٢) فبت ساهرة للنجم أرقبه  
حتى أتى دون غور النجم أستار  
(٢٣) لم تره جارة يمشى بساحتها  
لريسة حين يخلى بيته الجار  
(٢٤) ولا تراه وما فى البيت ياكله  
لكنه بارز الصحن مهمار  
(٢٥) ومطعم القوم شحما عند مسغبهم  
وفى الجدوب كريم الجد ميسار  
(٢٦) قد كان خالصتى من كل ذى نسب  
فقد أصيب فما للعيش أوطار

- 
- (٢١) ابن نهيك : من بنى سليم وهو الذى نعى الى الخنساء موت  
صخر .  
(٢٢) أرقبه : أترقبه متى يصبح لعل لى فى ذلك فرجا . غور النجم :  
سقوطه .  
(٢٤) مهمار : مكثار يكثر لضيافته من القرى .  
(٢٥) مسغبهم : أى جوعهم .  
(٢٦) خالصتى : أى الذى اخترته لنفسى وخلص لى وده . أوطار :  
جمع وطر . والوطر فى العيش : أى ليس بعده فى العيش  
جدة .

(٢٧) مثل الردينى لم تنفذ شببيته  
كانه تحت طى البرد أسوار  
(٢٨) جهم المحيا ، تضىء الليل صورته  
أباؤه من طوال السمك أحرار

(٢٧) فى رواية :

• • • • • لم تدنس شببيته

• • • • •

ويروى :

• • • • • سنينته

• • • • •

الردينى : الرمح منسوب الى ردينة ، امرأة كانت تقوم الرماح .  
اسوار : أى كانه إسوار من لطافة بطنه وهيفه . والإسوار  
- بالكسر فى اللسان - وبالضم فى القاموس - : لغة فى السوار .  
تقول هو لطيف كانه إسوار أى قليل اللحم كانه أسوار من  
ذهب أو فضة فى حسنه وضمه . وقيل : المعنى : كانه حين  
اقتزر ببرده فطواه عليه محتيكا لأن المؤتزر يطوى حواشى  
أزاره بحقوه . والسنينة : الحديد التى فى رأس الرمح .

(٢٨) الجهم والجهيم من الوجوه : الغليظ المجتمع فى سماجة . . .  
وجهمت الرجل وتجهمته : اذا كلحت فى وجهه . ويبدو أنها  
تريد أن تقول إنه ممتلىء الوجه ، مهيب الجانب ، ثم استدركت  
خسوها من أن يظن أنه مهيب لسماجة وقبح فقالت : تضىء الليل  
صورته . . . أى هو مثل البدر . . . فالجهم هنا هو الوجه الممتلىء  
ويتناسب مع الطول والضخامة . السمك : القامة من كل شيء  
بعيد طويل السمك .

- (٢٩) مورث المجد ، ميمون نقييته  
ضخم الاسيعة فى العزاء مغوار  
(٣٠) فرع لفرع كريم غير مؤتشب  
جلد المريرة عند الجمع فخبار  
(٣١) فى جوف لحد مقيم قد تضمنه  
فى رسمه مقمطرات واحجار  
(٣٢) طلق اليدين لفعل الخير ذو فجر  
ضخم الاسيعة بالخيرات امار  
(٣٣) لييكه مقتر افنى حرييته  
دهر وحالفه يؤس واقتار

- (٢٩) مورث المجد : اى قد ورث الشرف . ضخمة الدسيعة : اى عظيم  
الخلق . والدسيع : الخلق العظيم الشريف وأصل ذلك : من  
دسع البعير بجرفته إذا افاض بها . والدسيعة : العطية .  
(٣٠) فرع لفرع : اى رأس لرأس . المؤتشب : المخلوط الحسب .  
المريرة : إبرام الراى .  
(٣١) روى البيت هكذا :  
فى جوف رمس . . . . .  
والرمس : القبر . والروامس : الرياح الدوافن التى تدفن الآثار  
والمعالم . مقمطرات : قال ابن الاعرابى : دواه . وقال أبو عمرو :  
صخور عظام . وقيل : المقمطرات : الأكفان .  
(٣٢) طلق اليدين : اى مطلق اليدين بالخير . ذو فجر : اى ينفجر  
بالمعروف .  
(٣٣) الخريبة : مال الرجل الذى يعيش به ويقوم به أمره . وقيل :  
لا يسمى خريبة : الا اذا سلب .

- (٣٤) ورققة حار هاديهم بمهلكة  
كان ظلمتها في الطخية القار  
(٣٥) لا يمنع القوم إن سالوه خلعتنه  
ولا يجاوزه بالليل مرار

\* \* \*

(٣٤) يقال ورققة ورققة ، ويقال : مهلكة ومهلكة ، والطخية من  
الطخاء وهو الغيم الرقيق أى : وارى الليل النجوم والغيم  
فاشتدت الظلمة وتحير الهادى . وقال أبو عبيدة : يقال ما فى  
السماء طخاء : أى ظلمة قال : وجاء فى الحديث : « إذا وجد  
أحدكم طخاء على قلبه فلياكل سفرجلا » - قال محقق الديوان:  
لم أقف على هذا الحديث وقد ذكره صاحب اللسان فى مادة  
(طخا) .

### المناسبة :

قال أبو عبيدة :

غزا صخر بن عمرو ، وإنس بن عباس الرعلى - من بنى سليم -  
بنى أسد بن خزيمة فى بنى عوف وبنى خفاف - وكانا متساندين - :  
( صخر ) على بنى خفاف ، و ( أنس ) على بنى عوف ، فاكتمسا  
أموال بنى أسد ، وسييا ، ومضيا .

فاتى الصريخ بنى أسد ، فذبحوهم حتى لقوهم بـ ( ذات الئثل ) ،  
فاقتتلوا قتالا شديدا ، وطلعن ربيعة بن ثور الاسدى صخرا فى جنبه ،  
فادخل جوفه حلقا من الدرع ، وجوى ( صخر ) من الطعنة ، فكان  
مريضا قريبا من الحول حتى مله أهله ، فسمع امرأة من جاراته  
تسال ( سلمى ) امراته : كيف بعلك ؟

قالت : لا حى فيرجى ، ولا ميت فينسى . لقد لقينا من الأمرين .  
فسالت أمه عنه فقالت : أرجو له العافية إن شاء الله .  
فقال فى ذلك ( ١ ) :

أرى أم صخر لا تمل عيادتى

وملت سليمى مضجعى ومكانى

فأى امرئ ساوى بام حليلة

فلا عاش إلا فى شقا وهوان

---

( ١ ) العقد الفريد ٣١/٦ ، الأنوار ومحاسن الأشعار للششاطى ٥٦ ،  
الأغانى ١٣٦/١٣ وما بعدها ، الكامل لابن الأثير ٣٦٨/١ ، مجمع  
الأمثال ٩٦/٢ ، ٤٤٢/٢ ، نهاية العرب ٣٦٨/٥ ، معجم  
ما استعجم للبكرى ( ذات الئثل ) .

وما كنت أخشى أن أكون جنازة  
عليك ومن يفتر بالحدثان  
لعمري لقد نبهت من كان نائما  
واسمعت من كانت له أذنان  
أهم بأمر الحزم لو استطيعه  
وقد حيل بين العير والنزوان

فلما طال عليه البلاء ، وقد نثت قطعة من جنبه مثل اليد  
في موضع الطعنة ، قالوا له : لو قطعناها لرجونا أن تبرا . فقال :  
شأنكم ! فقطعوها فمات .

وبموته تفجرت شاعرية أخته ( الخنساء ) حزنا عليه على  
الرغم من أنه أخ غير شقيق ، إلا أنه حظى بالغالب الأعظم من شعرها ،  
في حين أن أخاها الشقيق ( معاوية ) لم يحظ إلا بالقليل . ولعلها  
وجدت منه شفقة ورفقا لم تجدهما في الشقيق بدليل قسمة ماله مرتين  
وإعطائها الشطر الأجود .



#### التحليل والشرح

تبدأ القصيدة بتساؤلات تنبئ عن حيرة الشاعرة وقلقها - فهي  
لا تعرف سبب بكائها . أهو لقذى في العين ؟ أم لعوار بها ؟ أم لخلو  
الدار من أهلها ؟

وتأتي الإجابة في البيت الثاني لتبين أن البكاء كان بسبب خطوط  
ذكرى صخر ، هذا الخطور الذي يحيل عين الخنساء ( فيضا )

( يسيل ) ( مدرارا ) بهذه اللفاظ التي تدل على الديمومة والتكرار والاستمرار ( ٢ ) ..

نعم : إنها دموع مستمرة الهطول ، دائمة .

ولقد صارت عينها التي كانت أداة إبصار ( هي العبرى ) أى الدامعة الباكية على الدوام . ولم لا ( وقد ولعت ) إذ حال بينها وبين رؤية صخر أستار من جديد التراب ؟؟

وهذا التراب جديد ليس لأنه غطى به قبر جديد . وإنما لأنه تراب قبر صخر .. ومن ( صخر ) ؟؟ إنه ميت فريد ، فذ ، نادر ، لا مثيل له - فى نظر ( الخنساء ) - فلا بد أن يكون التراب كذلك أيضا ( جديدا ) .

والجمع فى ( أستار ) يكشف عن مدى الفجيعة التي تحس بها الشاعرة ، فليس سترا واحدا حال بينها وبين أخيها إنما هي ( أستار ) انقطع معها الأمل وخاب الرجاء .

ولذلك فهي تديم البكاء :

تبكى خنساء فما تنفك ما عمرت

لها عليه رنين وهي مفتار

وهنا كشفت عن أن العين الباكية هي عين ( الخنساء ) . . . وستظل باكية طوال عمرها ، صارخة ، نائحة ، على الرغم من إصابتها بضعف وانكسار .

( ٢ ) ذهب الدكتور الحينى إلى أن المعنى : ماذا دهاك أيتها المرأة فلا تبكين ؟ أوحجب البكاء قذى أغلق العين فاستحال نزول الدموع ؟ أم راعتك الوحشة وحدك والبيت خلو ليس فيه سواك .. الخ  
الخنساء : ص ١٥٨ .

وكيف لا تبكى ؟ وكيف لا تصاب بضعف وقتور ، والمبكى هو  
( صخر ) الذى أصابها فيه الدهر ؟؟

وقالت ( رابها الدهر ) ولم تقل ( رابنا الدهر ) كان الدهر  
اختص ( الخنساء ) ، وقصد إليها قصدا ، بكل ما يفعله . وإذا كان  
الدهر قد رابها فإنه له يكف بذلك ، وإنما أضر بها ضررا شديدا  
بالغا .. وهذا غير مستغرب ، لأن هذه هى طبيعة الدهر ( إن  
الدهر ضرار ) هكذا بصيغة المبالغة التى توحى بالكثرة والتكرار .

« وما دام الدهر فى حقيقته ضرارا ، فإنه لابد أن يكون دهر  
الصروف والأحوال والأطوار . وإن لب ما يقدمه الدهر للأحياء من  
صروفه هو : الموت . ولكن الدهر يختص ( الخنساء ) وقومها بميتة  
فريدة ، ( ميتة فى صرفها عبر ) جاء لفظها مفردا نكرة ، فكانها  
( درة الدهر اليتيمة ) : الميت فيها حتى لا يموت ..

نعم ، إنها ميتة فى صرفها ( عبر ) أى عجائب ، وأى عجائب !  
إنها لعجائب منكرة ، تتجلى فيها أطوار الدهر وتحولاته التى  
استبدت بالبيت وسيطرت عليه « ( ٣ ) ..

وهكذا كان ختم الخنساء لهذا المقطع بتلك الحكمة التى  
استوختها من آلامها وأحزانها فى الأبيات السابقة .

ومن فعل الدهر أنه جعل ( صخر ) فى خبر ( كان ) ،  
وصار يعبر عنه بهذا الفعل الذى يدل على الماضى ، مما يستدعى  
التحسر والتألم على هذا الذى ( كان ) .. فماذا كان ؟

قد كان فيكم ( أبو عمرو ) يسودكم

نعم المعمم للداعين نصار

وقولها ( فيكم ) تجعل ( صخرا ) حاضرا في القوم ، متوحدا بهم ، وتكرس وجوده في الجماعة المخاطبة الحاضرة الباقية ، وترسخ فيهم ، وداخلهم وباطنهم ، وهم على ما هم عليه مناط الدوام والاستمرار والتحقق (٤) .

« وقد اكتملت لصخر بالكنية ، والفعل المضارع ، واسم المفعول ، ( أبو عمرو - يسودكم - نعم المعمم ) صياغته الاجتماعية ، ووجوده الشخصي المتكامل ، حين اندمجت ذاته في الآخرين ، فلم تعد بلا أبعاد أو وظيفة أو غاية » (٥) .

لقد كان سيد قومه معهما ، نصيره رئيسا لهم ، يؤملون فيه كل الخير للقبيلة ، وقد أعطاهم ما أرادوا ( للداعين نصار ) .. وكيف لا يسوده قومه وهو المؤهل لتلك السيادة والقيادة !!  
لقد كان :

صلب النخيزة ، وهاب إذا منعوا

وفي الحروب جرىء الصدر مهصار

لقد كان ذا طبيعة قوية ، وجسم صلب ، يكثر البذل حينما يعز على الناس العطاء ( وهاب ) ، وقد كان متميزا متفردا في هذه وفي غيرها ففي حين يجبن الآخرون عن الحروب فإن ( صخرا ) يكون ( جرىء الصدر ) ويكثر دق رقاب الأعداء ، وليس ذلك مرة ولا مرات فحسب إنما هو ( مهصار ) بصيغة المبالغة .

(٤) نفسه ( يتصرف وإيجاز ) ص ٨٨ .

(٥) نفسه .

ويتميز صخر وينفرد عن الآخرين في أنه :

• • • وراد ماء قد تناذره

#### أهل الموارد ما في ورده عار

إن صخرا يرد مواردا الموت ، وهذا التورود متكرر ( وراد )  
بلا توقف ولا انقطاع .. وهذه الموارد قد أنذر ( أهل الموارد )  
بعضهم بعضا من نزولها •

تأمل قولها ( أهل الموارد ) فقد أضيفت ( أهل ) إلى ( الموارد )  
لتبين أن هؤلاء الخائقين الحذرين اعتادوا ورود الموارد قصاروا  
أهلها ، تخصصوا في ذلك ، وكأنها صارت حرفة لهم ومع ذلك يخشون  
نزول هذه الموارد .. هذا يبين قدر المخاطرة التي يقدم عليها من  
يرد هذه المياه ..

ولا يردها غير ( صخر ) ، وهو لا يردها مرة أو مرات ، وإنما  
كثير نزولها ( وراد ماء ) .. إن ( صخرا ) بذلك نسيج وحده ،  
متميز ، متفرد ، فلا يخشى ما خشيه هؤلاء ، بل يخاطر فيما لم  
يجرؤوا هم عليه ..

و ( صخر ) وهو يرد هذا الماء لا يكون حذرا ، أو خائفا هيابا ،  
بل إنه يمشى إليه مشى النمر الجريء ، غير آبه بالعواقب ..

أرايت كيف كانت شجاعة ( صخر ) وجراته وإقدامه ؟؟  
يحجم أهل الموارد فإذا بصخر يتقدم كالنمر الجريء ، مطمئنا ،  
واثقاً ، معه سلاحان ( أنياب وأظفار ) •

لقد استطاعت الشاعرة إبراز مدى شجاعة أخيها بهذه المقارنة بين  
أهل الموارد وإحجامهم ، وصخر وإقدامه وعدم ميلاته بالمخاطر ،  
بل وبولوعه ورود مثل هذا الماء ، الذي لا يلام ولن يعير العاجز عن  
الوصول إلى مثله نظيرا لصعوبة وروده •

والآبيات في هذا الجزء من القصيدة « يرتبط التالى مع سابقه من إطاره الذى يتضمن الصورة ، ونجد صورها الشعرية وإن كانت كل واحدة مستقلة فإنه ينظمها عقد تصور الشاعرة فخرجت بنوع من الترابط ، بحيث لو حاولنا أن نغير من نظامها لأحسنا باضطراب فى تسلسل الصور ، وللاحظنا أن النظام المرسوم لها قد اختلف أمره ، وهذه ميزة فنية تسجل للخنساء فى هذا الجزء من القصيدة (٦) .

وفى هذا المقطع ( الثانى ) صورة رائعة فاقت مثيلاتها من صور شعراء جاهليين ومخضرمين (٧) .

أرادت الخنساء أن ترينا مدى حزنها على فقد أخيها ( صخر ) ، فاختارت من البيئة ما تقارن حزنها بحزنه .. فقالت :

وما عجل على بو تطيف به

لها حنينان : إعلان وإسرار

ترتفع ما رتعت حتى إذا أذكرت

فإنما هى : إقبال وإدبار

لا تسمن الدهر فى أرض وإن رتعت

فإنما هى : تحنان وتسجار

يوما باوحد متى يوم فارقتى

صخر ، ولدهر إحلاء وإمرار

إن هذه الناقة يكاد يقتلها الحزن لفقد وليدها ..

وإنها لناقاة ( عجول ) مسلوية ، لا هدى فى حركتها ، وإنما

(٦) الخنساء للدكتور الحينى : ص ١٦٢ .

(٧) راجع الموازنة بين هذه الصورة وشبهاتها فى قصيدة ( دريد بن الصمة ) السابقة .

هي متعجلة متلهفة غلى ولدها (البو) وهو ولد الناقة الذي يذبح ، ويؤخذ جلده ليحشى بالقش والحطب ، ثم يوضع أمام أمه ، فتشمه ، فيدري أنها . .

وحيرة تلك الناقة الأم وعجلتها إنما جاءت من جراء رؤيتها لابنها ، وشمها له ، فتجد فيه رائحته إلا أنها حين تقترب منه تجده ميتا ، فتزداد حيرتها ولوعتها وأسأها . ومع ذلك تنظر فتجده في ذلك الجلد ، فتعود إليه وتبرء بالخبيبة والياس - بعد أن در لينها - وعاد صوتها ونداؤها دون أن تجد جوابا .

وكلما تعاود الحنين والتطواف حوله ، والنداء له ، والشم فيه فلم يكن لذلك من سميع لها تزداد وتتصاعد الحيرة ، والقلق ، والاضطراب ، والسرعة ، والإقبال ، والإدبار ، والأمل ، والياس . . وهكذا دواليك .

« ومهما أقبلت الأم ( العجول ) أو أدبرت ، لا يقر لها قرار ، ولا يتحقق لها يقين ، ولا يكتمل إدراك ، بل تتنازعها كل التصورات ، وتحاصرهما كل الاحتمالات ، ذلك بأن ( ابو ) صورة مركبة محيرة ، بالغة الإيحاء والتعقيد ، تثير قوى الشعور والإدراك كافة ، وتهزها هزا ، وتعرضها لمثيرات تتسم بكثير من التداخل والاضطراب والغموض » (٨) .

إن هذه الناقة « تظهر حزنها على صورتين : إحداهما ترجيع الحنين في صوت خفيض ، والأخرى : ترجيعه في صوت عال » (٩) . وأم كهذه لم تقرر عينها برؤية ولدها ، وفلذة كبدها . . هل يجدى معها طعام مهما كان نوعه ؟

(٨) محمد صديق غيث : مجلة فصول ( مرجع سابق ) ص ٨٢ .

(٩) الخنساء شاعرة بنى سليم : ص ١٦٣ .

كلا .. إنها مهمومة محزونة .. فكيف تستسيغ الطعام !!  
أرايت هذه الناقة على ما هي فيه من هم دائم ، وحزن كثيف ،  
ومرارة بالغة ؟؟

إنها ليست أشد حزنا ولما وحسرة من ( الخنساء ) التي فقدت  
( صخرا ) ..

لقد برعت ( الخنساء ) براعة فائقة في الغوص داخل هذه  
الناقة لتكشف لنا عن مشاعرها وعواطفها وتحللها لنا بتلك الدقة  
المتناهية .

وتختتم حديثها عن حزينها قائلة :

.....

..... وللدهر إحلاء وإمرار

وقد ذهب أحد النقاد المحدثين إلى أن ( الخنساء ) أضعفت  
الصورة بالجملة الأخيرة التي وصفت بها الدهر بأنه متقلب ، يصفو  
فيكون حلوا ، ويعتكر فيكون مرا ، ومن الواضح أن هذه الجملة  
( وللدهر إحلاء وإمرار ) ضعيفة الصلة بالصورة الشعرية ، ومن ثم  
فإن الضرورة هي التي اضطرت الشاعرة إليها لتكمل المصراع الثاني  
في البيت فأفسدت جانباً من جمال الصورة ، وهذا خطأ لا يفتقر  
للخنساء (١٠) ٠١ هـ .

وأنا لا أوافق على ذلك .

فلو رجعنا إلى نهاية المقطع الأول لوجدناه :

.....

والدهر في صرفه حول وأطوار

(١٠) المرجع السابق .

وربطت بينه وبين ما تلاه بقولها ( قد كان ) والدهر هو الذى  
تسبب فى ذلك واضطرها الى الحديث عنه بصيغة الماضى ( كان ) .  
ثم أخذت فى نعتة ، وبيّنت مدى حزنها فى المقطع الثالث عن طريق  
( البو ) ، وختمت المقطع بقولها :

• • • • •

• • • وللهدر إحلاء وإمرار

مما يدل على أن فعل الدهر بها لا يزال فى ذهنها طوال  
القصيدة ، وكيف لا وهو مسبب حزنها - كما كان هو نفسه سببا فى  
حزن الناقة ؟؟ ثم إن الشطرة الأولى :

يوماً بأوجد منى يوم فارقنى

• • • • • صخر

مسوغ لتلك الجملة :

• • • • •

• • • وللهدر إحلاء وإمرار

لأن سبب الفراق هو المصيبة التى أنزلها الدهر ، ذلك الدهر  
الذى من طبيعته تلك المفارقات المتناقضات •• ألم يكن ( صخر )  
بالأمس بيننا هو سبب سعدنا ، ومبعث فخرنا وتيهنا !! ها هو قد صار  
سبب حزننا •

ومن هنا فإننى أرى : أن الخبساء وفقت كل التوفيق فى ختم  
المقطع بهذه الجملة التى لها علاقات قوية بالمقطعين السابقين ،  
وهى ركن فى المقطع الأخير •

ويأتى المقطع الثالث فى القصيدة له علاقة قوية بالمقطع  
( م ٩ - الأدب الجاهلى )

السابق .. كان سائلا يسأل ، أو شخصا يذكر أن يكون كل هذا الحزن على ميت ، فتجيب الخنساء على سؤال المتسائل ، وتبرز أمام المنكر صورة لحياة ( صخر ) ، وكأنها تقول :

أولست هذه مصيبة المصائب أن تصاب في صخر !!

ومن هنا بدأت في بيان صفاته ومكانته بين قومه .

فذكرت أنه كان سيد قومه ، وهو مغيثهم عند النوائب والكوارث ، وهو الشجاع الصديق حين يركب القوم للغارة على الأعداء ، وإن للجواد الكريم الذي يكثر ذبح الذبائح عند جوع القوم .

لقد جمع ( صخر ) من الصفات ما جعله هداية للسارين في الليل البهيم ، جاء ذلك في بيت افتتن به القدماء ، وهو قولها :

وإن صخرًا لتسائم الهداة به

كانه علم في رأسه نار

تريد أن تقول : إن ( صخرًا ) هاد للهداة ، وإمام للأئمة ، ودليل للأدلة فإذا ضل الهداة والأئمة والأدلة فإن صخرًا لا يضل ، وكيف يضل وهو كالمعلم في رأسه نار ؟ .. إنه كالجبل في رسوخه ، وثباته ، وتمكنه ، وصلابته بحيث يختمى به ويلجأ إليه ..

ولا تزال ( الخنساء ) تصف أخاها فتقول :

جلد ، جميل المحيا ، كامل ، ورع

وللحروب غداة الدروع مسعار

حمل النوى ، هبناط أودية

شهاد اتدية ، للجيش جزار

وبعض النقاد يرى أن الشاعرة لم تصف جديدا ذا غناء في وصف صخر ، فقد سبق لها أن قالت عنه إنه ( صلب النخيزة ) وأنه

فى الحروب ( جرىء الصدر مهصار ) ، وأنه يرد الساء الذى يخشى  
غيره أن يرده ، وأنه مقدم ، وجاءت بصور شعرية وجمل تقريرية  
تعبّر بها عن هذه المعانى ، ولكن الخاصة الفنية عند ( الخنساء )  
أبت إلا أن تكرر المعانى بالفاظ أخرى .. تراها تقول :

إن صغرا - إلى جانب اتصافه بحسن الخلق - يمتاز بالهلاية ،  
وبجمال المحيا ، واستواء الخلق ، واتصاف الرجال بجمال الصورة  
كان من المعانى التى تذكر لهم .. فجمع ( صخر ) بذلك صفتي  
الحسن : الجمال والشجاعة (١١) ٠١ هـ ...

ونحن لا نراه تكرارا .. وإنما أرادت ( الخنساء ) أن تثبت أن  
أخاها سيد للقبيلة ، وأن هذا السيد هو نفسه قائد القبيلة فى  
حروبها ، وأنه جمع صفتين قد لا تتوافران معا ، وهما : الجمال  
والشجاعة . وكم من الشجعان افتقدوا صفة الجمال هذه كـ ( عنتره  
وخفاف والمليك بن السلكة ) وغيرهم .

أما ( صخر ) فجمع له الصفتان ، وهنا وصفته بأنه ( مسعر  
للحروب ) و ( جمال الوية ) ، ( هباط أودية ) ، ( شهاد أندية )  
بصيغ المبالغة ، وهذا يدل على كثرة حملته للالوية ، كناية عن أنه قاد  
قبيلته فى حروبها وهو صغير ، وأن زمام الحرب يكون بيده فهو  
المسعر لها وهو يحضر المجالس المهمة للقبيلة ، كل هذا يفعله صخر ،  
فالقيادة المركزية للقبيلة كلها فى يده هو لا فى يد غيره ، هو المخطط  
والمنفذ والقائد .. الخ .

وهذا الاستخدام لصيغ المبالغة يتناسب مع قولها :

..... تأتم الهسداة به كأنه علم فى رأسه نار

(١١) - الخنساء - شاعرة بنى سليم : ص ١٦٦ .

ثم تقول :

فقلت لما رايت الدهر ليس له

معائب وحده يسدى ونيار

لقد نعى ( ابن نهيك ) لى أخا ثقة

كانت ترجم عنه قبل أخبار

فبت ساهرة للنجم أرقبسه

حتى أتى دون غور النجم أستار

إنها متأللة مما أنزل بها الدهر ولكن ماذا تفعل ؟ وماذا تقول ؟  
لقد ظهر الدهر مرة أخرى ، وقد ربطت حديثها عن الدهر  
بالكلام السابق عن طريق ( الفاء ) .

تقول : لقد افترس الدهر رجلا له كل هذه الصفات ، ولقد  
اعتدت مثل ذلك من الدهر ، ، ومع كل ما فعله الدهر فإنه ( ليس  
له معائب ) فهو لا يستجيب لعتاب ، ولا يسمع لنداء ، « فيه نوع  
من الإدانة الباكية تصرخ بها ( الخنساء ) من وجه ذلك الكائن  
الجامد القاسى » ( ١٢ ) .

وتعلو نغمة الإدانة من ( الخنساء ) للدهر حين تصفه بأنه  
صانع المتناقضات بل هو صاحبها ( وحده يسدى ونيار ) بما يحمله  
هذا القول من مفارقة التقابل بين ( يسدى ونيار ) التى تجعله كائننا  
جبارا ، طاغيا ، يعيث بمصائر بنى الإنسان .. وقولها ( وحده )  
يوحى بتفرد واستبداده ، وأنه سادر فى جبروته ، وهو ( وحده )

( ١٢ ) مجلة فصول : ص ٩٨ ، مرجع سابق .. وإلحاح الخنساء فى  
شعرها بإلقاء اللوم على ( الدهر ) قد يوحى بأن قومها كانوا  
يقولون فى جاهليتهم ( نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ) .

ذو النقض والإمرار والابرام (١٣) •

لقد كان ( صخر ) ينسج للقبيلة مجدها ويشيده ، بينما الدهر ينسج له - في خفاء - نسجا آخر •• إنه ينسج مصيبة عظمى للخنساء ، وعلامة بارزة للحزن كأنها مضاعفة ، بيّنة ظاهرة •

والدهر مثل الحائك الذي ينسج الثوب ( يسديه ) ويصنع في ذيله ما يشبه ( الكنار ) حتى يكون واضحا ، وعلامة بارزة في الثوب •• كان مروت ( صخر ) ليس له مثيل ، فكما أنه كان في حياته ( علما في رأسه نار ) كذلك فقد مصيبة ليست ككل المصائب •

ومن فعل الدهر هذه المتناقضات ، فبالأمس كانت تاتينا للأخبار السارة عن ( صخر ) وما يفعله ويشيده من أمجاد للقبيلة ، يتناقلها الناس هنا وهناك •

وبعض الشراح يذهبون إلى أن المعنى : كنت أسمع الشائعات عن قتله فأتاني الخبر ألقني وأسعدني ، ولم يغمض لي جفن (١٤) •

وما ذهبنا إليه الحق بمعنى البيت قبله ويقولها : ( ولدهر إحلاء وإمرار ) إذ أرادت أن تنسب المتناقضات للدهر ، كما قالت في قصيدة أخرى عن صخر (١٥) :

ذاك الذي كتبنا به      نشقى المراض من الجوانح  
ويرد بإدارة العدو م      ونخوة الشنف المكاشح  
فأصابنا ريب الزمسا      ن فنالنا منه بناطح

(١٣) نفسه ، بتصرف •

(١٤) الخنساء : د - الحيني ص ١٦٧ •

(١٥) الديوان : ص ٢٨ ، ٢٩ •

### فكانت أم الزمسا أن نهورنا بمدى الذبائح

جام ( ابن نهيك ) بغير موت صخر ، فاقص مضجعي ،  
وأشهدني ، ولم يغمض لي جفن ، بل بت ساهرة أراقب ( النجم ) ..  
ويبدو لي أن هنا ربطاً بين أخيها وهذا ( النجم ) الذي سيغيب ،  
فها هو قد غاب ( النجم ) وحالت دونه الأستار ، تماماً كما حالت  
دون ( صخر ) الأستار :

.....

### ودونه من جديد الترب أستار

ثم إن النجم يهتدي به السائرون في الليل البهيم ، و ( صخر )  
كان كذلك جبلاً في رأسه نار يهتدي به قومه في الملمات وحين  
تظلم بهم الأمور ..

« لقد انقطعت سلسلة الأخيار ، وإذا بالضمت والغموض يحلان  
محلها ، وتتراكم أمتار الشك والمجهول ، وحينئذ لا يقنع الإنسان  
ولا يتمكن ، بل يسعى جاهداً من أجل خبرها ، يتواصل به مع  
الحياة ، وتتواصل فيه الحياة ، ومن هنا تتجه ( الخنساء ) إلى  
النجوم ... تسألها أن تأتيها بغير تستطلع فيه وجود ( صخر ) ،  
وتستلطن مصيره .. فتبثت حائرة مذهولة ، مترقبة ، متوجسة ، ..  
ولكن : ماذا بعد الانتظار والترقب ... إنه دوام الاحتجاب » ( ١٦ ) .  
وأخذت ( الخنساء ) تصف سلوك أخيها الأخلاق في مجتمعه  
فقالت :

( ١٦ ) مجلة فصول : ص ١٠٢ بتصرف وإيجاز .

لم تراه جارة يمشى بساحتها

لريبة حين يخلى بيته الجار

لقد كان عفيفا ، شريفا ، كريم الأخلاق ، لم ينتهز فرصة غياب زوج جارتته ، ويتسلل إليها ..

إنه لم يفعل فعلا فيه ريبة ، وأيضا :

ولا تراه وما فى البيت يأكله

لكنه يارز بالمבחن مهمار

إنه لا يكتفى عن الأعين حين الأكل ، خشية من أن يشاركه أحد ، وإنما يتناول طعامه بصحن داره ، وبذلك نفت عنه البخل نفيا قاطعا ، وكيف يتواري عن أعين الناس بطعانه وهو الذى يطعم الناس فى مسغبتهم ؟ ثم إنه لا يطعمهم طعاما جافا ، وإنما ينحر لهم الإبل السمينة المتلثة شحما ..

ومطعم القوم شحما عند مسغيهم

وفى الجدوب كريم الجند ميسار

واستخدام اسم الفاعل ( مطعم ) يدل على أن هذا الإطعام ممتد ، مستمر ، دائم ، لا ينقطع ..

وهو ( ميسار ) لا يفقد ماله ، ولا يتقطع عطاؤه ، ولا يزول كرمه ، إنما يدوم ذلك كله دوام صيغة المبالغة ( ميسار ) .

« وتنهض قيم الضيافة والعطاء والكرم ، فى هذا المقطع لتكون قمة الفضائل التى تقابل كل الرذائل وتناهضها فى كل صورها ، التى تجسد فى أسوأ دركاتهما من المشى إلى الجارة لريبة . وحقا : إن من يعطى القوم ( عند مسغيهم ، وفى الجدوب ) لا يأخذ من أعراضهم ،

ولا يسمى لضربهم وخيانتهم من وراء ظهورهم ، ضدان قابلت بينهما  
الآبيات ، لا يجتمعان عند العربى « (١٧) » .

قد كان خالصتى من كل ذى نسب

فقد أصيب فما للعيش أوطار

لقد اختارته دون بقية أقاربها ، وجدت فيه الأخ الحانى ،  
والصديق الرقيق ، والحبیب الرقيق .. وكان هو يخلص لها كذلك ..  
هذا على الرغم من أنه أخوها غير الشقيق ، لكنها وجدت فيه هذه  
الصفات كلها .. وما دامت قد فقدت هؤلاء جميعا : الأخ والصديق  
فلا فائدة فى الحياة بعده ..

لقد كان ( صخر ) مثل الرمح ، قويا ، فتيا ، فى ريعان  
شبابه ، « ونضرة شبابه واستواء عوده يكشفان عن شخصه وكأنه سوار  
من ذهب يخطف الأيصار .. » ( ١٨ ) .

وأما وجهه فيتميز بالتجهم الذى ينم عن شخصية محترمة ، لها  
قيمتها فى المجتمع ، فهو جاد وظهرت علامة جده على وجهه ..

ونخوفا من أن يظن أن التجهم من قبح قالت :

• • • تقىء الليل صبورته

• • • • •

أى وجهه جميل ، كأنه القمر يضىء الليل ، وهذا غير مستغرب  
فهو من آباء أحرار ، ورث منهم المجد والرفعة وسمو المنزلة :

سورث المجد ، ميمون نقيبتنه

ضخم الدسعة فى العزاء مغوار

---

( ١٧ ) قصول : ص ١٠٨ .

( ١٨ ) الخنساء : ده الحينى : ص ١٧٠ .

كما أنه مرفق ، مظفر ، ميمون النقية ، يعطى العطاء العظيم ،  
وهو الذى يستصغر الصعاب ، ولا تستعصى عليه الشدائد ..  
وهذه أيضا ورثها عن آبائه فهو :

فرع لفرع كريم غير مؤتشب

جملد المسريرة عند الجمع فخر

هكذا كانت أصوله ، وهو خالص النصب ، طيب الأرومة ، فيصدر  
فى كل ذلك عن طبع متأصل فيه ..

كل هذه الصفات والمكرامات والفضائل :

فى جوف لحد مقيم قد تضمنه

فى رسمه مقطرات وأحجار

لقد ووريت كل هذه مع صخر فى لحد ، استقر فيه ، وأغلق ،  
ووضعت عليه الصخور الصم الصلاب .

لقد غلت طلاقة اليدين فى هذا اللحد .. وحرى بأولئك الفقراء  
المحاويج - الذين كانت تمتد إليهم يد صخر - أن يبكوه ، وليبيكه  
أولئك المسرفون الذين بددوا أموالهم ..

ولبيكه أولئك الذين ضلوا فى الفلاة المهلكة ، وضل هاديهم  
وأظلمت عليهم الدنيا فتوقعوا هلاكاً لا مفر منه .. لأنهم كانوا  
يجدون ملجأهم وملأذهم فى صخر ..

إن ( صخرا ) لم يكن ليرد مسائلاً ، كما أنه لا يمر بشاره  
لحد من المسارة إلا وضيغه ..



### مع الدراسة الفنية

#### \* بناء القصيدة \*

##### ( ١ ) مطلع القصيدة \*

حظيت مطالع (الخنساء) في مراثياتها باهتمام كبير من النقاد ..  
فذكر بعضهم : أن معظم قصائدها ذوات مطالع تقليدية (١٩) ..  
ولعل ( تقليدية ) هنا أي أنها من تقليد وضعته ( الخنساء ) ..  
ومطالع ( الخنساء ) بكائية ، من أهم ما أتمت به ظاهرة  
( التكرار ) ، أو على الأقل التشابه ..  
إذ نجد في مطلعها خطابا لعينيها طالبة البكاء ، أو أن تجود  
بالدموع ..

وتعلق الدكتور ( بنت الشاطيء ) على هذا التكرار قائلة :

« وفي هذه المراثي المتأخرة نراها تقلد نفسها ، وتدور في  
حلقة مفرغة ، مكررة الفاظا ومعاني لها سابقة ، ولا تكاد تنجو  
مرثية لها متأخرة من أثر التكلف ومعاناة النظم وإجهاد  
القرينة .. » (١٩) ..

ثم تقول في موضع آخر :

« إن ( الخنساء ) قد ازدهاها إعجاب القوم بمراثيها ، واستمرت  
طعم التغنى بأشجانها فراحت تنكأ جراحها عامدة ، وتجهد قريحتها  
لتسحقها بجديد من المراثي في ( صخر ) بعد أن يعد به العهد ،  
وتراخي الزمن ، والجاها هذا إلى تكرار الفاظها ومعانيها .. » (٢١)

( ١٩ ) مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية : د. هبة الحلليم حنفى .

( ٢١ ، ٢٠ ) الخنساء ، بنت الشاطيء : ص ١٢٢ ، ١٢٣ .

وذهب الدكتور ( عبد الحليم حفتى ) إلى أنه ليس صحيحا ولا منطقيا ولا متفقاً مع طبيعة الناس ولا مع طبيعة ( الخنساء ) نفسها . . أن تظل حزينة على ( صخر ) حتى تموت .

وإنما الصحيح : أن ظروف نشأتها وبيئتها أثرت في تكوينها فكانت معتزة كل الاعتزاز بالقبيلة ، وقد رأت مجد القبيلة يتهاوى شيئاً فشيئاً ، وآخر ما تهاوى منه هو ( صخر ) فكان لذلك صدمة عنيفة جعلتها ترى الدنيا سوداء مظلمة (٢٢) .

وذهب الدكتور ( الحينى ) إلى أن فن الرثاء فى الجاهلية كانت دائرته محدودة ، فكان على الشعراء أن يكرروا (٢٣) . .

أما الدكتور ( محمد أبو موسى ) فيرى : أن فى مطلع كل قصيدة للخنساء عينا منتحبة ياكية ، والشاعرة تصرخ وتطلب المزيد من انهمار ماء الشجون لعله يبرد لظى القلب وحر الفؤاد (٢٤) . . .

وهكذا بدت الآراء متباينة .

ونحن نرى :

— أن ( الخنساء ) قد رسمت لمرثياتها خطاً ، التزمته ، وجعلته تقليدا لها فكانت فيها جراءة تحمدها .

— أن ( الخنساء ) فى مطالع قصائدها كانت ياكية فعلاً ، وليس معنى إلحاحها فى طلب البكاء أنها غير حزينة ، بل إنها تطلب فيضاً من الدمع ، وغزيراً منه . .

(٢٢) مطلع القصيدة العربية .

(٢٣) الخنساء : ص ٢١٢ .

(٢٤) قراءة فى الأدب القديم : ص ٥٠٥ .

— أن في قصرها البكاء على ( صخر ) دلالة على صدقها في رثائها ، فهو أخ غير شقيق ، وفي ذلك لم تخرج عن المألوف أو تشذ ، فقد وجدت في غير الشقيق صديقاً حانياً براً رفيقاً رحيماً .. ولو أنها كانت تبكى مجد القبيلة فحسب لبكت أخاها الشقيق ( معاوية ) ..

( ب ) الوحدة في القصيدة :

تحققت في القصيدة وحدة فكرية شعورية — أما عن ترتيب الأبيات ، فيمكن أن نقدم ونؤخر ولا يعيب ذلك القصيدة أو يخل بالمعنى — فمثلاً حين تقول :

جلد ، جميل المحيا ، كامل ، ورع  
وللحروب غداة الروع مسعار  
حمل ألوية ، هباط أودية  
شهاد أندية ، للجيش جرار  
نحار راغبة ، ملجاء طاغية  
فكاك عانية ، للعظم جبار  
يمكنك أن تقدم وتؤخر دون أن يختل البناء .

( ج ) التضمين :

عد كثير من القدماء ( التضمين ) عيباً من عيوب الشعر . . . .  
ولكن : ليس كل تضمين معيباً ، بل أن هناك كثيراً منه استحسنته النقاد واستجادوه ..

ومن هذا المستحسن قول الخنساء :

فما عجول على بو تطيف به

لها حنينان : اعلان واسرار

ترتج ما رتعت حتى إذا أدكرت  
فإنما هي إقبسال وإدبار  
لا تسمن الدهر في أرض وإن رتعت  
فإنما هي تحنان وتسجار  
يوما بأوجد منى يوم فارقتى  
صخر وللدهر إحلاء وإمرار

فانظر إلى هذه ( المسافة ) بين ( فما عجول ) و ( يوما بأوجد  
منى ) ..

ومع ذلك من ذا الذى يعيب هذا التضمين !! إنه غاية فى الحسن  
والروعة ، وذلك لأنه أتاح للشاعرة فرصة لتصف لنا هذه الشائقة  
التكى العجول بما وصفت ، ولولا هذا التضمين ما حظينا بهذا الوصف  
البارع للناقة ..

#### ❖ اللفاظ والأساليب :

من أبرز الظواهر فى القصيدة ظاهرة ( التكرار ) .. إذ نجد  
اسم ( صخر ) مثلاً قد تكرر تسع مرات فى القصيدة .

« وللتكرار مواضع يحسن فيها ، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر  
ما يقع التكرار فى اللفاظ دون المعانى . وهو فى المعانى دون  
اللفاظ أقل ، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه .  
ولا يجب للشاعر أن يكرر اسماً إلا على جهة التشويق والاستعذاب ، إذا  
كان فى تغزل أو نسيب .. » ( ٢٥ ) .

والشاعرة تهدف من وراء التكرار إلى تعظيم شأن المرثى ، فتكرر اسمه مع عدد أفعاله وإنجازاته كما في قولها :

وإن صخرًا مولانا وسيدنا • •

وإن صخرًا • • • • • الخ

فهو تنويه بصخر ، وإشادة بذكره ، وتفخيم له في القلوب والاسماع • فضلا عن تلذذها بذكر اسم الفقيد •

كما نجد لفظ ( الدهر ) قد تكرر عدة مرات ، فهو الذي أنزل بالشاعرة ما أنزل ، أنه هو الذي فجعها في ( صخر ) ، وهو الذي يهدم مجد القبيلة الذي شارك في بنائه ( صخر ) • وهو الذي - مع ما يفعله وينزله بالناس - لا يعاتب ، وهو • • وهو • •

وفي القصيدة من المحسنات البديعية : التتميم ، أو التكميل (٢٦) • وذلك في قولها :

وإن صخرًا لتاتم الهداة به

كأنه علم في رأسه نار

فقولها ( في رأسه نار ) تتميم ، وقالوا : إنه لم يستوف أحد هذا المعنى استيفاءها • وقال العسكري : هو تتميم عجيب • وقال ابن أبي الأصمغ : هو أعظم ما وقع في هذا الباب •

(٢٦) وهو : أن توفى المعنى حفظه من الجودة ، وتعطيه نصيبه من الصحة ثم لا تفسد معنى يكون فيه تمامه إلا تورده ، أو لفظا يكون فيه توكيده إلا تذكره •

راجع : الصناعتين للعسكري ص ٣٨٩ ، تحرير التحبير ٢٤٨ ، معجم المصطلحات البلاغية ٢٩/٢ •

## ❦

وهذا اللون الوديعى من أسباب تمكن القافية ،  
وقد اعتمدت الشاعرة على الأساليب الخبرية ، وهي المناسبة  
هنا ؛ غير أن المطلع جاء فى صورة استفهام وهو يعبر عن قلقها  
وحيرتها وعدم استقرارها كما بينا .

### الخيال والتصوير

فى القصيدة صور بيانية قائمة على التشبيه ، وأخرى على  
الاستعارة والكناية منها :

كان عيني لذكره إذا خطرت

فيض يميل على الخدين مدمر

وقولها :

يا صخر وراد ماء

مشى السبيل

وقولها :

وإن صخر لتاتم الهداة به

وقولها :

مثل الردينى

وقولها :

كان ظلمتها فى الطخية القار

وقولها :

وحالفه بنؤس وإقتار

وقولها :

طلق الـيدـين لفعل الخير ذو فجر

. . . . .

إلخ .

إلا أن قولها :

وما عـجـول على بو تطيف به

لها حنينان : إعلان وإسرار

ترتع ما رتعت حتى إذا اذكرت

فإنما هي : إقبال وإدبار

لا تـسـمـن الدهر في أرض وإن رتعت

فإنما هي : تحنان وتسجار

يوما بأوجد منى يوم فارقنى

صخر ، ولدهر إحلاء وإمرار

فيه براعة فائقة ينظرتها الفاحصة المتاملة المتعمقة لذلك البو ،

وحيرة أمه وحزنها وصدماتها المتوالية حين تكتشف الحقيقة .

#### الموسيقى

##### الموسيقى الخارجية :

القصيدة من بحر ( البسيط ) وهو من البحور التي نظم عليها

كثير من الشعر العربي ، ويأتي في المرتبة الثانية مع - الكامل ،

والوافر ، والخفيف ..

أما ( الطويل ) فقد انفرد بالمرتبة الأولى ..

ويعد بحر الطويل مع بحر البسيط، بحرئى الجزالة والفخامة ،

فيغلب على المنظوم منهما الرصانة والمتانة، وشدة الأمر، وروعة السرد،

وصلابة الحوك ، ولذلك يحتاجان إلى ثقافة لغوية ضخمة ، وثروة من الأخيصة والمعاني لا تتفق لكل شاعر (٢٧) .

وقد بدأت الشاعرة قصيدتها - على عادة الشعراء - بالتصريح ، ولم يتكرر في القصيدة .

وأما عن القافية فقد جاءت متمكنة تمام التمكن وكان لذلك أسبابه فمنه :

— الإيقاع ، أو التتميم ، أو التنبيل (٢٨) وهي : أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تماما قبل انتهائه إلى القافية ، ثم يأتي بها لحاجة الشعر إليها فتزيد البيت نصباة ، والمعنى بلوغا إلى الغاية القصوى في الجودة .

ومنه قول الخنساء :

وإن صخرًا لتأتهم الهداة به

كأنه عليم في رأسه نار

لم ترض أن تشبهه بالجبل المرتفع بالهداية: حتى جعلت في

رأسه ناراً (٢٩) .

والتطريز :

وهي أن يقع من أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في

الوزن فيكون فيها كالطراز في الثوب (٣٠) .

(٢٧) الشعراء وأنشاد الشعر د . علي الأجندي ص ١٠٢ ، ط دار المعارف

(٢٨) راجع : الانفاظ والأساليب في الدراسة الفنية لهذه القصيدة .

(٢٩) بقدر الشعر : ١٦٨ ، الغمدة ٥٧/٢ .

(٣٠) الصناعتين : ٢٦٧ ، معجم المصطلحات البلاغية ٢٦٧/٢ .

( م ١٠ - الشعر الجاهلي ) .

ومنه قول الخنساء :

مشى السبنتى إلى هيجاء معضلة

له سلاحان : أنياب وأظفار

وما عجول على بوتطيف به

لها حنينان : إعلان وإسرار

ترتفع ما رتعت حتى إذا اذكرت

فإنما هي : إقبال وإدبار

لا تسمن الدهر فى أرض وإن رتعت

فإنما هي : تحنان وتسجار

يوما بأوجد منى يوم فارقتى

صخر ، ولدهر إحلاء وإمرار

وفيه جمع بين المتناقضات فى صيغ تدل على مدى حيرتها وقلقها

وصدمتها بفقد صخر ..

الموسيقى الداخلية :

وتتمثل فى :

الترصيع (٣١) : وهو : أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء

فى البيت على سجع ، أو شبيه به ، أو من جنس واحد فى التصريف ..

ومنه قول الخنساء :

جم فواضله ، تندى أنامله

كالبدريجلو ولا يخفى على السارى

رداد عارية ، فكاك عانية

كضيفم باسل ، للقرن هصار

جواب اودية ، جمال السوية  
سمح اليدين جواد غير مقتار  
نحار راغية ، ملجاء طاغية  
فكالك عانية ، للعظم جبار

#### المعاني والأفكار

ذهب أكثر النقاد إلى أن الشعر الجاهلي عنى بالجانب الحسى  
دون غيره ، وأن الشعراء اعتمدوا على الحس دون العاطفة الاعتماد  
كله (٣٢) .

ولكن نظرة متأنية إلى الشعر الجاهلي تكشف عن خطأ الحكم  
بالتعميم على الشعر الجاهلي بالحسية .  
ولنكتف بمثال من قصيدتنا هذه (٣٣) .  
تقول الخنساء :

وما عجول على بو تطيف به  
لها حنينان إعلان وإسرار

(٣٢) راجع مثلاً : العصر الجاهلي د. شوقي ضيف : ٢٢٠ ، فى تاريخ  
الأدب الجاهلي د. على الجندى : ص ٤٤٨ ، الوصف فى الشعر  
العربى د. عبد العظيم قنناوى : ص ١٠٢ ، الأدب وفنونه  
د. عز الدين اسماعيل : ١٤٠ ، فن الوصف ، إيليا حاوى .  
وغيرها .

(٣٣) راجع مثلاً قول عنتره فى معلقته :

.....

وشكا إلى مبرة وتحمم

ترتفع ما رتعت حتى إذا أدكرت  
فإنما هي إقبال وإدبار  
لا تسمن الدهر في أرض وإن رتعت  
فإنما هي تحنسان وتسجار  
يوما باوجود منى يوم فارقتى  
صخر ، وللدهر إحسلاء وإمرار

فقد نظرت الشاعرة إلى أفعال الناقة الظاهرة ، ونفذت إلى نفسها من خلال هذا الظاهر ، فوضعت يدها على موضع الحزن فيها ، وتغلغل داخلها لترى أثر الصدمة ظاهرا كل مرة بعد اكتشافها أنها صارت تكلّى ، قد فقدت ابنها .

ثم لم تكتف ( الخنساء ) بذلك ، بل إنها ذكرت أنها لن تسمن أبدا وإن رتعت الدهر في مرعى ذي كلاء وفير .

وهذا - إن دل فإنما - يدل على مدى تعمقها داخل نفس هذه الناقة .

\* \* \*

### من النقائص الجاهلية

#### \* معنى النقائص :

النقائص : جمع نقیضة ، مأخوذة في الأصل : من نقض البناء إذا هدمه ، والحبل إذا حله .

والنقيضة في الشعر : ما ينقض به ، وذلك بأن ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول ( ١ ) ، هذا معنى النقيضة في اللغة .

أما معناها الأدبي والتقدي فهي :

« أن يتجه شاعر إلى آخر بقصيدة هاجيا أو مفتخرا ، فيعمد الآخر إلى الرد عليه هاجيا أو مفتخرا ، ملتزما البحر والقافية والروي الذي اختاره الأول » .

١ - ولابد : من وحدة الموضوع فخرا أو هجاء أو سياسة أو رثاء أو نسيباً ، أو جملة من هذه الفنون المعروفة إذ كان الموضوع هو مجال المناقشة ومادة النقائص .

٢ - ولابد : من وحدة البحر ، فهو الشكل الموسيقي الذي يجمع بين النقيضتين ، ويجذب إليه الشاعر الثاني بعد أن يختاره الأول .

٣ - ولابد : من وحدة الروي ، فذلك هو النهاية الموسيقية المتكررة التي تعد جزءاً من النظام الموسيقي العام للمناقضة .

٤ - ولابد : من وحدة حركة الروي ، إتصافاً للتفسيق الوزني ، وإن اختلفت في بعض النقائص .

وجانب المعنى هو مناط النقائص ومحورها الذي تدور عليه ( ٢ ) .

( ١ ) راجع : اللسان والصباح والقاموس ( نقض ) .

( ٢ ) راجع : تاريخ النقائص في الشعر العربي ، الشايب ص ٢ ، ٣ ،

ط ١٩٤٦ م ( بتصرف قليل ) .

وتسمى القصيدة الأولى نقيضة بمعنى منقوضة ، والثانية نقيضة  
بمعنى ناقضة ..

هذه أسس النقائض فأينما وجدت تحققت المناقضة ..

لكن ذهب أحد نقادنا إلى : أن ما سبق العصر الأموي من هذا  
القبيل لا يطلق عليه اسم النقائض ، وأسباب ذلك عنده (٣) :  
« أن الشعراء فيما قبل العصر الأموي لا يتقيدون دائماً بأن  
يردوا على خصومهم بقصائد من نفس الوزن والقافية .. وهم لا يقبلون  
على ذلك إقبال المحترف الذي يهب حياته لمهنة يمارسها .. كما أن  
هذا النوع من الشعر لم يستمر مثلما استمر في العصر الأموي  
بصورة منظمة .. كما أن الشاعر الجاهلي لم يكن يهجو ليضحك  
جمهوراً كما نجد في عصر بني أمية .. » ثم يقول : -

« وليس عندنا قبل هؤلاء الشعراء الثلاثة دواوين للهجاء بهذا  
المعنى الذي نجده عندهم .. »

من أجل ذلك كنا نزعّم أن الهجاء تحول عند الشعراء الثلاثة إلى  
فن جديد أو لون جديد ، ولا بأس أن نسمي هذا اللون باسم  
( النقائض ) .. أما الهجاء الذي سيقوم فلا نسميه نقائض إلا على  
ضرب من التجوز ، أو على أنه كان بذوراً لهذا اللون الجديد الذي  
نقرأه عند ( الأخطل والفرزدق وجريير ) ..

ونحن نختلف مع الدكتور شوقي ضيف في ذلك ..

لأننا لو استقرنا الشعر الجاهلي - فضلاً عن الإسلامي - لوجدنا  
أسس المناقضة وعناصرها متحققة فيه ، فلماذا نضن بإطلاق اسم  
النقائض عليها ؟

(٣) الدكتور شوقي ضيف في كتابه : التطور والتجديد في الشعر  
الأموي : ص ١٦٢ - ١٦٦ .

غاية الأمر أن الفرق بين نقائض ( الثلاثى ) الأموى وما سبقهم :  
أن هجاء الثلاثى كان من بين أهدافه إضحاك الجمهور وتسليتهم ولم  
يتأت ذلك ويتهيا إلا بتمكنهم تمكننا قويا من الإمساك بمفاتيح ذلك  
اللون الذى احترقوه .

وتلك سنة التطور ، فقد وصل هذا الفن إليهم ومر بعدة مراحل  
تطور فيها حتى صار إلى أعلا قمة عندهم ..  
إذا : النقائض فن شعري تمتد جذوره إلى الجاهلية .. وهذا  
نموذج من هذا الفن فى الجاهلية ( ٤ ) ..

بين عباس بن مرداس وخفاف بن ندية

✽ تعريف بالشاعرين :

١ - خفاف بن ندية ( ٥ ) :

هو : خفاف بن عمير بن الحارث بن الشريد بن رياح .. من بنى  
سليم بن منصور .  
و ( ندية ) أمه . وكنيته ( أبو خراشة ) يقول له العباس بن  
مرداس :

أبا خراشة أما أنت ذا تفسر

فإن قومى لم تأكلهم الضبيح

وهو ابن عم الخنساء وصخر ومعاوية .. وقد عاش فى  
الجاهلية ثم أدرك الإسلام فأسلم ، وكان صحابيا ..

وحين ارتدت قبيلته وقف منها موقفا معارضا ، إذ ثبت هو على

( ٤ ) راجع فصلا كاملا للنقائض فى رسالتنا ( الدكتوراه ) شعر قبيلة  
بنى سليم من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموى .

( ٥ ) راجع ترجمته وأخباره فى : أسد الغابة ٩٣/٧ ، الخزائن ١٥/٤ ،  
المؤتلف والمختلف : ١٥٣ ، الشعر والشعراء : ٣٤١ ، الأغاني  
٧٤/١٨ ، وغيرها .

: إسلامه ، وانكر فعلهم وتبرأ منهم قائلا :  
لا دينكم ديني ، ولا أنا كاشـر

حتى يزول إلى الطرارة شمام

منزلته الشعرية :

● عده ( ابن سلام ) في الطريقة الخامسة من الفرسان مع مالك بن نويرة ، ومع أبيه عنه صخر ومعاوية .

● وقال عنه الأصمعي (٦) :

خفاف بن ندية ، وعنتر ، والمزيرقان بن بدر ، أشعر الفرسان .. ثم قال :

أفي الدنيا مثل فرسان قيس وشعرائهم ؟ ثم ذكر عدة منهم :  
عنتر ، وخفاف بن ندية ، وعبياس بن مرداس ، وزيد بن الصمة .  
وقد اهتم الأصمعي بشعره ، فذكر له في الأصمعيات أربعة ما بين قصيدة ومقطوعة ، في حين أنه لم يكثر لاي شاعر من شعراء الأصمعيات مثل خفاف .. كما اهتمت كتب اللغة والمصاحم بشعره ، بل وكتب التفسير أيضا ..

وخفاف من أغربة العرب (٧) ، ومع الاختلاف في عددهم إلا أن الإجماع منعقد عليه مع عنتر .

ومع أنه كان أسود حالكا إلا أن ذلك لم يترك في نفسه أثرا كما كان لدى ( عنتر ) مثلا ، وإن ذهب بعض النقاد إلى أن لونه أثر في شعره فصار كل شيء أسود (٨) .. واستشهد لذلك بقول خفاف :  
- من قصيدته التي يتعرض لها - :

(٦) فحولة الشعراء : ص ٢٧ .

(٧) الأغاني ٧٤/١٨ وما بعدها ، الشعر والشعراء ٣٤١ ، النقائض لأبي عبيدة ٣٧٢/١ .

(٨) الدكتور / عبيد بدوي في كتابه : الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي : ص ٤٢ .

كأن تكشفه بالنشاص م يلق تكشف تحمي مهارا

فقد جمع بين السواد والبياض في ( يلق ) ..  
ويقول خفاف أيضا :

فجادت له يمني يدي بطعنة

كست متنه من اسود اللون حالكا

واكثر شعر خفاف في مهاجمة العباس بن مرداس ، وهي من  
فن النقائض الذي سنورد نماذج منه .  
وتوفي خفاف في سنة ٣٠ هـ . وقد جمع شعره الدكتور  
( ثوري القيسي ) وطبعه في بغداد ..

٢ - العباس بن مرداس (٩) :

هو : العباس بن مرداس بن أبي عامر بن جارية .. ينتهي  
نسبه إلى سليم بن منصور ..  
كنيته : أبو الهيثم .. وقيل غير ذلك ..  
وليست ( الخنساء ) أمه كما تزعم بعض المصادر ، وإنما أمه  
( هند بنت سنان ) وهي امرأة زنجية ..  
عاش العباس في الجاهلية وأدرك الإسلام فأسلم ..

#### ● شعره :

لشعر العباس منزلة طيبة لدى النقاد .  
فهذا الأصمعي يسأل عن ( أبي خراش الهذلي ) فيقول : فحل

(٩) راجع : ترجمته وأخباره في : جمهرة ابن حزم ٦٣ ، معجم  
الشعراء ١٠٢ ، الأغاني ٣٠٣/١٤ وما بعدها ، والشعر والشعراء  
٣٠٠/١ ، ٧٤٦/٢ وغيرها .

ثم يسأل عن ( خفاف بن ندبة ) و ( الزبرقان بن بدر ) فيقول :  
هؤلاء أشعر الفرسان ، ومثلهم العباس بن مرداس (١٠) .  
وقد زخرت كتب المعاجم واللغة والبلدان ، بشعر العباس  
ابن مرداس . .  
وجمع شعره - في العراق - الدكتور ( يحيى الجبوري ) وحققه  
وطبعه .

وتوفي العباس في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (١١) . .

● سبب المهاجاة بينهما :

يقول أبو الفرج الأصفهاني (١٢) :

« كان بدء ما كان بين خفاف بن ندبة والعباس بن مرداس أن  
خفافا كان في ملا من بني سليم فقال لهم :  
إن ( عباس بن مرداس ) يريد أن يبلغ فينا ما بلغ ( عباس بن  
أنس ) ويأبى ذلك عليه خصال قعدت به ، فقال له فتى من رهط  
العباس :

وما تلك الخصال يا خفاف ؟

قال : اتقاؤه بخيله عند الموت ، واستهانته بسيما العرب ، وقتله  
الأسرى ، ومكالبته للصعاليك على الأسلاب ، ولقد طالت حياته حتى  
تمنينا موته .

---

(١٠) راجع : فحولة الشعراء للأصمعي ص ٢٧ ، ٣٥ .

(١١) تهذيب التهذيب ١٣٠/٥ ، تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٢٣٤

تحقيق د. شكري فيصل وآخرين .

(١٢) الأغاني ( دار ) ٧٥/١٨ وما بعدها .

فانطلق الفتى إلى العباس فأخبره الخبر ، فقال العباس : يا ابن  
أخي : إن لم أكن كالأصم في فضله ، فلست كخفاف في جهله ..

وبدأت النقائض بينهما . وتطور النزاع حتى اقتتلا بقومهما قتالا  
شديدا ، وكانت الغلبة فيه للعباس ، إلى أن تدخل بينهما ( دريد  
ابن الصمة ) وآخرون ، فقال العباس بن مرداس : فإننا نكف عن  
الحرب ونتهادى الشعر ، فقال دريد :

فإن كنتما لايد فاعلين فاذكرا ما شئتما ودعا الشتم ، فإن الشتم  
طريق الحرب ، فانصرفا على ذلك ، فقال العباس بن مرداس (١٣) :

فابلح لديك بنى مالك فانتقم بانبائنا أخير (١٤)

فأما النخيل فليست لنا

نخيل تسقى ولا تؤبر (١٥)

ولكن جمعا كجذل الحكا

ك فيه المقنع والحسر (١٦)

مغاوير ، تحمل أبطالنا

إلى الموت ساهمة ضممر (١٧)

(١٣) الديوان ، قصيدة رقم ١٨ ص ٦٥ ، والأغاني ٧٨/١٨ .

(١٤) بنو مالك : هم بنو مالك بن ثعلبة بن سليم .

(١٥) تأبير النخل : إصلاحه وتلقيحه .

(١٦) جذل الحكاك : عود ينصب للإبل الجربى لتحكك به ، ويضرب

مثلا لمن يلجأ إليه ويستغنى برأيه .

(١٧) مغاوير : كثيرو الغارات . ساهمة : أى خيل عابسة . ضممر :

ضامرة وهى من صفات الخيل الجيدة .

واعددت للحرب خيـفانة

(١٨) تديم الجـراء إذا تخطـر

مـثـيـعاً كـقـارورة الـزـعـفـرا

(١٩) ن مما تـمـا نـولا تـؤشـر

إذا شـاء أريـبها لـم يـزل

خـضـاب بـلـبـتها أـحـمـر

يـمـسـد اعـتـباطاً عـلـيـها الظـلـيم

(٢٠) فـي القـطـر والـفـرا الـاقـمـر

فـاجـاه خـفـاف بـن نـدبـة (٢١) :

اعـبـاس إـنا وـما بـيـنـنا

كـمـدع الـزـجـاجـة لا يـجـبـر

فـلـسـت بـكـفـء لـاعـرافـنا

وأنـت بـشـتـمـكم أـجـمـد

ولـسـنا بـاهـل لـما قـلـنـمـو

ونـحـن بـشـتـمـكم أـعـمـذ

أراك بـصـيـراً بـتـسـلك الـمـسـى

تـريـد ، وـعن غـيـرها أـعـبـور

(١٨) خيـفـانة : فرس سـريـعة .

(١٩) أنـزـعـفران : صبـغ أصـفر طـيب الـرائـحة .

(٢٠) الـاعـتـباط : النـحر مـن غـير داء ولا كـمـر ، ويقـال : عـيـطـته الذواهي

إذا نالته مـن غـير اسـتـحقاق . الظـلـيم : ذكـر النـعام . الفـرا : حـمار

الـوحـش . الـاقـمـر : الأبيـض ، يقـال حـمار أـقـمـر وسـحاب أـقـمـر .

(٢١) ديوانـة - قصـيدة ٦ ص ٥٥ .

- فقصرك منى رقيق الذبنا  
 ب غضب كزيهته مبتـ (٢٢)  
 وأزرق فى رأس خطيـة  
 إذا هـز أكعيها تخطـ (٢٣)  
 يلـوح السنان على متنها  
 كنار على مرقب تسـ (٢٤)  
 وزعف دلاص كماء الفـدير  
 توارثه قبله حمـير (٢٥)  
 فتلك وجرداء خيفانة  
 إذا زجر الخيل لا تزجـ (٢٦)

- (٢٢) القصر : الموضع الذى احتبس به . هكذا ذكر محقق الديوان  
 ولكنى أرى أن المعنى هنا : نهايتك وسكوتك . الذباب : حد  
 طرف السيف الذى بين شفتيه ، وقيل : ذباب السيف : طرفه  
 المتطرف الذى يضرب به ، وقيل : حده . العضب : السيف  
 القاطع . وذو الكريهة : السيف الذى يضرب ولا ينبو .  
 (٢٣) الأزرق : السنان . الخطى : الرماح وهى نسبة إلى الخط خط  
 البحرين : تخطر : ترتفع وتنزل .  
 (٢٤) مرقب : مكان عال للمراقبة .  
 (٢٥) زعف : درع محكمة ، وقيل : واسعة طويلة . الدلاص : الشديد  
 النعومة والملوسة .  
 (٢٦) خيفانة : سريعة . جرداء : قصيرة الشعر ، وشبه الفرس بالجرادة  
 لسرعتها وخفتها وضمورها .

ويطيل وصف قرسه تلك إلى أن يقول :

عباس إن استعار القصـ

د في غير عشرة منكر

علام تناول مالا ينال

فتقطع نفسك أو تخسر

فلن الرهان إذا ما أريد

فصاحبه الشامخ المخطر (٢٧)

تخاوص لم يستطع عدة

كانك من بغضنا أعور (٢٨)

فقصرك ماثورة إن بقيت

أصحو بهالك أو أسكر

لساني وسيفي معا فانظرن

إلى تلك أيهما تبدر (٢٩)

والنقيضتان من بحر واحد هو ( المتقارب ) .. والروى وحركته واحدة،  
والموضوع واحد ..

وقد بدأ ( العباس ) نقيضته طالبا من ( خفاف ) أن يبلغ بنى مالك  
- وخفاف أحدهم - بأن العباس وقومه أهل الحرب والقروية عرفوا  
بالشجاعة والفتك ، فقد تفرغوا للحرب ، ولم يعرفوا الزراعة .  
وليس عجيبا أن يفتخر ( العباس ) بأن قومه ليسوا أهل زرع  
أو ضرع ، وإنما احترفوا حرفة أخرى كانت شغلهم الشاغل وتمرسوا

( ٢٧ ) المخطر : من جعل نفسه خطرا لصاحبه فبارزه .

( ٢٨ ) التخاوص : غص البصر مع تحديق النظر .

( ٢٩ ) تبدر : تجعل إليه .

فيها ، وتفرغوا لها ، وصارت غاية ما يفخر به ، إنها الحرب وتلك منزلتها عند العرب عموما ، والفرسان منهم خصوصا ، والعباس أحد هؤلاء الفرسان . وهو القائل يصف المسلمين يوم حنين ( ٣٠ ) :

لا يغرسون قسيل النخل وسطهم

ولا تخاور في مشيتهم البقر

وفخر العباس بأن قومه هم ملاذ الناس وملجؤهم حين تحمل بهم الكوارث وتتعد أمامهم سبل الحياة ، فيجدون فيهم الرأي الصائب، والحكمة البالغة ، ولا عجب فهم أهل الشورى .

وقومه قد أعدوا الخيول المريعة المتمرسه في الحرب ، المخضبة بدماء الأعداء ، وهي لشدة سرعتها تلاحق النعام المعروف بسرعته الفائقة فيتمكن الفارس من اصطیاده ، كما يصيد حمار الوحش الأبيض بسهولة أيضا .

وقد جمعت نقيضة العباس بين : الفخر ، والوصف والهجاء عن طريق التعريض .

وأما نقيضة ( خفاف ) فقد بدأها بقوله :

إن الذي حدث بيننا يا عباس يصعب أن يجبر ، ثم يقول له : لست كفتا لنا يا عباس ، وأنت أحق بكل ما شتمتنا به ، وما رميتنا به كله كذب وبهتان ، ولنا العذر في شتمكم ، ويحذره ويتوعده ويقول : أنت لا تتحمل قوة ( خفاف ) وبأسه ، ولا تستطيع أن تجاريه ، فقد أعددت لحريك سيفاً ( عضبا ) قاطعا بتارا ، وأعددت سنانا أزرق في رأس رمح خطية إذا هزت أكميها تحركت نحو خصمي فاهلكته ، والسنان مرتقب كالنار المسعرة ، وأعددت درعا محكمة طويلة شديدة عتيقة ،

( ٣٠ ) القصيدة رقم ١٣ في ديوان العباس .

وهذه كلها إلى جانب فرس سريعة نادرة ، ومتفردة عن سائر الخيل .  
ثم أطال في وصف فرسه وصفا بارعا :

ويعود يقول للعباس : إنك لست أهلا لمهاجتي ، ولا تستطيع أن  
تقف أمام قصيدي ، وما دمت لست أهلا لذلك فلماذا تستعير ما ليس  
لك ؟ .

ثم يتنبأ له بالفشل والخيبة والهزيمة ، وذلك أن للرهان أهله  
.. وخفاف أهله ، فهو الشامخ المبارز الخطر على خصمه .

ويقول للعباس : أنت تعرف ذلك كله ، ولكنك تتعاضى عنه  
وتتجاهله .

وفي النهاية يقول له :

معى كلا السلاحين ، امتلكهما ( لسانى ) شعرى ، وسيقى ومعدات  
الحرب ولوازمها ، فانظر يا عباس أى السلاحين تختار أن أحاربك بهما ؟  
فسوف أعجل لك به ، وأقضى عليك .

وجمعت نقیضة خفاف : فخرا وهجاء وتكديبا ونقضا لما قاله  
العباس .

وهكذا توافرت للقصيدتين كل مقومات النقائص وعناصرها  
وأسسها ..

وإذا كان العباس قد بدأ فاختار البحر والبروى ، ونقص خفاف  
قصيدته ، متابعاً إياه فى البحر والقافية ، فإن العباس عاد يرد على  
نقیضة خفاف المذكورة قائلًا ( ٣١ ) :

**خفاف ألم تر ما بيننا**

**يزيد استتعاراً إذا يسبح**

( ٣١ ) الديوان ق ١٧ ص ٦٣ .

- الم تر أنا وهبنا التلاد  
 ه للسياثلين وما نفـدر (٣٢)  
 لانا نكلف فوق الـتى  
 يكلفها الناس لو تخـبر  
 لنا شيم غير مجهولة  
 توارثها الاكبر الاكبر (٣٣)  
 وخيل تكـدس بالدارعين  
 تنجـر في الروع أو تعمـقر (٣٤)  
 عليها فوارس مـخبورة  
 كجن مساكنها عبـر (٣٥)  
 ورجـاجة مثل لون النـجو  
 م لا العزل فيها ولا الحـر (٣٦)  
 ويبـض سوابـغ مـسرودة  
 موارـث ما أورثت حمـير (٣٧)

- (٣٢) التلاد : جمع تالد وهو المال القديم .  
 (٣٣) شيم : جمع شيمة وهي الخلق .  
 (٣٤) الدارعون : لابسو الدروع . الروع : الحرب .  
 (٣٥) مخبورة : مجرية . عبقـر : موضع يزعم العرب أنه أرض الجن ،  
 ونسبوا إليه كل شيء تعجبوا من جذقه أو جودة صنعه .  
 (٣٦) رجـاجة : كتيبة كانها تتمخض ولا تسير لكثرتها . العزل : الذين  
 لا سلاح لهم . الحـر : الذين لا مغفر لهم ولا درع .  
 (٣٧) السوابـغ : الدروع الواسعة . مسرودة : منسوجة وقد تداخل حلقه  
 بعضه في بعض .  
 (م ١٦١ - الأديب الجاهلي )

- فقد يعلم الحى عند الصبا  
ح بان العقيلة بى تسمى (٣٨)  
وقد يعلم الحى عند الرها  
ن انى انا الشامخ المخطر (٣٩)  
وقد يعلم الحى عند السؤا  
ل انى اجسود واسمطر (٤٠)  
فانى تعيرنى بالفخار  
وها انا هذا هو المنكر (٤١)

وهنا ينقض العباس كل ما قاله خفاف ، ويسلبه كل مفاخره ويخص  
بها نفسه وقومه ، فيفخر بانهم قادرون على إشعال الحرب وقتما  
يريدون . ثم يقول لخفاف : ألم تر أننا نجود باكرم أموالنا للسائلين !!  
ألا تعلم أن الغدر ليس من أخلاقنا ، فنحن وراث أخلاق طيبة !!  
وياخذ فى وصف خيله - كما وصف خفاف - فهو سريعة ، عليها  
الفرسان الذين يلبسون الدروع ، وقد تقتل فى المعارك أو تعقر .  
ويصف قوارسهم بأن لديهم خبرات بالحروب وفنون القتال والكر  
والفر كأنهم جن من مكان عبق . ويصف كتيبتهم وهى سائرة للقاء  
الاعداء كأنها تتمخض ولا تسير مما يدل على كثرتها ، وترى فيها  
لون النجوم المنبعث من الحديد الذى معهم . وهذه الكتيبة ليس  
فيها ( عزل ) أى لا سلاح معهم ولا ( حصر ) لا مغفر لهم ولا درع .

- (٣٨) العقيلة : كريمة الحى .  
(٣٩) المخطر : الذى يجعل نفسه خطرا لقرنه فيبارزه ويقاقله .  
(٤٠) الاستمطار : الاستسقاء : أى اكرم واعطى عند السؤال .  
(٤١) الفخار : الافتخار وعد القديم .

ويُوصف الذروع التي مع مقاتليهم يائنها ( سوابغ ) واسعة منسوجة نسجا محكما ، تداخلت حلقاتها بعضها في بعض ، وهي عتيقة قديمة .. وهكذا ..

نقض ( العباس ) كلام ( خفاف ) فرد فخره ، ووصف أسلحته وقومه وصفا جعلها أقوى وأشد من أسلحة خفاف .. وكذلك الفرسان فقد وصفهم العباس وصفا بلغ الغاية حين جعلهم جنا من سكان وادي عبقر ..

ثم افتخر العباس بنفسه ، فهو حامى حمى القوم وكرائمهم .. وإذا كان خفاف قد هدد العباس بأنه سيخسر ويفشل إذا ما دخل الرهان فإن العباس ينقض قوله هذا قائلا :

وقد يعلم الحى عند الرها

ن انى أنا الشامخ المخطر

وقد استخدم العباس كلمات خفاف نفسها ( الرهان - الشامخ - المخطر ) فقلب فخره وأبطله ، وخص نفسه وقومه بتلك المفاخر ، فكان القلب هو طريق المناقضة . ثم افتخر بجوده وكرمه وأنه ليس هناك من يستطيع مجاراته عند الافتخار وعد المحامد والمآثر .

وبعد ...

★ فهذه النقائض مستوفية العناصر والشروط التى تقوم عليها المناقضة إذ قامت على الأسس المعروفة من حيث :

- وحدة البحر .

- وحدة القافية .

- وحدة الروى وحركته .

- وحدة الموضوع .

★ الفارق الفنى بينها وبين نقائص العصر الأموى ليس كبيرا إذا ما قيس بفرق الزمن .

★ كان العباس وخفاف من واضعى لبنات هذا الفن فى الجاهلية وذلك بالنظر إلى الكم الشعرى فى هذا الفن عندهما الذى قد لا يتوافر عند غيرهما من الجاهليين (٤٢) .

\*\*\*

(٤٢) راجع / رسالتى الدكتوراة : شعر قبيلة بئى: تسليم من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموى ص ٤٢٢ وما قبلها .

## فن الوصف في الشعر الجاهلي

### الوصف:

( هو تصوير الظواهر الطبيعية بصورة واضحة التقاسيم ، وتلوين الآثار الإنسانية باللون كاشفة عن الجمال ، وتحليل المشاعر الإنسانية تحليلًا يصل بك إلى الأعماق ) (١) .

وقد وصف الشعراء الجاهليون الطبيعة الصامتة والصائتة ، وصفوا ( ما أحاطت به معارفهم ، وأدركه عيانهم ، ومرت به تجاربهم وهم أهل وبر ، وصحونهم البوادي ، وسقوقهم السماء ، فليست تعدو أوصافهم ما رأوه منها وفيها من ماء وهواء ، وثار وجبل ونبات وحيوان وحمار ، وناطق ومتحرك وساكن ، وكل متولد من وقت نشوئه وفي حال نموه إلى حال انتهائه ) (٢) .

لقد وصفوا كل ما حولهم ، وأجادوا ثعته ، غير أن بعضهم أجاد وبرز في وصف شيء معين ، أو أشياء ، فعرف به واشتهر ، وذلك لأن ( الشاعر منهم لا يتعاطى إلا ما يحس من ذلك ضرورة ، وقد يشارك في أوصاف كثيرة ، ولكنه ينفرد بالشهرة في بعضها من جهة العلم لا من جهة الصناعة ، فكلما كان أعلم بأجزاء الموصوف وحالاته وأقدر على استقصاء هذا العلم في شعره كان أبلغ في الوصف ، وأولى بالتقديم فيه ، وأن أحسن ما يكون الوصف الصادق إذا خرج عن علم وصرفته روعة العجب ، فإن العلم يعظم مادة الحقيقة ، والعجب

(١) الوصف في الشعر العربي ، عبد العظيم قناوى ٤٢/١ .

(٢) عيار الشعر لابن طباطبایا ١٠٠-١٠٤ ( بتصرف يسير ) - تحقيق  
هـ- الحلجری ، وعد زغلول سلام .

يكسبها صورة من المبالغة الشعرية ، وكل وصف لا يكون عن هذين  
أو أحدهما فهو تزيد من الكذب (٣) .

وقد برع بعضهم في وصف الظواهر المناخية من سحب ويرق ورعد  
ومطر إلا أنهم ( كانوا يتوخون الإيجاز إذا وصفوا الصحراء أو الريح  
أو الليل أو القيظ مثلا ، ولكنهم يسهون إذا وصفوا الناقة أو الفرس  
مثلا (٤) .

وقد أشرنا إلى سبب ذلك عند شرحنا معلقة طرفة .

#### وصف الظواهر المناخية

لـ ( جفاف بن تدبة )

القصيدة الأولى :

يقول جفاف (٥) :

فدغ ذا . . . ولكن هل ترى ضوء بارق

يضئ حبيبا في ذرى متاللق (٦)

علا الأكهم منه وأبل بعد وأبل

فقد أرهقت قيعانه كل مرهق (٧)

(٣) تاريخ آداب العرب ، الرقم ٣ / ١٢١ ، ١٢٢ .

(٤) التوجيه الأدبي ، طه حسين وآخرون ص ٢٥٢ .

(٥) ديوانه ، ق ١ ص ٣٦ - ٣٩ .

(٦) الحبي : السحاب المتراكم . الذرى : جمع ذروة وهي أعلا كل  
شيء .

(٧) الأكهم : جمع أكمة . أرهقت : غشيت بالماء . القيعان : جمع قاع  
وهو الأرض السهلة المطمئنة . قد انفرجت عنها الجبال والأكام .

- يجر باكناف البحار إلى الملا  
ريابا له مثل النعام المعلق (٨)  
إذا قلت تزهاه الرياح دنال له  
رياب له مثل النعام الموسق (٩)  
كان الحداة والمشايح وسطه  
وعودا مطافيل بأمعز مشرق (١٠)  
أسال شقا يعلو العضاء غشاؤه  
يصفق في قيعانها كل مصفق (١١)  
فجاد شرورا فالستار فاصبحت  
يعار له والواديان بمودق (١٢)

- (٨) جـر : يعنى الجبى • الاكناف : النواحي • البحار والملا :  
موضعان • الرياب : سحاب دون السحاب الاعظم •  
(٩) تزهاه : تسوقه وتستخفه • الرسق : التحميل أو الطرد والسوق •  
(١٠) المشايح : الذى يصيح بالابل لتجتمع وتنساق • العود : جمع  
عائد وهى الحديثات النتاج • المطافيل : التى معها اولادها •  
الامعز : الأرض الحزنة الغايضة ذات الحجارة •  
(١١) العضاء : ما عظم من شجر الشوك وطال واشتد شوكة • الغشاء :  
ما يحمله السيل من الزيد والوسخ ونحوه : شقا : اسم مكان •  
الصفق : الضرب الذى يسمع له صوت ، وكذلك التصفيق ،  
وصفقت الريح الشئ : إذا قلبته يمينا وشمالا ورددته •  
(١٢) شرورا ، الستار ، يعار : مواضع فى بلاد بثن سليم • أجاده :  
أصابه الجود وهو المطر الغزير • مودق : مكان نزل فيه المطر •

### كان الضباب بالصحارى عشية

رجال دعاها مستضيف لموسق (١٣)

له حذب يستخرج الذئب كارها

يمر غشاء تحت غار مطلق (١٤)

يشق الحداب بالصحارى وينتحي

قتراخ العقاب بالحقاء المحلق (١٥)

يصف ( خفاف ) هنا سبلا إلا أنه مصحوب ببرق ، وهذا البرق

تظهر إضاءته شديدة وسط الظلام الناتج عن تراكم سحب كثيرة ،

وها هو المطر يغزر ويشد غزارة حتى طمر القيعان والأكام .

ثم يعود إلى السحاب ، فيصف سحابا عظيما وقد جر سحابا دونه

لينتقل به من ( البحار ) إلى ( الملا ) .

غير أن الناظر إلى هذين السحابين يجد نفسه قد انخدع حين ظن

أنهما ينتقلان بسرعة إلى مكان آخر ، فسرعان ما ينضم إليهما سحاب

ثالث فيتراكم بعضه فوق بعض ويثقل .

وكان الإبل وحداتها ومشايعها وسط هذا السحاب ومع الإبل

(١٣) الضباب : جمع ضب . المستضيف : المستغيث . موسق : اسم

مكان من الموسق وهو الجمع .

(١٤) حذب : ارتفاع الموج ، حذب الماء : مرجه ، أو هو كثرتة وارتفاعه .

يمر : المرقد يكون معناه الفتل . وقد يكون الإمرار .

(١٥) الحداب : جمع حذب وهو ما غلظ من الأرض وارتفع . ينتحي :

يقصد . الحقاء : جمع حقو وهو الموضع الغليظ المرتفع على

السيول . المحلق : المرتفع في طيرانه ، وخص العقاب لأنه يسكن

أعالي الجبال .

أولادها الصغار وكانها فى أرض غليظة ذات أحجار معا يجعل السمعير بطيئا .

لقد نتج من تلك السحب أمطار غزيرة تحولت إلى سيول جارفة ، وقد صار مستوى ارتفاعها أعلا من شجر الغضا إذ غطيت بالماء وصارت أمواجه تتلاطم .

وقد سار هذا السيل حتى غمر وغطى ( شرورا ) و ( الستار ) و ( يعار ) واستقر فى ( يعار ) و ( الواديين ) ..

وقد كان أثره رهيبا ، فها هي أنواع الحيوان تخرج مذعورة من أماكنها :

هاهى الضباب وقد خرجت فزعاء ولهة وكانها رجال دعاء داع طالبا نجدتها فتجمعت ذاهبة إليه .

وهذه الذئاب قد خرجت من مخابئها على كره منها .

بل بلغ من ارتفاع هذه السيول أنه شق مرتفعات الأرض قاصدا فراخ العقاب رغم أن أماكنها فى أعالي الجبال لكنها لم تنج من هذا السيل المهلك المدمر .

لقد تتبع خفاف - فى عرضه لهذه الصورة - الظواهر المناخية فى تسلسل منطقتى ، وترتيب واقعى .

فنظر إلى السحاب وسنا برقه ، وما تبع ذلك من تساقط المطر وتتابعه وانهماره إلى أن غشى الأماكن التى نزل فيها ، ويظن أن الغمام سينجلي وإذا به تنضم إليه سحب أخرى فيتراكم ويثقل وكان الطريق أمامه وعز فتثقل عليه المشى . ونتج عن ذلك أمطار غزيرة صارت سيلا أصاب ديار بنى سليم وملا يعارا والواديين حتى استقر فيهما ماء كثير ..

ويرينا أنواع الحيوان ممثلة فى الغيب ثم الذهب ، ويبرز على

الطيور في أعالي الجبال فيذكر أنها لم تسلم - رغم مكانها الغالي -  
من الأمطار .

وإنك لتقف أمام هذه الصورة الرائعة التي أظهرت مهارة (خفاف) في رسمها معجبا بها كصورة كلية ، متمليا لصورها الجزئية .. ذلك أن الشاعر رأى ما يراه جل الناس من هذا المنظر - تراكم السحاب - ، فهو منظر مألوف ، ظاهر لكل الناس ، وقد دعا القرآن الكريم إلى النظر والتأمل في هذه الظاهرة فقال تعالى : ( ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه بمن يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالابصار ) .

إن عرب البادية لترقبهم الماء النازل من السماء - ترقب رجاء في أن يكون هذا الماء غيثا ، أو ترقب حذر وخوف من أن يكون سيلا مهلكا مدمرا - أطالوا النظر في السماء وتأملوا وتابعوا تلك العملية وعاشوا التجربة بكل مشاعرهم فجاءت صورهم صادقة رائعة .

ويبدو أن خفافا كان حزينا فجاءت صورته هذه مصحوبة بهلاك وتدمير وإزعاج وطرد .. الخ .

ولكنه في القصيدة الثانية كان مسرورا متفائلا فكيف وصف البرق والسحب والأمطار ؟

#### القصيدة الثانية :

يقول خفاف بن ندبة (١٦) :

(١٦) ديوانه ص ٧٨ ، أصاح : أي أصاحي +

- اصاح ترى النبرق لم يقتض  
إذا زعزعت الجنوب استطارا (١٧)  
فسل مصابحه بالعشنا  
تضرب من حافتيه المنارا (١٨)  
كان تكشفه بالنش  
من بلق تكشف تحمي مهارا (١٩)  
اقام بذى النخل ريعانه  
وجاه مسلحة فالستارا (٢٠)

- (١٧) لم يقتض : لم يكن لعائه فعير عنه بيقتمض لأن النائم تسكن  
حركاته . زعزعت الجنوب : دفعته ربح الجنوب وحركته .  
استطار : تصدع تصدعا مستبينا .  
(١٨) سل : انتزع الشيء وأخرجه في رفق . المنار : موضع النور .  
(١٩) تكشف البرق : أى لعائه حين يضيء السحاب فتراه أبيض .  
ويقال : تكشف البرق : إذا ملا السحاب ، قال صخر الغي :  
أجش ربحا له هيدب

#### يرفع للخال ريطا كشيئا

- قال أبو حنيفة : يعنى أن البرق إذا لمع أضاء السحاب فتراه  
أبيض ، فكانه كشف عن ريط . . والريطة : الملاءة إذا كانت  
قطعة واحدة ، الريحل : التار من الطول ، وقيل : التام .  
الخال : نوع من البرود ، وهو هنا : السحاب . اللسان : كشف .  
النشام : السحاب المرتفع ، وقيل هو الذى يرتفع بعضه فوق  
بعض وليس بمنبسط . اليلق : سواد وبياض . المهار : جمع  
كثرة لمهر وهو ولد أول ما ينتج من الخيل والحمر الأهلية .  
(٢٠) ذو النخل : قال محقق الديوان : بهذا الدسم غير موجود وإنما  
الموجود ( ذو النخيل ) وهو موضع في بلاد العرب . السريع :  
النماء والزيادة ، وأرض مريعة : أى مخصبة . الستار : جبل  
معروف بالحجاز أو هو موضع . مسلحة : موضع .

وحطط أحمر بالدونكين

(٢١) يفشين معتصمات تعاراً

فاضحى بمعتلج الواديين

(٢٢) يبرق منه صبير نهـ

حسيف يزيف كزيف الكسير

(٢٣) ينهمر الماء منه انهمـ

إن هذا البرق لم يسكن لمعانه ولم يهدأ .. وحين تدفعه ريح الجنوب فإنه يتصدع ويتشقق فتكثر مصابيح وقت العشاء وفي جوانبه تجد النور ظاهراً .

ثم يشبهها وسط السحاب المرتفع بخيل ( بلق ) فيها بياض وسواد ، تحمى أمهارها .

لقد نزل المطر الناتج عن هذه السحب فاخصب ( ذا النخل ) ونزل كذلك ( المسلحة ) و ( الستار ) وهما موضعان .

(٢١) الدونكان : واديان في بلاد بني سليم . اعتصم : امتنع . تعار : اسم جبل .

(٢٢) اعتلج الموج : التطم واعتلجت الأرض : طال نباتها والتف وكثر واعتلجت الوحش : تضاربت وتمارست . وفي الحديث : ان الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان أى يتصارعان . والواديان : بلدة في جبال السراة بقرب مدائن لوط . الصبير : السحابة البيضاء ، وقيل هى القطعة من السحابة تراها كأنها مصبورة أى محبوسة ، وقيل : السحاب الذى يثبت يوماً وليلة ولا يبرح .

(٢٣) الحسيف : جرس الحيات . زاف البعير : تبخر فى مشيه ، وقيل : الزيف دفع مقدمة الجسم بمؤخرته . الكسير : المكسور والكسير من الشاء : المفكسة الرجل التى لا تقدر على المشي .

وقد سار هذا السحاب حتى خلق على جبل ( تعار ) ووصل وقت الضحى إلى ملتقى الواديين ، وهناك تنظر فتجد كان سحابا أبيض تتفقت من بين هذه السحب ، وكأنها كانت معبوسة فهي تبرق - وفي هذا إشارة إلى فرحتها بالحرية وخروجها من هذا الحبس - وهذا كله وقت النهار .

وله صوت كحفيف الحيات ، وهو يقتخر في سيرة تبحر أو تدفع مؤخرته مقدمته وتستحثها على الإسراع - فلما لم تستجب تسرع هي - أي المؤخرة .

#### صورة بارعة :

لقد برع ( خفاف بن ندبة ) في رسم هذا الجانب من الصورة وذلك أنه أراد أن يفصل ويوضح منظر السحاب وهو يعلو بعضه بعضا ، وكان مؤخرته استيطات مقدمته فأخذت تعدو حتى سبقتها وهكذا ..

فاختار لتوضيح الصورة مشبها به هو تلك الشاة المكسورة الرجل التي لا تقدر على المشي فكان مؤخرتها تحث مقدمتها وتدفعها على السير فهي تنطوى انطواء ولا تمشي .. وهكذا - تماما - يكون قلب السحاب . وقد حدث من جراء تراكم هذا السحاب وثقله انهيار المطر انهارا أثبت الكلا والعشب .

وإنك لتلاحظ في هذه الأبيات أن الشاعر استطاع بكل براعة ودقة أن يستخدم كل أدوات التصوير الشعرية التي لا تتاح للرسم هذا بالإضافة للألوان التي يستخدمها الرسام .

فقد رأينا في الصورة الشعرية التي نحن بآرائها : ( للنبون ) في الكلمات : ( صبير ) أي سحاب أبيض - ( البلق ) سواد وبياض ، وغيرهما .

كما رأينا الحركة الدائبة فى الألفاظ : ( زعزعتة ، استطار ، مل يزيف ، ينهمر ... ) .

ووجدنا الزمان فى الألفاظ : ( العشاء ، أضى ، نهارا ) .  
ورأينا الحرص على تحديد أبعاد المكان الذى أصيب بهذا الماء فى :  
( ذى النخل - مسلحة - الستار - الدونكين - تعار - الواديين ) .  
حتى الصوت وجدناه فى مثل ( حسيف ) . أى صوت كحفيف الحيات . وإذا أوزنت بين القصيدتين وهما لشاعر واحد لاحظت :  
★ أن الصورة فى القصيدة الأولى أعم وأشمل ، فقد تتبع تلك الظواهر تتبعاً دقيقاً ، فاستوفت الصورة كل جوانبها ، وتمت ظلالها وألوانها ، وحركاتها فى تنسيق رائع .

★ وهو فى تلك القصيدة كان برما ، غاضبا ، حزينا فكان تراكم السحاب ثقيلًا ثقلاً يجعله واقفاً عن السير والانتقال ، مما تسبب فى سيل جارف عنيف ، مهلك ، مخيف ، لم يدع الأمن فى جانب من جوانب المنطقة كلها ، بل أتى على الأخضر فاهلكه ، حتى الأشجار العالية ، وأخرج الوحوش من مخابئها كارهة ، بل لم يترك فراخ العقاب المسكينة الصغيرة ، وإنما وصل إليها فى مهدها . وهكذا ظهرت عاطفته واضحة فى تلك القصيدة ، فهى عاطفة الغضب والحزن والامس العميق .

★ أما القصيدة الثانية فتنبئ عن عاطفة الفرح والسرور والبشاشة والتفاؤل ، فها هنا برق وأمطار لكنها مغيثة وليست مدمرة - وكيف لا يفرح وقد دبت الحياة فى أوصال الأرض بهذا الماء !!  
أقسام بسذى النحل ريعانسه .....

★ وهنا سحاب ، إلا أنه يسير ويستحث بعضه على السير ، فإن استعصى بعضه عداً الباقى عليه فسبقه .. وهنا ذكر للضحى والنهار ، وكل ذلك يبعث على الأمل والتفاؤل ..

لقد برع ( خفاف ) فى وصف هذه الظواهر الطبيعية براعة تسلكه  
فى عداد أولئك الوصافين الجاهليين ولا سيما وصف الظواهر المناخية .  
ويعد ( خفاف ) من وصافى الخيل فى الجاهلية ، وبرع كذلك فى  
هذا الجانب من الوصف ، لكن الشاعر لم ينل حظه من الشهرة التى  
نالها أولئك المشاهير ، ولعل ذلك بسبب قلة تداول شعره فى المصادر  
المشهورة اللهم إلا ( الأصمعيات والأغانى ) ( ٢٤ ) .

\*\*\*

#### أمير شعراء الجاهلية يصف الغيث

★ تعريف بالشاعر :

هو : امرؤ القيس بن حجر بن الحارث بن عمرو بن الحजर أكل  
المرار بن معاوية بن ثور من كندة .  
وكنيته : أبو الحارث ، أو أبو وهب ، أو أبو زيد .  
ويلقب بـ ( الملك الضليل ) ، ويقال له : ذو القروح ، قال  
الفرزدق :

وهب القصائد لى النوايح إذ مضوا

وأبو يزيد وذو القروح وجـرول

وأمه : فاطمة بنت ربيعة بن الحارث بن زهير ، وأخواها : كليب  
ومهلل . من تغلب .

وقد شكوا فى هذه الخثولة ، إذ لم يعرض امرؤ القيس لهما فى  
شعره كله ، وهما من هما ، يتيه أين اختهما بشرفهما ومجدهما  
وكرامتهما . كما أن أحداث حرب البسوس ليس لها أى صدق فى شعره ،  
لا من قريب ولا من بعيد .

( ٢٤ ) قمت بإمالة اللثام عن الشاعر ضمن رسالتي للدكتوراه بعنوان  
( شعر قبيلة بنى سليم من الجاهلية حتى نهاية العصر الأموي ) .

★ مولده ونشأته :

ككل الجاهليين - لم يعرف عام مولده ويرجعون أنه ولد قريبا من عام ٥٢٦ م وكان جده آنذاك ملكا على كندة .  
كان امرؤ القيس أصغر إخوته فنال قسما وافرا من التدليل ، وقضى وقته بين الشرب والطرب ، ونادمه في ذلك فتیان اشراف أمثاله .  
يقال إنه عشق ( عنيزة ) ابنة عمه ، لكنه باء بالفشل في الوصول اليها حتى وافته الفرصة يوم الغدير بدارة جلجل .  
وهناك احتال حتى ركب معها على بعيرها ، وقال في ذلك - في المعلقة - :

ويوم دخلت الخدر ، بخدر عنيزة

فقال لك الويلات إنك مرجلى

تقول وقد مال القبيط بنا

عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزل

فقلت لها سيرى وارضى زمامه

ولا تبعدينى عن جنسك المغسل

لما بلغ حجرا ما فعله ابنه غضب ، ودعا مولى يقال له ربيعة ، فقال له اقتل امرأ القيس ، واثنتى بعينيه ، فذبح جوذرا فأتاه بعينيه ، فندم حجر على ذلك ، فقال : أبيت اللعن إنى لم أقتله . قال : فانطلق فاذا هو قد قال شعرا في رأس جبل وهو قوله :

فلا تتركنى يا ربيسع لهذه

وكنت أرائى قبلها بك واثقسا

فرده إلى أبيه ، فنهاه عن قول الشعر ، فلم يئته ، فطرده أبوه .

طالب شار :

كان ملك الجند قد اتسع ، وبسط نفوذه على وسط الجزيرة ، فولى ابنه حجرا - أبا امرئ القيس - بنى أسد .. لكن بنى أسد تنكروا لحجر ، ونفذوا طاعته ، وكان قد فرض إتاوة عليهم فرفضوا دفعها إليه فما كان منه إلا استباحة أموالهم ، وحبس أثراقتهم ، وإعمال السيف في رقابهم ..

ساعت سيرة الملك ، وغيقت الليل في ذرعا ، فجمعوا له مجموعهم والتفت بنو أسد بكندة ، فالتهمت كندة ، وقتل حجر ، وغنمت بنو أسد أموالهم .. وفي ذلك يقول عبيد بن الأبرص الأسدي :

هلا ما لبت جموع كنيسة

دقة يوم ولوا هاربينييا

كان امرؤ القيس آنذاك مطرودا ، قد طرده أبوه .. فلما بلغه مقتل أبيه قال :

( ضيعتني صغيرا ، وحملتني دمه كبيرا ، لاصحو اليوم ، ولا مكر غدا ، اليوم خمر ، وغدا أمر ) .. ثم قال :

خليلي ما في اليوم مصحى لشارب

ولا في غد إذ كان ما كان مشرب

ثم أتى ألا يأكل لحما ولا يشرب خيرا حتى يثار لأبيه ..

وحاول امرؤ القيس أن يثار لأبيه ، فسال بكرا وتغلبا النصره فاعانوه فاعار على منازل بنى أسد ، لكن بنى أسد كانوا قد رحلوا عن منازلهم بعد أن أنذروهم ( علياء بن الجارث ) وبذلك أصاب امرؤ القيس بنى كنانة وهو يحسبهم بنى أبنده فلما عرف الحقيقة قال :

( م ٦٢ - الأغلب الجاهلي )

الا يالهدف نفسى اشر قـوم  
هم كانوا الشفاء فلم يصابوا  
وقاهم جدهم ببني ابيهـم  
وياالشقين ما كان العقاب  
وافلتـهن علباء جريضا  
ولو ادركنه صفر الوطاب (٢٥)  
ثم تبعهم فادركهم ، وقتل فيهم قتلا ذريعا ، وقال :  
قولا لحدودان عبيد العصا  
ما غركم بالاسد الباسل  
قد قرت العينان من وائل  
ومن بنى عمرو ومن كاهل  
نطعنهم سلكى ومخلوجة  
كرك لامين على نابـل  
حلت لى الخمر وكنت امرعا  
عن شربها فى شغل شاغل  
فالقوم اشرب غير مستحقب  
إثما من الله ولا واغل (٢٦)

(٢٥) افلتـهن : يعنى الخيل التى كانت تطليه فلم تدركه ، الجرض  
والجريض : غصص الموت ، يريد افلتـهن مجهودا يكاد يقضى .  
صفر : خلا . الوطاب : جمع وطب وهو سقاء اللبن ، يريد أنه  
مات فلم تملأ وطابه ، أو خلا جسمه من الحياة كما يخلو الوطاب  
من اللبن .  
(٢٦) السلكى : الطعنة المستقيمة تلقاء الوجه . المخلوجة : غير  
المستقيمة . كرك لامين : مثنى لام ، يقال : سهم لام : أى عليه  
ريش لؤام يلائم بعضه بعضا . النابل : رامى الذيل ، يريد : يذهب  
الطعن فيهم ويرجع كما ترد سهمين على رام رمى بهما .

#### مقتله :

ولما غزا ( المنذر بن ماء السماء ) كندة هزب امرؤ القيس إلى  
جبل طيء ، وهناك فكر في اللجوء إلى ملك الروم ، فآكرمه وناممه ..  
حتى وشوا به عنده ، وحذروه من غدزه وخيانتته ، وأوغروا صغره  
عليه ، فأغرى به رجلا يقال له ( الطماح بن قيس الأسدي ) - كان  
امرؤ القيس قد قتل أخاه - فأصطاه الملك حلة منسوجة بالذهب ، مسمومة ،  
وكتب إليه : إني قد بعثت إليك بحلتي التي كتبت اليها يوم الزينة ،  
ليعرف فضل منزلتك عندي ، فإذا وصلت اليك فالبسها على اليمن  
والبركة ، واكتب إلى من كل منزل بخبرك . فلما وصلت إليه الحلة  
اشتد مروءه بها ، ولبسها ، فأصرع فيه السم وتنفط جلده .

ولذلك دعت العرب ( ذا القروح ) ..

#### شاعرية امرؤ القيس :

لم يحظ شاعر عربي - على مر المصور - بما حظى به امرؤ  
القيس من اهتمام بشعره .

وقد جعله علماء البصرة رأس المطبقة الأولى .. وقرنه ابن سلام  
بزهير والنابغة وأعشى قيس . لكن معظم النقاد والشعراء صوتوا لصالح  
امرؤ القيس .

- فهذا لبيد بن ربيعة العامري : سئل من أشعر الناس ؟

فقال : الملك الغليل ، يعني ( امرؤ القيس ... ) قيل له : ثم

من :

قال : الشاب القليل ، يعني طرفة .. قيل له : ثم من :

قال : الشيخ أبو هريرة ، يعني نفسه .

وقال الحطينة :

امرؤ القيس أشعر العرب حيث يقول :

فيسالك من ليل كان نجومه

بكل مغار الفتل شدت يذبل

- وقيل لكثير من أشعر العرب ؟

فقال : امرؤ القيس إذا ركب ، وزهير إذا رغب ، والناطقة إذا رهب ، والأعشى إذا طرب .

- وقيل لكثير : من أشعر العرب ؟

فقال : لم أر لأحد من الشعراء بعد امرئ القيس ما لزهير والناطقة والأعشى في النفوس .

- وقد فضله - على - كرم الله وجهه - على سائر شعراء الجاهلية بقوله : رأيت أحسنهم نادرة ، وأسبقهم بادرة ، وأنه لم يقل لرغبة ولا لرهبة .

- وقال ابن سلام :

( إن امرأ القيس سبق العرب إلى أشياء ابتدعها ، واستحسنها العرب ، واتبعته فيها الشعراء ، منها :

استيقاف صحبه ، واليكاء على الديار ، ورقة النسيب ، وقرب المأخذ ، وتشبيه النساء بالظباء والبيض ، والخيل بالعقبان والعصى ، وهو أول من قيد الأوابد وأجاد في التشبيه ) .

- وقد ذكر الأمدى - في الموازنة - الأسباب التي جعلت امرأ القيس مقدما على الشعراء فقال :

( ... لأن الذي في شعره من دقيق المعاني ، وبديع الوصف ولطيف التشبيه ، وبديع الحكمة ، فوق ما استعار سائر الشعراء من الجاهلية والإسلام ، حتى إنه لا تكاد تخلو له قصيدة واحدة من أن

- ٦٨٣ -

تشتمل من ذلك على نوع وأنواع ، ولولا لطيف المعاني واجتهاد امرئ القيس فيها وإقباله عليها لما تقدم على غيره ، وكان كسائر شعراء أهل زمانه ( ٥٥٠ ) الخ .

- وقال يونس النحوي :

قدم علينا ذو الرمة من سفر ، وكان أحسن الناس وصفاً للمطر  
فسئل عن أحسن شعر في وصف المطر ، فاختر قول امرئ القيس :

ديمة هطلأ فيها وطيف

طبق الأرض تصري وتيدر

الآيات ... التي سنذكرها بعد قليل :

- وقال خلف الأحمر :

لم أر بيتاً أفاد وأجاد ، وساد وزاد ، وقاد وعاد ، ولا أفضل من  
قول امرئ القيس :

له أبطأ قلبى ، وساقاً نعامه

وإرخاء سرخان وتقريب تنفل

- وقال بشار :

لم أزل أحمد امرئ القيس على قوله :

كان قلوب الطير رطباً وبابسا

لدى وكرها العناب والحشف البالى

حتى قلت :

كان مثير النقع فيوق وموسيقا

تواسيافنا ليس لهاوى كواكبسة

هذا قليل من كثير هذا قليل من امرئ القيس وشعره ..

\*\*\*

امرؤ القيس يصف الغيث

١ - فى قصيدته الرائية

حدث الاصمعي عن ابي عمرو بن العلاء أنه سأل ذا الرمة فقال  
لـه : أى الشعراء الذين وصفوا الغيث أشعر ؟

فقال : قول امرؤ القيس . قال أبو عمرو بن العلاء : فأنشدنى قوله :

هيمـة هـطـلام . . . . .

والنقاد يجمعون على أن هذه القصيدة من أبلغ وأروع ما جاء  
فى وصف الغيث . .

يقول امرؤ القيس :

ديمة هـطـلام فيها وطف

طبق الأرض تحرى وتبدر (٢٧)

تخرج الود إذا ما أشحذت

وتواريه إذا ما تمتعر (٢٨)

وترى القسب خلفها ما هـرا

ثانيا برقته ما ينطق (٢٩)

(٢٧) ديمة : سحابة مطيرة دائمة السح فى يوم وليلة - هطلام : مسيلة

فيها وطف : أى لها حواشى وأهداب متدليلة من جانبيها حتى

لتنكاد تمس الأرض - طبق الأرض : أى تعم الأرض حتى تصير

كالطبق - تحرى : تتحرى بمعنى تقصد وتعمد - تدر : أى تصب -

(٢٨) تخرج الود : الودد - أشحذت : أقلعت وكفت - تمتعر : تشتد -

(٢٩) البرثن : الأصبع - ما ينطق : أى ما يصيبه التراب -

وترى الشجراء في ريقها

كرعوس قطعت فيها الخمر (٣٠)

ساعة ثم انتحاهما وابسل

ساقط الاكتاف واة منهممر (٣١)

راح تمرية الصبا ثم انتحى

فيه شؤيوب جنوب منفجر (٣٢)

ثج حتى ضاق عن آذيه

عرض خيم فحقاف قيسر (٣٣)

قد غدا يجهلني في انفه

لاحق الاطلين محبوبك ممر (٣٤)

إنه مطر غزير ، دائم ، مستمر الهطول يوما وليلة ، وقد عم

الأرض وفاض به الوادي .

(٣٠) الشجراء : الغابة كثيرة الشجر . ريقها : مستهلها وهو أول

المطر . الخمر : جمع خمار وهو غطاء الرأس .

(٣١) انتحاهما : قصدها واعتمدها . الوايل : المطر الشديد . الاكتاف :

النواحي . الواهى : المتشقق . منهممر : سائل شديد الوقع .

(٣٢) راح : عاد في آخر النهار . تمرية الصبا : تستدره ريح الصبا .

شؤيوب جنوب : أى مطر ريح الجنوب وهى التى تقابل الصبا .

منفجر : غزير شديد .

(٣٣) ثج : صب . الاذى : الموج . عرض : رحاب . خيم ، حقاق ،

يسر : أماكن .

(٣٤) أنفه : أوله . لاحق الايطل : ضامر الخصر . المحبوك : المدمج

الشديد الخلق . الممر : المفتول العضل غير مترهل اللحم .

وهذه السحب دائية قريبة علامة على استمرار هذا الهطول ..

عمت المياه البقاع .

وهاهو ( الضب ) قد خرج من جحره رغما عنه ، إذ سال الماء ودخل جحره ، خرج الضب مسرعا ، يسبح على الماء ، يثنى برثنه ، ويبسطها تماما كما يفعل السباح الماهر ، باسطة ذراعيه وقابضها لهما .

.. إلا ما أبرغ هذا الضب !! ، وما أجوده في السباحة !! .. إنه لا يلوث جسده بالطين ، لأنه يعوم على الماء عوما ، والماء غمر الأرض وصار مرتفعا ، فهو لتسرعته ، مع غزارة الماء يمس الأرض مسافيقا .

أما الأرض المشجرة فإنك لا ترى منها أعوادها ، وإنما ترى أعاليها فقط ، لقد كثرت أفرعها الزيد فهي مثل رموس تغطي بالخير ..

صورة بارعة للأمير الشعراء الجاهليين ..

ويعقب هذه الهجمة العنيفة من الغيث هدوء في الجو ، وراحة

للمطر ..

وما هو إلا أن جاء العشي وإذا بالسحاب يتجمع مرة أخرى ويتراكم بعضه فوق بعض - ثم أتت ريح الصبا بكم من السحب ، وأتت ريح الجنوب فأضافت إلى السحاب مجموعة أخرى منه .

فكم تحمل هذه كلها من الأمطار ؟ ..

لئنها أمطار غزيرة أخذت تنصب انصبابا حتى غمرت الأرض مرة أخرى ، وصار لهذا الماء وكثرته أمواج صاخبة ، وتنتج عن ذلك سيل متحدر ضاقت به خيم وخفاف ويسر ..

## أمرؤ القين يصفى الكيف

### ٢ - فى الحلقة

- يقول أمير الشعراء فى العصر الجاهلى من مملكته :  
أصاح ترى برقاً أريك وميضه  
كلمح اليدى فى حصى منسكل (٣٥)  
يفىء سناء أو مصابيح راهب  
أمال السليط بالذهب بالفتل (٣٦)  
فعدت له وصحبتى بين ضارج  
وبين العذيب بمحبة متاملى (٣٧)  
على قطن بالشليم أيمى منوية  
وأيسره على الستار فيذبل (٣٨)  
فلضحى يسبح الماء حول كتيفة  
يكب على الأذقان دوح الكنهبل (٣٩)

- (٣٥) وميض : لماعة • كلمح اليدى : حركتهما • الحصى من المنسكب : المتراكم • وكذلك المنسكب : أى بعضه فوق بعض •  
(٣٦) السنا : الضوء • السليط : الزيت • الذهبال : الفتائل • أهانه هنا : بمعنى رعى •  
(٣٧) ضارج والعذيب : موضعان • بعد ما متامل : تأملته من مكان بعيد أو : يا بعد ما تأملت أى تبينت • يقول : إنه تنظر إلى هذا المنسكب من مكان بعيد فتعجب من بعد نظره •  
(٣٨) قطن : جبل فى أرض بني أسد • وكذلك الستار ويذبل : للشليم : النظر إلى البرق أين هو • الصوب : نزول المطر •  
(٣٩) يسبح : يصب • كتيفة : موضع • الأذقان : شجر • يكب على الأذقان : ينقلب ويقتلع الشجر فيقلبه على رؤوسها • الدوحة : الشجرة العظيمة وجمعها دوح • الكنهبل : شرب من شجر الجادية •

ومر على القنان من نفيانه  
فانزل منه العصم من كل منزل (٤٠)  
وتيماء لم يترك بها جذع نخلة  
ولا أطمأ الا مشيدا بجندل (٤١)  
كان ثبيرا في عرانبين وبله  
كبير أناس في بجاد مزمل (٤٢)  
كان ذرا رأس المجيمر غدوة  
من السيل والغشاء قلعة مغزل (٤٣)  
والقى بصحراء الغبيط بعاعه  
نزول اليماني ذي العياب المحمل (٤٤)

---

(٤٠) القنان : جبل بني أسد . النفيان : أصله ما تطاير من الرشاء  
هند الاستقاء والمراد هنا : ما تطاير من قطر المطر . العصم :  
جمع عصم وهو التيس الجبلى الذى يخالط بياضه حبرة .  
(٤١) تيماء : قرية بالمجاز . الأطم : القصر . جندل : صخر .  
(٤٢) ثبير : جبل بمكة . العرنين : الأنف . الوبل : المطر العظيم  
الشديد الوقع . البجاد : كساء مخطط . المزمل : المغطى  
بالتياب .  
(٤٣) الذرا : جمع ذروة وهى أعلا الشيء . المجيمر : أرض لبني  
فزارة . الغشاء : ما يحمله السيل . قلعة مغزل : ما استدار  
فوق رأسه .  
(٤٤) صحراء الغبيط : أرض بني يربوع . بعاعه : قلعه . العياب :  
الحقائب .

كان مكاكى الجنوا غشية  
صبحن سلافا من رحيق ملفل (٤٥)

كان السباع فيه غرقى عشية  
بأرجائه القصوى أنابيش عنصل (٤٦)

« كانت الطبيعة الف امرى القيس وتوأم روحه، متاع بصره، ومجال فكره، هام فى محاسنها، وتغيا ظللها، صاد وحشها، والف شعابها، وفيها ومعها أمضى أكثر أيامه وأجملها، حتى أصبحت جزءا من ذاته، وخدينا لحياته، تأملها مليا فادرك خفاياها، وفتحت له قلبها فعرف أسرارها، وحلت من قلبه مكانا وسعا، فتغنى بها... » (٤٧)

كان الحديث عن المطر فى المعقبة فى هذه القطعة الرائعة، التى سار فيها على نحو منطق بديع، وفكر متمسك رتيب.

وقد استهل القطعة بوصف وميض البرق وتالقته، ثم تراكم السحاب بعقه فوق بعق. وشبه لحسان البرق وتحركه بتحريك

(٤٥) مكاكى : جمع مكاء وهو طائر . الجواء : البطن من الأرض العظيم، وقيل هو ما اتسع من الأرض . غدية : تصغير غدوة أو غداة .

صبحن : ثرين من الصبوح . السلاف : أول ما يعصر من الخمر . المفلل : أى الذى فيه الفلفل .

(٤٦) أنابيش عنصل : جذور البصل البرق . الأرجاء : الجوانب والنواحي .

(٤٧) امرؤ القيس : حياته ونظره من ٢٧ ، د . الطاهر مكى . وقد نقله من : أمير الشعراء فى العصر القديم ص ٣٨٠ .

البيدين ، أو كانه مصابيح الرهبان التى يتوهج منها الضوء بصب الزيت عليها . يريد : أن تحرك البرق يحكى تحرك البيدين ، وضوءه مثل ضوء المصباح . لقد اغرى هذا المنظر امرا القيس فجلس يتأمله ومعنه أصحابه .. أخذوا يتأملون البرق والسحب وتتابع الأمطار .. وبالبعد ما رأى !!

لقد نزل المطر منهمرا فشمل جهات عديدة مترامية ، فكان يمينه على جبل قطن ، ويساره على جبل الستار ويذبل .

وها هو لغزارته غطى ما حول ( كثيفة ) فقلب أشجار الكتهدبل رأسا على عقب رغم قوتها ..

ومر على جبل ( القنن ) بالقليل منه فأكبره الوعول على الخروج من أماكن قرارها .

وحتى جذوع النخل فى قرية تيماء لم يترك منها جذعا قائما ، ولم يبق بناء مهما كان قويا ومهما كانت قوة صخوره التى بنى بها .. لم يبق بناء الا هدمه .

وهذا جبل ( ثبير ) حين غطاء الماء الغزير ، والغطاء الأسود ، ولم يترك منه سوى رأسه ، فهو يشبه شيخا متزملا بكساء مخطط من بروء اليمن .

وأما ( رأس المجيمر ) فقد أزاح ما عليها من تراب ونبات اذ أزاح السيل طبقة رملية بأكملها وكان هذه الأكمة يوم أن نزل بها السيل فأحاط بها من غثائه فى استدارتها مثل قلعة المغزل ..

لقد فعل فعله هنا ثم تحول إلى ( صحراء الغبيط ) فأنبت الكا وضروب الأزهار واللوان النبات ، فصار نزول المطر به كنزول التاجر اليماني صاحب العياب المحمل من الثياب حين نشر ثيابه يعرضها على المشترين .

### ١٨٨

وهو يشبه نزول المطر بنزول الثلج ، وشبه ضروب النبات  
الناشئة من هذا المطر بصنوف الثياب التي نشرها التاجر .

لقد بعث الحياة في هذه الأماكن ، وانتشرت الأزهار والنباتات  
هنا وهناك ، مما جعل الطيور - طيور الجواء - تغرد في الصباح  
وكانها نشوي سكرانة ، تناولت كأسا صبوحة من شراب أضيف إليه  
من التوابل ما جعله مغزيا يباعا للثبوة والطرب . . .

وكانت السباع قد أصابها تصيب من عبث السيل ، فقرقت فيه  
وتراعت رموسها للعين كأنها جذور الفيض البري .

### موازنة :

لقد بدا امرؤ القيس في قصيدته الرائية هادئ النفس ، رضى  
البيال ، خلى القواء ، فانعكس ذلك على أبياته . . .

فالمطر هنا هادئ حيناً ، غزير حيناً آخر ، لكنه في الخيئين  
ليس مهلكاً مدمراً . . . أرايت ألن القصب - حتى وهو في المساء - ينظر  
إليه امرؤ القيس فيراه سابحاً عائماً ، مسرعاً ، وكأنه سبلح حاذق  
ماهر . . . يجرى إلى حيث الأمن والطمانينة . . .

ولامتدداً لشاعر البهجة والطعانينة وهدوء البال نحو الشاعر  
البرق والرعد عن الصورة ، لما فيهما من دهر وخلق . . .

### أما في المعلقة :

فقد تتبع رحلة السحاب من بدايتها إلى نهايتها ، فذكر البرق  
والرعد ، وهطول الأمطار حتى صارت سيلاً . . . لم يترك نباتاً ولا حيواناً  
ولا طائراً إلا وأقزعه . . . لقد أكفاه التهنؤ الجبلى - الذى يسكن أعالي  
الجبال - على النزول - كيف كانت قوة هذا المطر وغزارته إذا ؟؟

غير أن الشاعر وجد أن هذا التدمير والهلاك أعقبه انبات وامراع  
فكان قوله :

والقى بصحراء الغبيط • • البيت

ووجدنا الطير وقد سكرت وانتثت ، وطربت وغردت ••

لكنه بعد ذلك ذكر السباع وغرقها •• فان صح هذا الترتيب في  
الابيات فانه يدل على قلق واضطراب في نفسية الشاعر ••

غير ان الاقرب الى القبول قوله :

كان السباع فيه غرقى • • البيت

وضع في غير مكانه •••

على أية حال فان امرأ القيس يعد من أبرع من وصف هذه  
الظواهر واغرم بوصفها ، وليس هذا كل ما قاله ، بل ان له قصيدة  
ثالثة يصف فيها المطر وهي ( ضادية ) وان كان البعض يرى أنها  
لابى داؤد الايادى يقول فيها :

اعننى على برق آراه وميض

يفضى حبيبا في شماريخ بيض

ويهدا تارات سنياه وتارة

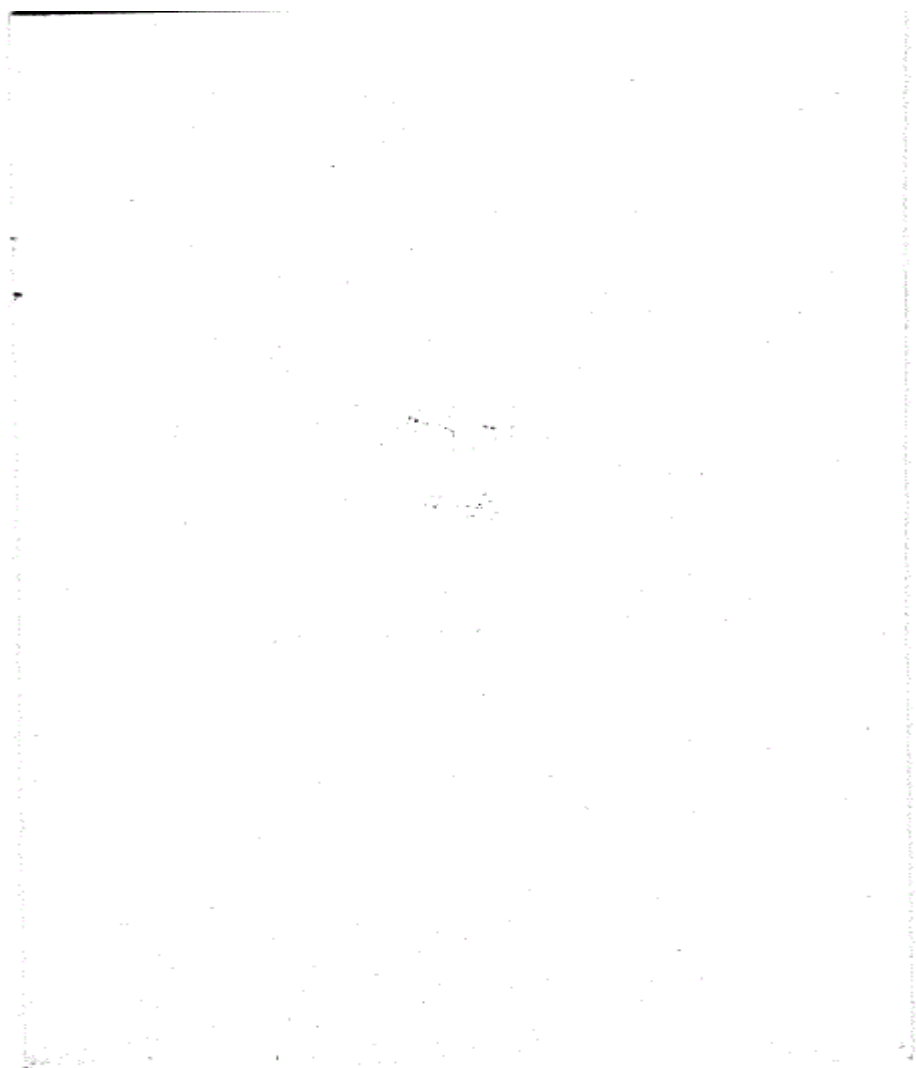
ينوء كتعتاب الكسير المهيض

الى آخر ما قال فيها ••



## القسم الثاني

النور



### النثر الجاهلي(\*)

ونقصد بالنثر : النثر الفني ، وهو : الكلام الذي يخضع لقوانين معينة ، بحيث تكون أفكاره منظمة ، معروضة عرضا جذابا ، حسنة الصياغة ، جيدة السبك ، جارية على قواعد النحو والصرف ... فان اختلفت هذه الشروط أو بعضها فلا يسمى ( نثرا فنيا ) ولا يعنى به الأدب .

والنثر الجاهلي كان عماده اللسان ، اذ كانت لهم مجالس سمر ، يتجاذبون فيها أطراف الحديث ، ويتطرقون فيها الى أمجاد القبيلة ومفاخرها ، وكان فيهم الكثير الذي يملك ناصية القول ، فيعرض ما يروق له ، ويمتص السامعين بأسلوب أخاذ . ولعل هؤلاء النثرين كانوا أكثر عددا من الشعراء ، غير أنه لم يصلنا من هذه المجالس والمسامرات ما يقفنا على خصائص تلك المحاورات والمسامرات ..

### ( ١ ) الخطابة

وأول المجالات الأساسية للنثر ، وأهمها ، وأوسعها انتشارا في المجتمع الجاهلي : الخطابة .. فقد كان لكل قبيلة خطباؤها الرسميون المتحدثون باسمها في المحافل والأندية أمام الملوك والأمراء وسادة القبائل في وفادتها

(\*) راجع : التوجيه الأدبي ص ١٤ ، العصر الجاهلي ٣٩٨ ، في تاريخ الأدب الجاهلي ٥٠ على الجندي ٢٥٨ ، الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ٥٨ . ( م ١٣ - الأدب الجاهلي )

عليهم ، وكان هؤلاء الخطباء يمثلون اللسان الناطقة باسم قبائلهم الى جانب الشعراء .

بل ان بعض الرواة القدماء لاحظوا ان الخطابة في اواخر العصر الجاهلي تفوقت على الشعر ، واحتلت مكانة ارفع من مكانته (١) . . . يقول الجاحظ - نقلا عن ابي عمرو بن العلاء - رواية البصرة الكبير :

« كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب ، لفرط حاجتهم الى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخم شأنهم ، ويهول على عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهايبهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم .

فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا الى السوق ، وتسرعوا الى أعراض الناس ، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر » (٢) .

وقد افتخر الشعراء الجاهليون والمخضرمون بخطبائهم في الجاهلية ، يقول ( حسان بن ثابت ) مقتخرا (٣) :

ان خالى خطيب جابية الحو

لان عند النعمان حين يقوم

وابى في ( سميحة ) القائل الفا

صل يوم التفت عليه الخصوم

(١) الروائع من الشعر العربي ص ٥٧ .

(٢) البيان والتبيين ١/٢٤١

(٣) البيت الاول في البيان والتبيين ١/٣٦٠ ، وهما ضمن أبيات في البيان والتبيين ٢/٣٢٥ ، ٤/٥٨ وهي في الديوان ص ٤٣٠ ط دار الكتاب العربي بيروت .

ويقول (٤) :

وجدى خطيب الناس يوم ( سميحة )

وعسى ابن هند مطعم الطير خالد

ويقول الأعرج - وتنسب أيضا الى عمرو بن الاطنابة - مفتخرا

بقومه (٥) .

إنى من القوم الذين إذا انتدوا

بداوا بحق الله ثم النائل

ويقول قيس بن عاصم المنقري : (٦)

إنى امرؤ لا يعترى خلقى

دنس يفسده ولا أفن

من منقرفى بيت مكرمة

والأصل ينبت حوله الغصن

خطباء حين يقول قائلهم

بيض الوجوه مصاقع لسن

لا يفتنون لعيب جارهم

وهم لحفظ جوارهم فطن

(٤) الديوان ص ١٦٨

(٥) البيان والتبيين ٢/٢٧١

(٦) نفسه ٢١٩/١ ، وقيس بن عاصم شاعر فارس مخضرم ، صاحب

النبي - ﷺ - فى حياته وعاش بعده زمنا ، وهو أحد من وأد

بناته فى الجاهلية ، وممن حرموا الخمر فى الجاهلية ، ومنه

تعلم ( الأحنف بن قيس ) الحلم والأفن: ضعف الراى والعقل .

دواعى الخطابة فى الجاهلية •

هناك دواعى خاصة بالعرب الجاهليين دعت الى بلوغ الخطابة  
درجة من النضج والكمال -

ومن أهم هذه الدواعى :

✽ الاستعداد الفطرى •

فقد أوتى العربى موهبة الارتجال ، اذ يخطب فينساب الكلام  
انسياجا دون معاناة أو مكابرة .. يقول الجاحظ فى ذلك عن  
العربى : (٧)

( يصرف همه الى الكلام ، والى رجز يوم الخصام ، أو حين  
يمنح على رأس بير ، أو يحدو ببعير ، فما هو الا أن يصرف همه  
الى جملة المذهب ، والى العمود الذى اليه يقصد ، فتأتيه المعانى  
ارسالا ، وتنتال عليه الالفاظ انشبالا ...

وكانوا أميين لا يكتبون ، ومطيرعين لا يتكفون ، وكان الكلام  
الجيد عندهم أظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر ، وكل واحد فى  
نفسه انطق ، ومكانه من البيان أرفع ، وخطباؤهم أوجز ، والكلام  
عليهم أسهل ، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا الى تحفظ ، أو يحتاجوا  
الى تدارس ...

ولم يحفظوا الا ما علق بقلوبهم ، والتحم بصدورهم ، واتصل  
بعقولهم من غير تكلف ولا قصد ، ولا تحفظ ولا طلب -

★ حاجتهم الضرورية الى من يتحدث عنهم ، نظرا لشيوع الأمية  
بيتهم ، مع اضطرابهم الى التنقل ، فاستعانوا بالخطابة لتقوم مقام  
الكتابة فى عقد المحالفات والمصالحات •

(٧) البيان والتبيين للجاحظ •

★ بعض القبائل كان حظها في الشعر ضعيفا فاستعاضت بالخطابة عنه في مجالات مختلفة .

• خطبة قس بن ساعدة الإيادي (٨) .

عن الشعبي عن ابن عباس قال :

قدم وفد بكر بن وائل على رسول الله - ﷺ - ، فلما فرغوا

من شأنهم ، قال لهم ( هل فيكم أحد من إياد ؟ ) .

قالوا : نعم .

قال : ( أففيكم أحد يعرف : قس بن ساعدة الإيادي ؟ ) .

قالوا : نعم ، كلنا نعرفه .

قال : ( فما فعل ؟ ) .

قالوا : هلك .

قال - ﷺ - : ( ما أنساه يسوق عكاظ في الشهر الحرام يخطب

الناس على جمل له أورق ، وهو يتكلم بكلام عليه خلاوة ، ما أجدني

أحفظه ، فقال رجل من القوم : أنا أحفظه يا رسول الله .

قال - ﷺ - : ( كيف سمعته يقول ؟ ) .

قال : سمعته يقول :

يا أيها الناس : اجتمعوا واسمعوا وعوا ، من عاش مات ، ومن

مات فات ، وكل ما هو آت آت .

(٨) الخطبة مذكورة في مصادر كثيرة منها : التذكرة الفخرية للاريلي

ص ٤٢ ، وهي في جمهرة خطب العرب ٣٦ ، وخبر قس وخطبته

في السيرة النبوية ، وكذلك في الأغاني ( دار ) ٢٤٦/١٥

وما بعدها .

آيات محكمات : مطر وذيبات ، وآباء وأمّهات ، وذاهب وآت ،  
وتجول تمور ، وبحور لا تغور ، وسقف مرفوع ، ومهاد موضوع ،  
وليل داج ، وسماء ذات أبراج .

مالى أرى الناس يموتون ولا يرجعون ، أرضوا فاقاموا ، أم حبسوا  
فناموا .

يا معشر إباد : أين ثمود وعاد ؟ وأين الأكباء والأجداد ؟ أين  
المعروف الذى لم يشكر ، والظالم الذى لم ينكر .

أقسم قسما بالله أن لله ديننا هو أرضى له من دينكم هذا ، ثم  
أنشد قس :

فى الذاهبين الأولين من  
القرون لنا بهـائـر  
لما رأيت مواردا  
للموت ليس لها مصادر  
ورأيت قومي نحوها  
يمضى الأكابر والأصاغر  
لا يرجع الماضى ولا  
يبقى من الباقيين غابر  
أيقنت أننى لا محالة  
حيث صار القوم صائر

ترجمة وتعليق :

الخطيب هو : قس بن ساعدة الإيادى . اختلفت كتب التراجم  
حوله ، فليس هناك اتفاق أو شبهة بين المؤرخين حول حياته ، وإنما  
اضطربت الروايات اضطرابا بينا .

وقد أورد الأصفهاني : أنه لما قدم وفد إيراد على النبي - ﷺ -  
قال : ما فعل ( قس بن ساعدة ) ؟

قالوا : مات يا رسول الله .

قال : كاني أنظر إليه بسوق عكاظ على جمل له أورك ، وهو  
يتكلم بكلام عليه حلاوة ، ما أجدني أحفظه ، فقال رجل من القوم :  
أنا أحفظه يا رسول الله . قال : كيف سمعته يقول ؟ ..

فذكر الخطبة .

لكن المشتغلين بعلوم الحديث ذهبوا إلى أن هذا الحديث  
ضعيف .

يقول ابن حجر العسقلاني : طرق هذا الحديث كلها ضعيفة .

ويجزم ابن الجوزي بأن حديث قس من جميع جهاته باطل .

ولو نظرت في الخطبة المذكورة ، المنسوبة إلى ( قس ) لوجدت  
أن أفكارها قد سبقت في إطار إسلامي بحث ، بل إن بعض العبارات  
يتفق مع بعض آيات القرآن الكريم وذلك كقوله :

( وسماء ذات أبراج ) ، وفي إحدى الروايات : ( إنكم لتأتون  
من الأمر منكرا ) ، ( جبال مرساة - أرض مدحاة ) .

وقد تعددت روايات هذه الخطبة مما يبعث على الشك في  
نسبتها إلى ( قس ) والعصر الجاهلي .

وقد وقف الدكتور طه حسين أمام هذا الخطيب - ضمن موقفه  
من النثر - فقال : ( وحياة النادرين من الجاهليين مضطربة كحياة  
الشعراء فقس بن ساعدة قد عمر سبعة قرون أو ثلاثة قرون ، أو  
قرنين ونصف قرن ، وهي فيما يظهر أقل سن يتفق عليها المعتدلون ) .

ثم نفى أن تكون هناك خطابة جاهلية لأن ( أهل البادية كانوا في حرب وغزو وخصومات ، وهذا يدعو إلى الحوار والجدل ، ولكنه لا يدعو إلى الخطابة ، فالخطابة تحتاج إلى الاستقرار والثبات والاطمئنان إلى الحياة المدنية المعقدة ) (٩) .

لكننا لا ننكر الخطابة برمتها ، وإنما نقف أزاء هذه الخطب وننظر فيها وفي ذهننا العصر الجاهلي بثقافته وعاداته .

وعلى هذا الأساس شككنا في خطبة قس هذه ، وضعفها علماء الحديث .

ثم إن هناك دواعي لتلك الخطابة في الجاهلية .. فمنها : استعاضتهم بها عن فقدان ملكة الشعر عند بعض قبائلهم . ثم حاجتهم لمن يتحدث بلسانهم في المحافل ... الخ .

٢ - خطبة أبي طالب في زواج الرسول ( صلى الله عليه وسلم ) :  
قال أبو طالب :

الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل وجعل لنا بلدا حراما ، وبيتا محجوجا ، وجعلنا الحكام على الناس .

ثم إن محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رجح عليه برا وقضلا وكرما وعقلا ، وسجدا وتبلا ، وإن كان في المسال قل ، فإنما المسال ظل زائل ، وعارية مسترجعة ، وله في خديجة بنت خزيمة رغبة ، ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلى .

٣ - خطبة عبد المطلب - جد الرسول - بين يدي سيف بن ذي يزن :

حين انتصر سيف بن ذي يزن على الحبشة أقبلت الوفود تهنئه

وكان من ضمن وفد قريش عبد المطلب بن هاشم الذى قال: (١٠)  
إن الله قد أحلك أيها الملك محلا رفيعا ، صعبا متيعا ، شامخا  
بانخا ، وانبتك مثبتا طابت أرومته ، وعزت جرثومته ، فى أكرم  
موطن ، وأطيب معدن .

فأنت - أبيت اللعن - ملك العرب ، وربيعها الذى به تخصب  
وأنت أيها الملك رأس العرب الذى له تنقاد ، وعمودها الذى عليه  
العماد ، ومعقلها الذى إليه يلجأ العباد ، فسلك لنا خير سلف ،  
وأنت لنا منهم خير خلف ، فلم يخمل من أنت خلفه ولن يهلك من  
أنت سلفه .

نحن أهل حرم الله وسدنة بيته ، أشخصنا إليك الذى أبهجنا  
لكشفك الكرب الذى قدحنا ، فنحن وفود التهنئة ، لا وفود المرزئة .  
\* خصائص الخطابة الجاهلية عموما :

#### ١ - من حيث الأفكار :

كانت أفكار الخطب ساذجة قطرية تتفق وبساطتهم .. وغالبا  
ما يعرض الخطيب أفكاره دون تأييدها بالدليل والحجة والبرهان .  
تنم الخطب الجاهلية عن فكر محدود ، وتجربة ذاتية فردية ،  
ذلك لأن تنقلاتهم واتصالاتهم فى نطاق شبه الجزيرة فقط . كما أدى  
إلى ذلك ارتجالهم فجّل خطبهم - أن لم تكن كلها - مرتجلة .

#### ٢ - موضوع الخطبة :

لم تكن الوحدة الموضوعية متحققة فى الخطبة الجاهلية ، إذ

نجد الخطيب وقد ساق عدة موضوعات ينتقل من أحدها إلى الآخر في صورة قفز .

كما أن مقدمة الخطبة تكاد تكون مقتقدة ، وإنما يفاجئنا الخطيب بعرض الموضوع الرئيسى في خطبته .

### ٣ - قصر الجمل :

جاءت معظم خطبهم في فقر قصيرة ، والجملة غالباً ما تتكون من مبتدأ وخبر فقط ، أو فعل وفاعل فقط ، متغافلين بقية مكونات الجمل ملبسين ذلك ثوب الحكمة .

وذلك مثل قول أكرم بن صيقى :

( الصدق منجاة ، والكذب مهواة ، والسر لاجاة ، والحزم مركب صعب ، والعجز مركب وطىء ، آفة الراى الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ..... ) .

٤ - اتسمت خطبهم بالإيجاز وعدم الاطالة ، وهذا مما يتفق وطبيعتهم .. أما تلك الخطب الطويلة التى أوردها ابن عبد ربه فى العقد الفريد فقد شكوا فى نسبتها الى العصر الجاهلى .

### ٥ - الجمع بين الشعر والنثر :

حرص معظم خطباء الجاهلية على أن يضمنوا خطبهم أبياتاً من الشعر من تأليفهم ، أو اقتباساً من غيرهم . وقد رأينا كيف طعم ( قس بن ساعدة ) خطبته تلك الأبيات التى جاعت بمثابة موجز لبعض ما عرض - وهذا مما يساعد على حفظها .

### ٦ - أسلوب الخطبة والفاظها .

كانت الأساليب متداسة مع موضوع الخطبة ، ففى خطب الحروب تكاد تسمع دوى المدافع ، وصيلل السيوف من خلال الفاظ الخطبة .

وكانوا يتخيرون الالفاظ الرقيقة ، وينسقون بينها بما يتلاءم وجو

الخطبة .

٧ - كثرة المسجع .

عمد الجاهليون إلى الإتيان بخطبهم في صورة مسجوعة ، حرصا من الخطيب على تثبيت الخطبة في اذهان السامعين . . . وقد رأيت كيف غلب المسجع على خطبة ( قس ) التي سقناها . . . ومع ذلك لا تكاد تشعر بتكلف في سرق هذا المسجع وغيره من المحسنات اللفظية .

لقد امتاز الاسلوب بقوة الامر ولذلك لم يكن غريبا أن يقول الرسول - ﷺ - بعد سماعه بعضهم : ( ان من البيان لسحرا ) ويدهى أن هذا البيان الساحر لم يكن خاصا بهذا الخطيب الذي قال عنه الرسول ذلك . وإنما هو شيء عام بين الخطباء إذ ذهبوا جميعا مذهب التجويد والتجوير حتى يستميلوا الاسماع ويخلبوا الالباب (١١) .



(ب) الوصايا

هى فن قولى بليغ مؤثر ، صادر من رجل يسمع له ، فهو إما أب وإما أم ، وإما سيد فى قومه .. يسوقها لينتفع بها من توجه إليهم ..

وهى لون من الخطابة إلا أنها توجه إلى جماعة قليلة أو فرد وخاصة عندما يشعر الموصى بدنو أجله .

أما الخطبة فيقصد بها قريم لا على سبيل التعيين والتخصيص والخطب إنما تكون فى المشاهد والمجامع ، والأيام والمواسم ، والتفاخر والتشاجر ، ولدى الكبراء والأمراء ، ومن الوفود فى أمر مهم ، وخطب ملهم .

والوصايا بخلافها فى كل ما ذكر ، فلا تكون إلا لقوم مخصوصين فى زمن مخصوص ، على شئ منصوص ، وكثيرا ما كانت تصدر عن شخص لعائلته ، أو سيد لقبيلته ، عند حلول مرض مخاطر ، أو محاولة نقله أو ما شابه ذلك ( ١٢ ) .

نماذج للوصايا الجاهلية

١ - وصية ذى الأصبع العدوانى لابنه أسيد :

أحسن ( ذو الأصبع ) يدنو أجله فأوصى ابنه قائلا : ( \* )

( يا بنى .. إن أباك قد فنى وهو حى ، وعاش حتى سئم

العيش .. وإنى موصيك بما إن حفظته بلغت فى قومك ما بلغت فاحفظ عنى :

( ١٢ ) بلوغ العرب ١٥٢/٣

( \* ) راجع الأغاني ( دار ) ٩٨/٣ ، ٩٩

الن جانبك لقيمك محبوبك ، وتواضع لهم يرفعوك ، ويبسط لهم وجهك يطيعوك ، ولا تستأثر عليهم بشئ يسودوك ، وأكرم ضغارهم كما تكرم كبارهم ، يكرمك كبا ، ويكبر على مودتك ضغارهم ، واسمح بمالك ، وأحم حريمك ، وأعزز جارك ، وأعن من استعان بك ، وأكرم ضيفك ، وأسرع النهضة فى الصريح ، فإن لك أجلا لا يعدوك ، ومن وجهك عن مسألة أحد شيئا ، فبذلك يتم سؤددك ) .

ومما لا شك فيه أن هذه الوصية احتوت على مجموعة من القيم الاخلاقية الرقيقة التى كان يتمتع بها الموصى فى حياته ، وبها صار سيذا فى قومه ..

إنه يدعو ابنه إلى :

لن الجانب ، التواضع ، تجنب الانانية وحب الذات ، وإكرام الصغير والكبير على السواء ، التمسك بالمحافظة على الشرف وحماية العرض ، إغاثة المستغيث ، إعزاز الجار ، إكرام الضيف ، الترفع عن مد يد الحاجة الى أى أحد .

فإذا ما توافرت هذه الصفات صرت بحيث يلجأ إليك الناس ويستعينون برأيك ، وبذلك صرت سيذا ..

إن الأب حريص هنا على بيان مؤهلاته التى استحق بها سيادة قومه ، وهو يريد لابنه أن يبلغ ما بلغه ، فوصاه هذه الوصية التى جمع فيها خلاصة خبرته وتجربته فى الحياة .

وقد ساقها فى أسلوب سهل سلس ، معتمدا على السجع والإيقاع الموسيقى الأسر ، والمعانى واضحة لا غموض فيها ولا التواء ..  
والعاطفة صادقة ..

٢ - أمامة بنت الحارث توصي ابنتها ليلة زفافها :

( أى بنيت : ان الوصية لو تركت لفضل أدب تركت لذلك منك ،  
ولكنها تذكرة للغافل ومعوذة للعاقل .

أى بنيت : إنك فارقت الجو الذي منه خرجت ، وخلفت العش  
الذي فيه درجت ، إلى بيت لم تعرفيه ، وقرين لم تالفه ، فكوني له  
أمة يكن لك عبدا .

واحفظي له خصالا عشرًا يكن لك ذخرا .

أما الأولى والثانية : فالخشوع له بالقناعة ، وحسن السمع له  
والطاعة .

وأما الثالثة والرابعة : فالتفقد لموضع عينه وأنفه ، فلا تقع عينه  
منك على قبيح ، ولا يشم إلا أطيب ريح .

وأما الخامسة والسادسة : فالتفقد لوقت منامه وطعامه ، فإن تواتر  
الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة .

وأما السابعة والثامنة : فالاحتراس بماله ، والإرعاء على حشمه  
وعياله وملاك الأمر في المال حسن التقدير ، وفي العيال حسن  
التدبير .

وأما التاسعة والعاشر : فلا تعصين له أمرا ، ولا تفشين له سرا  
فإنك إن عصيت أمره أو غرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمن  
غدره .. ثم أياك والفرح بين يديه إذا كان مهتما والكآبة بين يديه إذا  
كان فرحا ) .

هذه أم عاقلة حكيمة ، ترجو لابنتها حياة هادئة مستقرة ،  
ولبيتها الود والرحمة ولا يتأتى ذلك إلا بزوجة تعرف واجباتها تجاه  
زوجها .

لقد حرصت الأم على أن تزود ابنتها بنصائح معدودة حتى لا تنساها ، الأولى كذا ، والثانية كذا .

وجاءت الوصية في الفاظ واضحة لا غموض فيها ، وكذلك المعاني لا تعقيد فيها ولا التواء .. والعاطفة القوية الصادقة لا شك في وضوحها .. وتتميز هذه الوصية بالوحدة الموضوعية إذ أنها - كلها - في موضوع واحد وهي كيفية معاملة المرأة لزوجها .

والأم هنا بلغت درجة عظيمة من الحكمة والعقل ، إذ استطاعت أن تقرب ابنتها إليها حتى احتضنتها وكأنها لا تزال صغيرة فنادتها ( أي بنية ) .

ثم ذكرت هدفها من وصيتها ، فبينت خلال ذلك لابنتها أنها فتاة عاقلة ، مؤدبة ، ولكنها تذكره ومعونة .

وحرصت الأم على أن تبين لابنتها أسباب غضب الزوج في بعض الوصايا التي قد تحتاج الى بيان (فإن تواتر الجوع ملهبة . وتنغيص النوم مغضبة .. فإنك إن عصيت أمره أوغرت صدره ، وإن أفشيت سره لم تأمنى غدره .. ) .

أي عقلية حكيمة تلك .. ما أحوج المجتمع لمثل تلك الأم التي ترجو لابنتها السعادة والتوفيق في حياتها الجديدة .

#### سمات عامة للوصايا

\* تكثر في الوصية الأساليب الإنشائية ولا سيما أفعال الأمر والنهي والإغراء والتحذير .. وعليه تقل الجمل الخبرية .

\* يحاول الموصي أن يعمل لما يأمر به أو ينهى عنه ، ويذكر نتائج الائتمار بالأمر والانتهاك عن النهي وذلك كما في قول ذي الإصبع :  
الن جانبك لقومك محبوبك .. وتواضع لهم يرفعوك .. الخ .

وقول امامة : فكونى له أمة يكن لك عبدا ، واحفظى له  
خصالا عشرين يكن لك ذخرا .. الخ .

\* يغلب على الوصايا القصر حتى يسهل حفظها ، لأن كثرة الكلام  
ينسى بعضه بعضا .

\* يكون الموصى - آن الوصية - هادئا ، رزينا ، متزنا .  
\* الوصية تجمع أفكارا ومعانى متباعدة لا يربطها رابط ، ومن هنا  
فقدت الوحدة الموضوعية غالبا .

#### (ج) المفاخرات والمنافرات

المفاخرة : هى مناظرة كلامية ، أو حوار بين رجلين أو أكثر ،  
يبرز كل منهما مؤهلاته ، وإمجاده ، ومفاخره محاولا إثبات أفضليته  
وأحقية للسيادة والشرف .. إذ أن الخصومة تكون بسبب الزعامة .  
والمنافرة : لجوء المختصمين الى من يحكم بينهما ويفصل فى  
المنافرة ، وإنما سميت منافرة لأنهم كانوا يقولون عند المنافرة : ( أنا  
أعز منك نفرا ) .

#### أشهر المنافرات

\* منافرة عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة :(\*)  
وكان سبب المنافرة :

أن عامرا عرض بعلقمة فى حديث له معه ، فرد علقمة على عامر  
ردا اعتبره مهانة له ، وطلب اليه أن يناقره . وقيل : انهما تنازعا  
الرياسة فقال علقمة : إن شئت نافرتك .  
قال عامر : قد شئت .

---

(\*) راجع الاغانى ( دار ) ٢٨٣/١٦ - ٢٨٧

— قال عامر : والله لانا اكرم منك حسبا ، واثبت منك نمبا ، واطول منك قصبا .

★ فقال علقمة : لانا خير منك ليلا ونهارا .

— فقال عامر : لانا احب إلى نساءك ان أصبح فيهن منك .

★ فقال علقمة : على ماذا تنافرنى يا عامر ؟

فقال عامر : أنافرك على انى أنحر منك للقاح ، وخير منك فى الصباح (\*\*) ، وأطعم منك فى السنة الشياح (\*\*) .

★ فقال علقمة : أنت رجل تقاتل والناس يزعمون انى جبان ، ولان تلقى العدو وأنا أمامك أعز لك من أن تلقاهم وأنا خلفك ، وأنت جواد والناس يزعمون انى بخيل ولست كذلك ، ولكنى أنافرك انى خير منك اثرا ، وأحد منك بصرا ، وأعز منك نفرا وأشرف منك ذكرا .

— فقال عامر : ليس لبنى الأحوص فضل على بنى مالك فى العدد ، ويصرى ناقص وبصرى صحيح ، ولكنى أنافرك على انى أنشر منك أمة (\*\*) ، واطول منك قمة وأحسن منك لمة ، وأجعد منك جمة وأبعد منك همة .

★ قال علقمة : أنت رجل جسيم ، وأنا رجل قصير ، وأنت جمة وأنا قبيح ولكنى أنافرك بأبائى وأعمامى .

— فقال عامر : أبأؤك أعمامى ولم أكن أنافرك بهم ، ولكنى أنافرك انى خير منك عقبا ، وأطعم منك جدبا .

★ قال علقمة : قد علمت ان لك عقبا فى العشيرة .

(\*) فى الصباح : أى عند الإغارة على الأعداء .

(\*\*) الشياح : القحط ، يريد السنة المجدة .

(\*\*) أى أكثر قوما .

( م ١٤ - الأدب الجاهلى )

وهكذا مضيا في المنافرة ثم اتفقا على الاجتكام الى حكم  
يحكم بينهما وذلك على مائة من الإبل الى مائة أخرى .  
وذهبا الى ( عامر بن مالك ) فأبى أن يحكم لأحدهما . فذهبا  
الى سفيان بن حرب بن أمية ، فكره أن يحكم منهما وقال :  
( انتما كركيتي البعير الأدرم ) ( \* ) .

— فقال عامر : فايما اليمين ؟

قال أبو سفيان : كلاكما يمين ، وأبى أن يقضى بينهما ،  
فانطلقا الى ( أبي جهل بن هشام ) فأبى أن يحكم بينهما ...  
وهكذا رفض كثير من مشاهير العرب أن يحكم بانهما ، لكنهما  
مصران على أن يحكم بينهما ... الى أن وصلا الى ( هرم بن سنان  
الفزازي ) وكان رجلا ذكيا ، فقال :

لعمري لأحكم بينكما ثم لأفضلن ، ثم لست أثق بواحد منكما  
فأعطياني موثقا أطمئن اليه أن ترضيا بما أقول ، وتسلما لما قضيت  
بينكما ، وأمرهما بالانصراف وطلب اليهما أن يعود اليه في موعد  
حدده لهما .

فلما كان اليوم الموعد ذهب كل فريق الى هرم ومعهم القباب  
والجزر والقدير ينحرون ويطعمون .

وأرسل هرم الى عامر يستدعيه مرا . فلما أن لقيه قال له :  
يا عامر ، قد كنت أرى لك رأيا ، وإن فيك لخيرا ، وما حسبتك هذه  
الأيام إلا لتنصرف عن صاحبك ، أتدافر رجلا لا تفخر أنت وقومك  
إلا بأبائه ؟ فما الذي أنت به خير منه ؟

فاجاب عامر : نشدتك الله والرحم ألا تفضل على علقمة ، فوالله

( \* ) الأدرم : الذي تراكب لحمه وشحمه حتى غطى عظامه ، والذي  
ذهبت جلدة أسنانه ودنا وقرعها ، أو الذي لا أسنان له .

لئن فعلت لا أفلح بعدها أبداً ، هذه ناصيتي فأجززها واحتكم في مالي ، فإن كنت لابد فاعلا فسو بيني وبينه .  
فلما أنصرف عامر أرسل هرم إلى علقمة فأتاه سرا : فقال له ما قال لعامر ، فأجاب بمثل ما أجاب .

أرسل هرم إلى بنيه ورهطه وقال لهم : إنني قاتل مقالة غدا بين هذين الرجلين ، فإذا فعلت فليطرد بعضكم عشر جزائر فلينجرها عن علقمة ، ويطرد بعضكم الآخر عشر جزائر فلينجرها عن عامر ، وفرقوا بين الناس ولا تكونوا لهم جماعة ولما كان الغد قام هرم قائلاً : يا بني جعفر ، قد تحاكمتما عندي ، وأنتما كركبتني البعير الأدم تقعان على الأرض معا ، وليس فيكما أحد إلا وفيه ما ليس في صاحبه ، وكلاكما سيد كريم .

وهنا فعل رهط هرم ما أمرهم بالأمس أن يفعلوه ، فنحروا الجزر عشرا عن علقمة ، وعشرا عن عامر ، وفرقوا الناس .  
ولم يفضل هرم واحدا على صاحبه ، وكره أن يفعل ذلك حتى لا يوقع العداوة بين الحيين وهما أبناء عم .

وبذلك استطاع هرم بحكمته وذكائه أن ينهي هذه السلسلة الحوارية المضطربة بين الرجلين .

وقد عمر ( هرم ) إلى أيام عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال له عمر : أيهما كنت منفرا ؟

فقال : يا أمير المؤمنين : لو قتلها الآن لعادت جذعة .  
فقال له عمر : إنك لأهل لموضعك من الرياسة .  
وانك لتلاحظ بعد قراءة هذه المناقرة :

★ أن كلا من المتنافرين يعرض أبرز ما يتصف به وهو ليس موجودا عند خصمه .

- ★ الخصم يقر بذلك فيضرب عنه ويبدأ بإبراز جانب آخر يتفوق فيه على خصمه .
- ★ المفارقة التي ذكرها منها ما هو خلق ومنها ما هو نفس وخلق ..
- ★ الأسلوب سهل ، ملس ، والمعاني واضحة لا غموض فيها ولا الشواء .
- ★ تنم هذه المناقرة عن قدرة هؤلاء العرب على الجدل والخصام وطول أنفسهم في ذلك .
- ★ معالجة الحكمين للمشكلة تبين عن عقليات راجحة عند العرب ولا سيما ما كان من هزم - كما ذكرنا .

#### ( د ) الحكم والأمثال

- ★ الحكمة : قول رافع يتضمن حكما صحيحا ، مستلما به عند أكثر الناس ، ويكون موجزا ، بعيدا عن الحشو ، وليس شرطا أن يكون صاحب الحكمة شيخا أو هرما ؛ فقد يكون صغير السن ولكنه أوتي نفسا حساسة ، وبصيرة نافذة كما كان طرفة بن العبد مثلا .
- وهذه الحكمة تكون عبارة عن خلاصة تجربة حياتية عاشها صاحبها .
- وممن اشتهر بالحكمة بين الجاهليين : أكنم بن صيفي ، وعامر ابن الظرب العدواني ( وغيرهما ) ..
- فمن أقوال أكنم :  
( ويل للشجي من الخلى ) ..  
( لا تطمع في كل ما تسمع ) ..  
( حافظ على الصديق ولو في الحريق ) ..

★ ومن أقوال عامر بن الظرب :

( رب زارع لنفسه حاصد سواه • من ظلب شيئا وجده ، وإن لم يجده أوشك أن يقع قريباً منه ) •

★ المثل : قول يشبه مضربه بمورده ، ولا بد له من أصل يكون قد قيل من أجله ، وهذا هو الفرق بين الحكمة والمثل •

وتحمل لنا الأمثال صيرة للنثر في العصر الجاهلي ، وذلك أن قصرها أصان على حفظها ، كما أن العرب سارعوا إلى تدوينها منذ أواسط القرن الأول الهجري ••

وهناك كتب عديدة مشهورة عنيت بجمع أمثال العرب ومن أشهرها :

مجمع الأمثال للميداني ، وأمثال العرب للمفضل الضبي ، وجمهرة الأمثال للعسكري ••

★ نموذج للأمثال :

( إن العصا من العصية ) ( ١٣ ) •

قال أبو عبيد : هكذا قال الأصمعي ، وأنا أحسبه : العصية من العصا ، إلا أن يراد أن الشيء الجليل يكون في بدء أمره صغيراً كما قالوا : إن القرم من الأفيث ( ١٤ ) ، فيجوز حينئذ على هذا المعنى أن يقال : العصا من العصية •

قال المفضل :

أول من قال ذلك ( الأفعى الجرهمي ) ، وذلك : أن ( نزاراً ) لما حضرته الوفاة جمع بنيته : مضر وإياد وربيعة وأنماراً ، فقال :

( ١٣ ) راجع : مجمع الأمثال للميداني ٢٢/١ - ٢٥  
( ١٤ ) القرم : الفحل من الإبل ، الأفيث : ابن المخاض ••

يا بنى ، هذه القبة الحمراء - وكانت من آدم - لمضر ، وهذا الفرس  
الأدهم والخباء الأسود لربيعة ، وهذه الخادم ، وكانت شمطاء -  
لإياد ، وهذه البكرة والمجلس لأنمار يجلس فيه ، فإن أشكل عليكم  
كيف تقتسمون ، فائتوا الأفعى الجرهمى ، ومنزله بنجران ..

فتشاجروا فى ميراثه ، فتوجهوا إلى الأفعى الجرهمى ، فبينما  
هم فى مسيرهم إذ رأى مضر أثر كلاً قد رعى ، فقال :

إن البعير الذى رعى هذا لأعور .

وقال ربيعة : إنه لأزور (١٥) .

وقال إياد : إنه لأبتر (١٦) .

قال أنمار : إنه لشروود (١٧) .

فساروا قليلاً فإذا هم برجل ينشد جملة ، فسألهم عن البعير ..

فقال مضر : أهو أعور ؟ قال : نعم .

قال ربيعة : أهو أزور ؟ قال : نعم .

قال إياد : أهو أبتر ؟ قال : نعم .

قال أنمار : أهو شروود ؟ قال : نعم .. وهذه والله صفة يعيرى فدلونى

عليه !

قالوا : والله ما رأيناه ، قال : هذا والله الكذب ، وتعلق بهم

وقال : كيف أصدقكم وأنتم تصفون يعيرى بصفته ؟

فساروا حتى قدموا بنجران ، فلما نزلوا نادى صاحب البعير :

هؤلاء أخذوا جملى ووصفوا صفته ، ثم قالوا : لم نره .

(١٥) الأوز : من سال أحد جانبيه على الآخر .

(١٦) الأبتر : مقطوع الذنب .

(١٧) الشروود : الناقص .

فاختصموا إلى الأفعى ، وهو حكم العرب ، فقال الأفعى : كيف  
وصفتموه ولم تروه ؟

قال مضر : رأيته رعى جانبا وترك جانبا فعلمت أنه أعور .

وقال ربيعة : رأيته إحدى يديه ثابتة الآخر والأخرى فاسدته  
فعلمت أنه أزور ، لأنه أفسده بشدة وطئه لازوراره .

وقال إيراد : عرفت أنه أبتقر باجتماع بعره ، ولو كان ذبالا  
لمصع به (١٨) .

وقال أنمار : عرفت أنه شرود لأنه كان يرعى فى المكان الملتف  
نبته ثم يجوزه إلى مكان أرق منه وأخبط نبثا ، فعلمت أنه شرود .

فقال للرجل : ليسوا بأصحاب بعيرك فاطلبه ، ثم سألهم : من  
أنتم ؟ فأخبروه ، فرحب بهم ، فقال : أحتاجون إلى وأنتم كما أرى ؟  
ثم أنزلهم فذبح شاة ، وأتاهم بخمر : وجلس لهم الأفعى حيث  
لا يرى وهو يسمع كلامهم ، فقال ربيعة : لم أركاليوم لحما أطيّب منه  
لولا أن شاته غذيت بلبن كلبة !

فقال مضر : لم أركاليوم خمرا ، أطيّب منه لولا أن خيلتها (١٩)  
نبئت على قبر !

فقال إيراد : لم أركاليوم رجلا أمرى منه لولا أنه ليس لأبيه  
الذى يدعى له !

فقال أنمار : لم أركاليوم كلاما أنفع فى حاجتنا من كلامنا ،  
فكان كلامهم بلذنه .

فقال : ما هؤلاء إلا شياطين . ثم دعا القهرمان ، فقال :

(١٨) مصع به : رمى به ..

(١٩) الحبل : القضيب من شجر العنّاب .

ما هذه الخمرة وما أمرها ؟ قال : هي من حيلة غرستها على قبر  
أبيك لم يكن عندنا شراب أطيب من شرايها .

وقال الراعى : ما أمر هذه الشاة ؟ قال : هي عناق (٢٠)  
أرضعتها بلبن كابية ، وذلك أن أمها كانت قد ماتت ، ولم يكن من  
الغنم شاة ولدت غيرها .

ثم أتى أمه فساءلها عن أبيه ، فأخبرته أنها كانت تحت ملك  
كثير المال ، وكان لا يولد له ، وقالت : فحفت أن يموت ولا ولد له  
فيذهب الملك ، فأمكنت من نفس ابن عم له كان نازلاً عليه .  
فخرج الأفعى إليهم ، فقص القوم عليه قصتهم وأخبروه بما  
أوصى به أبوه .

فقال : ما أشبه القبة الحمراء من مال فهو لضر ، فذهب  
بالدنانير والإبل النضر ، فسمى ( مضر الحمراء ) لذلك .

وقال : وأما صاحب الفرس الأدهم والخياء الأسود ، فله كل  
شئ أسود ، فصار لربيعة الخيل الدهم ، ففيل ( ربيعة الفرس ) .  
وما أشبه الخادم الشمطاء فهو لإياد ، فصار له الماشية البلق  
من الحبلق والنقد (٢١) فسمى ( إياد الشمطاء ) .

وقضى لآمنار بالدراهم وبما فضل ، فسمى ( آمنار الفضل ) .  
فصدروا من عنده على ذلك ، فقال الأفعى : ( إن العصا من  
العصية ) ( وإن خشينا من أخشن ) ومساعدة الخاطل تعد من  
الباطل ، فأرسلهن مثلاً .

(٢٠) العناق : أنثى المعز .

(٢١) الحبلق : غنم صغار لا تكبر . والنقد : جنس من الغنم قبيح

- وخشين وأخشن : جيلان أحدهما أصغر من الآخر .
- والخابل : الجاهل ، والخطل من الكلام : اضطرابه .
- والعصية : تصغير تكبير ، والمراد أنهم يشبهون أباهم في جودة الرأي .
- وقيل : إن العصا اسم فرس ، والعصية : اسم أمه ، يراد أنه يحكى الأم في كرم العرق وشرف العتق .
- هذا هو أصل المثل .

★ ومن سمات الأمثال :

الإيجاز .

- جمال الصياغة .
- الجمال الموسيقى عن طريق السجع ، أو تشطير المثل .
- فطرية التعبير وبساطته ، إذ لا تمس تكلفا ، ولا تشعر بمشقة أو إجهاد أو بمحاولة التأنق في الصياغة ، اللهم إلا في القليل .

#### ( هـ ) سجع الكهان

- استطاع كهان الجاهلية بما أوتوا من السنة فصيحة أن يتسلطوا على الناس ، فاضفوا على أنفسهم المهابة والجلال .
- يقول النيرى في نهاية الأرب ( ٢٢ ) :

( وكانت كهنة العرب لهم اتباع من الشاطين يسترقون السمع ويأتونهم بالخبر فيلقونها لمن يتبعهم ويسألهم عن خفيات الأمور حتى جاء الإسلام فمضت الشياطين من استراق السمع ) والقرآن يقرر

( ٢٢ ) نهاية الأرب ١٤٨/٣

ذلك فيقول على لسانهم : ( وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً ) ..

أخذ الناس يلجأون إلى الكهان ويستشيرونهم في مستقبلهم ، فعمد الكهان إلى سجع مصطنع ، فيه غموض وإيهام وتعمية على السائل ، وهم يقصدون ذلك قصداً حتى يلقوا الرعب في قلوب السائلين وذوى الحاجات ، ويوهموهم أن هذا الكلام صادر من جهات لا يعرفها سوى الكهان ، وكانوا يسمون تابعيهم اللذين يوجهون إليهم باسم ( الرثى ) وأكثرهم كان يخدم بيوت أصنامهم وأوثانهم .

★ ومن أشهر كهان العرب في الجاهلية :

المأمور الحارثي ، سطيج الذئبي ، عزي سلمة ، طريفة ، فاطمة الخثعمية ، زبراء ، الزرقاء بنت عدى ، الخمس التغلبي ، سواد بن قارب ، شق حازي جهينة ( ٢٣ ) .

★ نماذج من سجع الكهان :

يقول عزي سلمة :

( والأرض والسماء ، والعقاب الصقعاء ( ٢٤ ) ، وإقعة ببقعاء ( ٢٥ ) ، لقد نفر ( ٢٦ ) المجد بنى العشاء ( ٢٧ ) ، للمجد والنساء ) .

( ٢٣ ) راجع : البيان والتبيين ١/ ٢٩٠ وغيره .

( ٢٤ ) الصقعاء : التي في وسط رأسها بياض .

( ٢٥ ) البقعاء : هي من الأرض للعزاء ذات الحصى الصغار .

( ٢٦ ) نفرهم : حكم لهم حين تناقروا اليه مع خصومهم .

( ٢٧ ) بنو العشر : من بنى مازن بن فزارة بن ذبيان .

ومما يدل على أن كهنتهم كانوا يسجعون ، بل كانوا لا يتكلمون إلا بالسجع ، الحديث المروى عن أبي هريرة ، فقد حدث أنه : ( اقتتلتا امرأتان من هذيل ، فرمت إحداهما الأخرى بحجر ، فقتلتها وما في بطنها ، فاختموا إلى رسول الله - ﷺ - فقضى رسول الله : أن دية جنيئها غرة : عبد أو وليدة ، وقضى بدية المرأة على عاقلتها ( أي عصبتها الذين يتضامنون معها في دفع الدية ) .

فقال حمل بن النابغة الهذلي :

يا رسول الله ، كيف أغرم من لا شرب ولا أكل ، ولا نطق ولا استهل ، فمثل ذلك يطل ، فقال رسول الله - ﷺ - :

إنما هذا من إخوان الكهان ، من أجل سجعه الذي سجع .

★ سمات المسجع :

— لم يكوذروا يقصدون إلى معان واضحة ، بل أرادوا التعمية ، وأن يذهب الناس في تفسير ما يقولون كل مذهب .

— أكثروا من الاقتسام والايمان بالكواكب والنجوم والبحار والسحب والليل .. إلخ .

— بنوا كلامهم على جمل قصيرة .

— التكلف واضح بين قى بناء مسجعهم .

السمات العامة للنثر في العصر الجاهلي

★ المعاني والأفكار :

— اتسمت المعاني بالوضوح والصراحة بحيث لا يحتاج إلى كد الذهن أو التعمق في الخيال باستثناء سجع الكهان الذين عمدوا إلى الإبهام والغموض .

— كان هذا الوضوح ملائماً لتلك البيئة العربية في شبه الجزيرة

ذات السماء الصافية ، والشمس الساطعة ، والنجوم اللامعة .  
— استمدوا معانيهم من بيئتهم التي عاشوا فيها ، فكانت  
فطرية ..

— تجلت العصبية القبلية في هذا النثر ، ولا سيما في المغاخرات  
والمنافرات .

— اعتمدوا في تصويرهم للبيئة على قوة الملاحظة ، ودقة  
الإحساس ورقة الشعور .

— كانت عاطفتهم قوية متدفقة .

★ الألفاظ والأساليب :

— في النثر تبدو الألفاظ واضحة لا غموض فيها ولا إبهام ، وقد  
تأتى - أحيانا - بعض الألفاظ فتظنها غريبة ، ولكن بالنسبة  
إلينا لبعد المسافة بيننا وبينهم في الزمن .

— عنى الجاهليون بالألفاظ والعبارات فاختراروها بكل دقة ، وجاءت  
قوية ، جزلة ، في شكل موسيقى جذاب .

— مالوا إلى قصر الجمل ، وإيجاز العبارات حتى يسهل حفظها  
ولا سيما في الحكم والأمثال .

— غلب السجع في المغاخرات والمنافرات . والحكم والأمثال ،  
وكان متكلفا في سجع الكهان .

تم بحمد الله

## المراجع

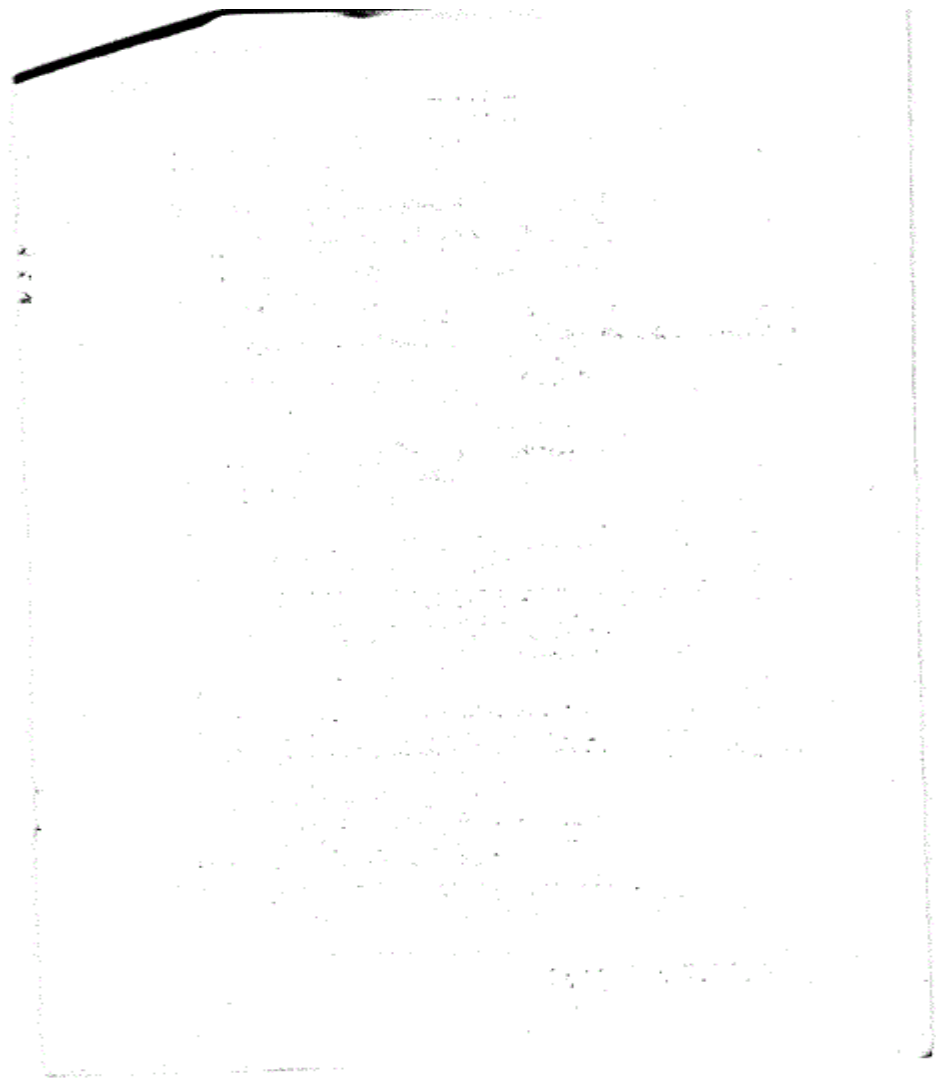
- ١ - الأدب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي ..  
محمد هاشم عطية - ط الحابي \*
- ٢ - أسد الغاية في معرفة الصحابة .. ابن الأثير - ط الشعب \*
- ٣ - أسس النقد الأدبي ..  
د/ أحمد أحمد بدوي - ط نهضة مصر \*
- ٤ - الأساطير .. دراسة حفازية مقارنة ..  
د/ أحمد كمال زكي \*
- ٥ - الأشباه والنظائر ( حماسة الخالدين )  
تحقيق د/ السيد: محمد يوسف سنة ١٩٨٥
- ٦ - الأصمعيات للأصمعي - تحقيق وشرح شاكروهارون \*
- ٧ - أمير الشعر في العصر القديم -  
محمد صالح سمك - ط نهضة مصر \*
- ٨ - الأملالي - للقاللي - ط دار الكتب ١٩٢٦ م \*
- ٩ - بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب -  
للألمسي - تحقيق محمد بهجة الأثري - بيروت \*
- ١٠ - البيان والتبيين - للجلحظ - تحقيق هارون - ط
- ١١ - التذكرة الفخرية - للاريلي -  
تحقيق نوري القيسي وآخر - ط العراق \*
- ١٢ - التطور والتجديد في الشعر الأموي د/ شوقي ضيف ط سادسة \*
- ١٣ - تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني -  
دار صادر - بيروت \*

- ١٤ - التوجيه الأدبي - د/ طه حسين وآخرون سنة ١٩٤٠م .
- ١٥ - تاريخ آداب العرب - بروكلمان -  
ترجمة د/ عبد الحليم النجار - دار المعارف .
- ١٦ - تاريخ التراث العربي - فؤاد سزكين - ط السعدية .
- ١٨ - تاريخ مدينة دمشق - لابن عساکر -  
تحقيق د/ شكري فيصل وآخرين - ط دمشق .
- ١٩ - تاريخ النقائض في الشعر العربي  
د/ أحمد الشايب - ط سنة ١٩٤٦م .
- ٢٠ - جبهة أشعار العرب - المقرشي .
- ٢١ - جبهة أنساب العرب -  
ابن حزم - تحقيق هارون - دار المعارف .
- ٢٢ - جبهة خطب العرب - أحمد زكي صفوت .
- ٢٣ - خزائن الأدب - البغدادي -  
تحقيق هارون - ط دار الكاتب العربي .
- ٢٤ - الخنساء -  
د/ بنت الشاطيء - ( سلسلة نوايخ الفكر العربي ) دار المعارف .
- ٢٥ - الخنساء شاعرة بنى سليم  
د/ محمد جابر الحيني . ( سلسلة أعلام العرب ) .
- ٢٦ - دراسات في الأدب العربي -  
غوستاف فون غرنباوم - ترجمة د/ احسان عباس وآخرين -  
ط بيروت .
- ٢٧ - دلائل الإعجاز - عبد القاهر الجرجاني -  
تحقيق شاكر - ط الخانجي .

- ٢٨ - ديوان حصان بن ثابت - شرح البرقوقى - ط بيروت .  
٢٩ - ديوان الخنساء -  
ط الثقافية بيروت . وأخرى بتحقيق د/ إبراهيم عيسى .  
٣٠ - ديوان العباس بن مرداس - ط بغداد .  
٣١ - ديوان امرئ القيس .  
٣٢ - الروائع من الأدب العربي .  
د/ يوسف خليف وآخرين - ط هيئة الكتاب .  
٣٣ - شرح أشعار الهذليين .  
٣٤ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات -  
ابن الأنباري - تحقيق هارون .  
٣٥ - شعر تايبط شرا - دراسة وتحقيق سلمان داود القرعة غولى  
وجبار تعبان الجاسم - العراق .  
٣٦ - الشعر الجاهلي - محمد النويهي .  
٣٧ - الشعراء وأنشاد الشعر .  
د/ علي الجندي - دار المعارف سنة ١٩٦٩م .  
٣٨ - شعر خفاف بن ندبة - ط العراق .  
٣٩ - الشعراء السود وخصائصهم في الشعر العربي .  
د/ عبده بدوي - ط هيئة الكتاب .  
٤٠ - الشعراء الصعاليك في العصر الجاهلي .  
د/ يوسف خليف - دار المعارف .  
٤١ - الشعر والشعراء لابن قتيبة -  
تحقيق أحمد شاكر - دار المعارف .  
٤٢ - الصحاح للجوهري .  
٤٣ - الصلوة والفتوة الإسلام - أحمد أمين .

- ٤٤ - صوت الشاعر القديم -  
د/ مصطفى ناصف - هيئة الكتاب .
- ٤٥ - طبقات فحول الشعراء - ابن سلام -  
تحقيق شاكر - ط المدنى .
- ٤٦ - طرفة بن العبد - حياته وشعره - د/ محمد على الهاشمى .
- ٤٧ - العصر الجاهلى - د/ شوقي ضيف - دار المعارف .
- ٤٨ - العقد الفريد لابن عبد ربه -  
تحقيق د/ مفيد محمد قميحة - بيروت .
- ٤٩ - العمدة لابن رشيق - ط السعادة ، ط دار الجيل .
- ٥٠ - عيار الشعر لابن طباطبغا العلوى -  
تحقيق د/ طه الحاجرى و د/ زغلزل سلام .
- ٥١ - الفتوة عند العرب - عمر الدسوقي - ط لجنة البيان العربى .
- ٥٢ - فحوالة الشعراء للأصمعى - تحقيق د/ خفاجى - ط أولى .
- ٥٣ - الفن ومذاهبه فى النثر العربى -  
د/ شوقي ضيف - دار المعارف .
- ٥٤ - فن الوصف - ايليا حياوى - ط بيروت - الثانية .
- ٥٥ - فى الادب الجاهلى - د/ طه حسين - دار المعارف .
- ٥٦ - فى تاريخ الادب الجاهلى -  
د/ على الجندى - ط دار المعارف .
- ٥٧ - فى الشعر الإسلامى والأموى -  
د/ عبد القادر القط - بيروت .
- ٥٨ - قراءة ثانية لشعرنا القديم - د/ مصطفى ناصف .
- ٥٩ - القاموس المحيط للفيروز ابادى .
- ٦٠ - لسان العرب - لابن منظور .
- ٦١ - لطائف المعارف - للثعالبي .

- ٦٢ - المؤلف والمختلف للأمدى \*
- ٦٣ - المثل السائر لابن الأثير \*
- تحقيق د/ طبانة و د/ الحوفي ط السعدية \*
- ٦٤ - مجمع الأمثال للميداني - تحقيق أبي الفضل \*
- ٦٥ - المحبر لابن حبيب \*
- ٦٦ - المرشد إلى فهم أشعار العرب - د/ عبد الله الطيب - بيروت \*
- ٦٧ - مطلع القصيدة العربية ودلالاته النفسية -
- د/ عبد الحليم حفي - هيئة الكتاب \*
- ٦٨ - معجم الشعراء للمرزباني \*
- ٦٩ - معجم المصطلحات البلاغية وتطورها
- د/ أحمد مطلوب - ط العراق \*
- ٧٠ - معلقات العرب - د/ بدوي طبانة - ط أولى \*
- ٧١ - المفضليات - للمفضل الضبي \*
- ٧٢ - نقد الشعر - قدامة بن جعفر -
- تحقيق د/ خفاجي - ط الكليات الأزهرية \*
- ٧٣ - النقائض لأبي عبيدة \*
- ٧٤ - نهاية الأرب للنويري - ط دار الكتب \*
- ٧٥ - النوادر لأبي سعيد بن أوس الأنصاري \*
- ٧٦ - الوساطة للقاضي الجرجاني -
- تحقيق البجاوي وأبي الفضل ط الحلبي \*
- ٧٧ - الوصف في الشعر العربي \*
- عبد العظيم قناوي - ط الحلبي سنة ١٩٤٩ م \*



## محتويات الكتاب

| رقم الصفحة | الموضوع                                  |
|------------|------------------------------------------|
|            | مقدمة                                    |
| ٥          | القسم الأول : الشعر                      |
| ٥          | شاعر صعلوك : ( تاييد شرا ) لولف الوجيه   |
| ٣٢         | دريد بن الصمة يرثى أخاه                  |
| ٥٦         | شاعر متمرد : طرفة بن العبد. ومعلقته      |
| ١٠٥        | الخنساء ترثى صخرأ                        |
| ١٤٩        | — من النقائض الجاهلية                    |
| ١٥١        | بين عباس بن مرداس وخفاف بن ندية          |
| ١٥٤        | سبب المهاجة بينهما                       |
| ١٦٥        | — من فن الوصف في الشعر الجاهلي           |
| ١٦٦        | وصف الظواهر المناخية لـ ( خفاف بن ندية ) |
| ١٦٦        | القصيدة الأولى                           |
| ١٧٤        | القصيدة الثانية                          |
| ١٧٤        | أمير شعراء الجاهلية يصف الغيث            |
| ١٧٤        | أمرؤ القيس يصف الغيث                     |
| ١٨٢        | ١ - في قصيد الرائية                      |
| ١٨٥        | ٢ - في المعلقة                           |
| ١٨٩        | موازنة                                   |
| ١٩١        | القسم الثاني : النثر                     |
| ١٩٣        | النثر الجاهلي                            |

| الموضوع                                      | رقم الصفحة |
|----------------------------------------------|------------|
| ( أ ) الخطابة ... ..                         | ١٩٤        |
| دواعي الخطابة في الجاهلية ... ..             | ١٩٦        |
| خطبة قس بن ساعدة الايادي ... ..              | ١٩٧        |
| خطبة أبي طالب في زواج الرسول - ﷺ ... ..      | ٢٠٠        |
| خطبة عبد المطلب بين يدي سيف بن ذي يزن ... .. | ٢٠٠        |
| خصائص الخطابة الجاهلية ... ..                | ٢٠١        |
| ( ب ) الوصايا ... ..                         | ٢٠٤        |
| نماذج للوصايا ... ..                         | ٢٠٤        |
| سمات عامة للوصايا ... ..                     | ٢٠٧        |
| ( ج ) المفاجرات والمنافرات ... ..            | ٢٠٨        |
| أشهر المنافرات ... ..                        | ٢٠٨        |
| ( د ) الحكم والأمثال ... ..                  | ٢١٢        |
| ( هـ ) سجع الكهان ... ..                     | ٢١٧        |
| السمات العامة للنثر في العصر الجاهلي ... ..  | ٢١٩        |
| المراجع ... ..                               | ٢٢١        |
| محتويات الكتاب ... ..                        | ٢٢٢        |

تصويب الأخطاء

| الصفحة  | السطر   | الخطأ         | صوابه          |
|---------|---------|---------------|----------------|
| المقدمة | ١٥      | ناوا          | ناوا           |
| ٦       | ١٠      | الشفري        | الشفري         |
| ٦       | ١٣      | ورغم أنه      | ورغم أنهم      |
| ١٢      | ٧ هامش  | والقطير       | والقطير        |
| ١٨      | ٦       | فلم ترى       | فلم تر         |
| ٢٤      | ١٧      | عمى           | عمى            |
| ٢٦      | ٥       | ورغاء البعير  | ورغاء البعير   |
| ٢٩      | آخر سطر | وأبو فرغان    | أو أبو فرغان   |
|         | بالحامش |               |                |
| ٣٠      | أول سطر | قوم بنى چشم   | قوم من بنى چشم |
|         | بالحامش |               |                |
| ٥١      | ١٦      | ورو البيت     | ورواية البيت   |
| ٥٣      | ٢       | أكتفى         | أكتفى          |
| ٥٧      | ٦       | ولا وليدا     | لا وليدا       |
| ٦٢      | ١٤      | البي          | الظبي          |
| ٦٣      | ١       | عمرو بن هند   | عمرو بن هند    |
| ٦٥      | ٢       | وقيل وهو      | وقتل وهو       |
| ٦٧      | ٦ هامش  | ضبيعة         | ابن ضبيعة      |
| ٦٨      | ١٥      | صوت رحلة      | صورت رحلة      |
| ٦٩      | ١٤      | الجبية ديارها | الجبية وديارها |

| الصفحة | المسطر     | الخطبة        | صوابه              |
|--------|------------|---------------|--------------------|
| ٧٠     | ١ هامش     | الذي كان      | الذي كاد           |
| ٧٠     | ٧ هامش     | وضوؤها        | وضوؤها             |
| ٧٥     | ٦          | شاعرنا أساميا | شاعرنا شيئا أساميا |
| ٧٩     | ١٧         | الزور رمز     | الثور رمز          |
| ٧٩     | ١٧         | تنظر من       | تنظر في            |
| ٨٠     | ٨          | إن أن         | إذ أن              |
| ٨٥     | ٣          | كوم الدجن     | يوم الدجن          |
| ٨٥     | ١٢ هامش    | يخرج ن شعبه   | يخرج من شعبه       |
| ٨٥     | ١٥ هامش    | وتحضير الشجر  | وتخضير الشجر       |
| ٨٨     | قبل الأخير | طرفة وصف      | طرفة في وصف        |
| ٩٢     | ٢          | محنيا         | محنيا              |
| ٩٣     | ١٧         | ما ينقلون     | ما ينتقلون         |
| ٩٤     | ٣          | تششد          | تشدد               |
| ٩٥     | ٨          | كان سبب       | كان بسبب           |
| ١٠٢    | ٤          | مكننة         | مكننه              |
| ١٠٨    | ٢ هامش     | للشرييني      | للشريشي            |
| ١٠٩    | ١٩         | - إلا قله -   | - إلا أقله ب -     |
| ١١٢    | ١٢٠ هامش   | فتحشوم تماما  | فتحشوم تماما       |

### تعريف بالمؤلف

الاسم : زكريا عبد المجيد عبد الهادى النوتى .

من مواليد قرية كفر الشعبانية - سمند - غربية فى ١٩٥٦/١١/١٥  
اتم حفظ القرآن الكريم وهو فى العاشرة من عمره .. ودخل  
مسابقة القبول الأزهرية سنة ١٩٦٨ والتحق على إثرها بالأزهر  
الشرىف .

● حصل على الإعدادية الأزهرية ١٩٧٤ وكان ترتيبه على مستوى  
الجمهورية ( السابع والطلاب ) .

● ثم حصل على الثانوية الأزهرية ١٩٧٥ وكان ترتيبه ( الثانى )  
على مستوى الجمهورية .

● التحق بكلية اللغة العربية بالقاهرة فى العام نفسه وكان ترتيبه  
( الأول ) على دفعته فى السنوات الأربع ونال درجة الليسانس  
بتقدير ( جيد جدا مع مرتبة الشرف الأولى ١٩٧٩ ) .

● عين معيدا فى قسم الأدب والنقد بكلية ١٩٨١ ونال درجة  
التخصص الماجستير ١٩٨٦ فى موضوع « خالد الجرنوسى »  
حياته وشعره « بتقدير ممتاز » .

● حصل على مرتبة العالمية « الدكتوراه » ١٩٩٠ فى موضوع  
« شعر قبيلة بني - بعله - من الحاهلية حتى نهاية العصر الأموى »  
« بتقدير مرتبة الشرف الأولى » .

نتاجه العلمى :

- ١ - تفسير « بحر العلوم » لأبى الليث السمرقندى تحقيق  
( بالاشتراك ) .
- ٢ - تفسير ( البحر المحيط ) لأبى حيان .. تحقيق  
( بالاشتراك ) .
- ٣ - كتاب الذريعة فى الاعداد الواردة فى الشريعة - تحقيق
- ٢ - تفسير ( البحر المحيط ) لأبى حيان .. تحقيق
- ٤ - كتاب الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي ..  
تحقيق ( بالاشتراك ) .
- ٥ - الادب الجاهلى تاريخه وقضاياه - تأليف
- ٦ - الادب الاموى - تاريخه وقضاياه - تأليف
- ٧ - درر من الادب الجاهلى - تأليف

---

رقم الايداع بدار الكتب والوثائق القومية  
١٩٩٣ / ٢١٧٣

مطبعة الحسين الاسلامية  
٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر  
تليفون : ٩١٩٧٢٤